ومضات فكر
وحصاد قلم

بقلم الأستاذ
عبدالله بن حمد الحقيل
رحمه الله تعالى

دار التحرير
للنشر والتوزيع

ومضات فكر
وحصاد قلم

ⓒ فراس بن خالد الغنام، ١٤٤١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر .
الحقيل، عبد الله بن حمد
ومضات فكر وحصاد قلم. / عبد الله بن حمد الحقيل؛
فراس بن خالد الغنام. (ناشر) - الرياض، ١٤٤١هـ
٢٤٢ص، ١٧x٢٤سم
ردمك : ٥-٢٠١٦-٠٣-٦٠٣-٩٧٨
١- المقالات العربية أ. الغنام، فراس بن خالد (معد) ب. العنوان
ديوي : ٠٨١ ١٤٤١/١٢٧٧

رقم الإيداع: ١٤٤١/١٢٧٧
ردمك : ٥-٢٠١٦-٠٣-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبْعَةُ الأولى
جَمِيعُ الحُقُوقِ مَحْفُوظَةٌ
١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

دار التحبير للنشر والتوزيع

وقفية التحبير
المملكة العربية السعودية

w.altahbeer@gmail.com
جوال: ٠٥٥ ١٩ ٩٢ ٥٥ ٩٦٦+

ومضات فكر وحصاد قلم

بقلم الأستاذ

عبدالله بن حمد الحقيل

رحمه الله

١٣٥٧-١٤٤٠

دار التحبير للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية

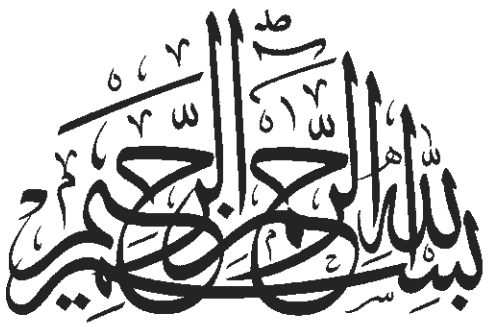

تصدير

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذا الكتاب (ومضات فكر وحصاد قلم) هو المؤلَّف الأخير للوالد الأستاذ الأديب عبد الله بن حمد الحقيل يرحمه الله، والذي أثرى المكتبة السعودية والعربية بمؤلفاته العديدة التي تربو على ثلاثين مؤلفاً إلى جانب كتاباته ومقالاته العديدة في الصحف والمجلات المتخصصة.

والكتاب عبارة عن مجموعة منتقاة من المقالات المتنوعة قام المؤلف بنشرها في الصحف بالإضافة إلى أحاديث عبر برامج الإذاعة والتلفاز، دفعها قبيل وفاته رَحِمَهُ اللَّهُ للأخ فراس الغنام لنشرها، وقد راجع رَحِمَهُ اللَّهُ بنفسه بعض المسودات في المستشفى أثناء رحلة مرضه الأخيرة، وهذه العناية تدل على مكانة الكتاب في نفسه وتؤكد حرصه واهتمامه بمراجعة الكتاب وتحريره وهو في تلك الحالة والظروف الصحية.

وتأتي أهمية هذا الكتاب من كونه جاء ثمرة تجربة طويلة مشرقة الجوانب للمؤلف في الكتابة الصحفية في المجالات الاجتماعية والثقافية والأدبية، وحصاد خبرات طويلة في مجال العمل الثقافي والتربوي والتعليمي حيث أمضى رَحِمَهُ اللَّهُ في التربية والتعليم سنوات عديدة في مناصب قيادية، وشغل أيضاً العديد من الوظائف المهمة في ميادين التربية والثقافة، بجانب كونه أحد رواد اللغة والأدب والفكر المعاصر ومؤلِّف متعدد الاهتمامات، حيث قدَّم بأسلوبه المتميز- السهل الممتنع - وعن وعي وخبرة وثقافة عالية، ومنهجية منقطعة النظير رؤيته الخاصة ناصحاً

ومرشداً، بجانب فكره وانطباعاته ومشاهداته وذكرياته وتأملاته في مجالات وجوانب شتى منها اللغة والثقافة والأدب والتربية والتعليم والتاريخ مستفيداً من خلفيته الأدبية وتعدد اهتماماته الثقافية الواسعة وتجاربه وخبراته حيث تأخذ كتاباته رحمه الله في تلك المجالات المعاصرة والمتجددة مكانها اللائق بها والمرموق.

وفي الختام أسأل العلي القدير أن يكون هذا الكتاب - والذي يعد إضافة حقيقية للمكتبة السعودية والعربية - جهداً موفقًا وعملاً هادفاً وعلمًا ينتفع به، وأن يجعله في صحائف موازين مؤلفه رحمه الله.

والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق.

خالد بن عبدالله بن حمد الحقيل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، المبعوث بالكتاب المبين هدى ورحمة إلى يوم الدين.

وبعد:

يستمد هذا الكتاب عنوانه "ومضات فكر وحصاد قلم" من حيث كونه يتضمن أشتاتاً من الأفكار والرؤى والأحاديث الفكرية، والموضوعات المتنوعة، تضمنت باقة عطرة من موضوعات متنوعة اتسمت بالشمول الثقافي، وسبق أن أسهمت ببعضها مقالات في الصحف، وأحاديث عبر برامج في التلفاز والإذاعة.

ثم رأيت أن أجمعها لتعم بها الفائدة، وتحفظ من الضياع، وتضاف إلى سلسلة المطبوعات والكتب التي نشرتها، ولا غرو فالمقالة فن أدبي تطور مع وسائل الإعلام، وعالج موضوعات متنوعة لأنواع شتى من ضروب المعرفة، فهي سوانح وأفكار تحمل مضامين ثقافية ممتدة في الأدب والتربية والتاريخ واللغة، آثرت جمع شتاتها ونشرها للمشاركة بجهد المقل في حياتنا الثقافية والفكرية.

والله أسأل أن يجعل هذا الكتاب محققاً للفائدة، وأن يمهد به للنشء سبل الوعي الثقافي، ومنه التوفيق والسداد.

المؤلف

عبدالله بن حمد الحقيل - **الرياض**

المدرسة ودورها في رعاية النشء وتنمية الإبداع والتميز

للتربية دور مهم في رعاية الطفل وتكوينه وبناء علاقة متميزة معه من خلال وسائل شتى، تبدأ بمخاطبة وجدانه وحسه ومشاعره، ثم تخاطب عقله وفكره.

ولقد أولى الإسلام النشء عناية خاصة واهتماماً بالغاً، ووجههم التوجيه السليم، ووضح طرق الخير وسبل الصلاح ومسالك البر والهدى والاستقامة، مع توفير التعليم الهادف على أساس راسخ من الإيمان بالعقيدة وتعاليم الدين الحنيف؛ ليكون ذلك قرة لهم وتحصيناً من الانحراف، مع تقديم التوجيه السليم والزاد الفكري والتربوي المناسبين بأسلوب قصصي جذاب، يشد انتباههم ويرسخ مفاهيمهم.

ومن هنا تبدو أهمية وضع واختيار كتب الأطفال، بحيث تكون ذات مغزى تربوي مهم، وتتناسب مع نموهم وقدراتهم لإيجاد التجاوب والتفاعل المطلوبين، وألا تكون بعيدة عن دينهم وتراثهم وحضارتهم وأصالتهم؛ حتى يتسنى لهم استيعابها وفهمها فهماً واعياً، وتنمية الإبداع عند الأطفال من خلال برامج تدريبية، تعمل على توسيع الآفاق المعرفية للطفل، وتجعله يشعر بالسعادة والرضا.

ولقد اهتم المربون بإشباع حاجات الطفل الروحية والنفسية، والارتقاء بروحه وأخلاقه وبث القيم الكريمة فيه، وغرس روح الثقة والشجاعة فيه، واحترام الآخرين وحب الخير ونبذ الشر.

وفي إطار هذه الأهداف يحرص المربون على إثارة خيال الطفل لخلق روح الطموح والابتكار، وتوجيهها توجيهاً سليماً، وتزويده بخبرات عملية مفيدة.

إن قضية تربية الصغار من القضايا الأساسية التي تتصدى لها اليوم البحوث والدراسات التربوية والنفسية في كثير من دول العالم؛ نظراً للدور الكبير والمهم الذي يؤمل في رجال الغد وشباب المستقبل، ولَكَمْ وجدنا الكثير من النصائح والوصايا التربوية التي يحرص أولياء الأمور على توضيحها لمؤدبي أولادهم، وهي نصائح وتوجيهات تربوية سديدة، ومن ذلك ما قاله عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده: «ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك؛ فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنته والقبيح ما استقبحته، علّمهم كتاب الله، وروّهم من الحديث أشرفه، ومن الشعر أعفه، ولا تكرههم على علم فيملوه، ولا تدعهم فيهجروه، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فازدحام العلم في السمع مضلة الفهم، وعلّمهم سير الحكماء، وهددهم وأدبهم دوني، ولا تتكل على عذر مني لك، فقد اتكلت على كفاية منك، واستزدني أزدك إن شاء الله تعالى».

في هذه النصيحة يبرز الأسلوب التربوي الذي ينبغي للمعلم أن يراعيه في التعليم، فهي منهج تربوي سديد، تبرز وتمثل ما للتربية من أثر في توجيه النشء الوجهة السليمة، وفي ثنايا كتب التراث اهتماماً بفضائل التربية، ونصح الصغار والمربين، وما يحتاجون إليه في تأديب الأبناء، وحسن المعاملة والحزم ومراعاة حالاتهم النفسية والصحية، إلى غير ذلك من التوجيهات التربوية السديدة في إطار المعايير الدينية والاجتماعية.

وبعد: فإن المعلم الناجح هو من يعمل على رعاية النشء، ويكون شديد الاهتمام بسلوكهم، والأخذ بأيديهم، وتطوير مهاراتهم واتجاهاتهم وفق العملية التربوية المتوخاة لتحقيق الغايات التعليمية المنشودة، والأهداف التربوية القويمة، وإعداد النشء الصالح للحياة على أساس من الدين والفضائل والأخلاق والتربية المثلى، والعمل على رسم المسارات الإيجابية للعمل التربوي المثمر، والارتقاء بأدائه على الوجه الأكمل.

تاريخنا جزء من هويتنا الثقافية وشخصيتنا الحضارية

تحرص كل أمة على الاهتمام بتاريخها لكونه المخزون الصادق لمنجزاتها والسجل الصادق الحافل لمعطياتها، وتدوين الأحداث دراسة وتحليلاً وتوثيقاً.

ولدارة الملك عبد العزيز جهود بارزة لإبراز التاريخ والتراث، فهي تهدف إلى خدمة تاريخ المملكة وجغرافيتها، وآدابها وآثارها الفكرية والعمرانية، كما تعنى بجمع وتصنيف المصادر التاريخية المتعددة من وثائق وغيرها مما له علاقة بالمملكة.

وبفضل الله فقد بسقت دوحة عطائها وشمخ بناء عملها بعد أن تولى رئاستها خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز (أمير الرياض سابقاً) عاشق التاريخ وواعيه، ومؤازر المؤرخين ومساند الأعمال العلمية، ولعل جهوده الكريمة في مؤازرة جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون الخليجي تذكر فتحمد له، حيث هيأ لها المكان الملائم والمستوى المرموق لاستمرار ما وصلت إليه من نجاح وثبات، وقوة ودعم للدراسات التاريخية والإدارية، ونشر الكتب والبحوث، انطلاقاً من رغبتها في مد جسور التواصل مع المؤسسات التاريخية في الآداب والحضارة.

على أن الاهتمام بهذه الجمعية ينبثق من كل المعاني التي ترمز أهداف الدارة إليها، فالدارة تضم بين جنباتها تاريخ رمز هذه الأمة، وإن تاريخ الأمة الذي تحرص الدارة عليه جزء من كيانها وفرع من وجودها

وأصل لبقائها، وبعث لتطورها وأداة لتقدمها ووسيلة لاحترامها، واهتمام الدارة بالجمعية تأصيل لرسالتها، وتعميق التفاهم مع أعضائها، وإحكام الصلات مع الباحثين والمؤرخين، وإعطاء ذلك مكانة مرموقة.

ولقد أثبتت الدارة خلال مسيرتها التاريخية -وما زالت تؤكد- بأنها المكان الطبيعي والواجهة الحضارية، فهي مركز للبحث والدراسات التاريخية والجغرافية، ووسائل المعلومات المتعددة، ورصد للتطور التاريخي والحضاري للمملكة، وتوثيق تاريخ البلاد، وإن تعاونها مع الجمعيات التاريخية ومراكز البحوث ومساندتها لها كان دائماً إيجابياً، ويؤهل لآفاق واعدة، خدمة للتعاون العلمي والتبادل الفكري والحس التاريخي الذي تتمتع به. وإن اهتمامها بجمعية التاريخ والآثار ينبثق من عميق الإحساس برسالتها التاريخية.

كما أحيي جمعية التاريخ والآثار على ندواتها التاريخية، حيث ظل رئيسها نشطاً متجاوباً من أجل أن تبقى متحركة وعاملة لتعطي ثمرتها يانعة شهية. فحوار المؤرخين وتعاون الباحثين وتقارب المثقفين والأكاديميين قيمة مثلى، وينبئ بالأمل في الوعي والثقة بهذه الجمعية والخير في المستقبل لها -إن شاء الله- ، ولتكن طموحاتنا ونفوسنا كبيرة نتعب في مرادها.

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

نريد أن نكون ذلك الذي يشار إليه بالأصابع ويسير ذكره مسار الشمس حينما نكون أعلاماً في التاريخ والآثار والبحث والمعرفة، وإذا لم يسعفنا الجد في تحقيق الأهداف فنكون لبنة صالحة في بناء مجد الأمة التاريخي.

على المرء أن يسعى لآخر جهده وليس عليه أن تتم المطالب

ويجب أن يكون التاريخ عوناً لنا على الحق، ندافع به عن حقوقنا، ونري العالم حضارتنا، ونرسم التطلعات والرؤى المستقبلية.

لقد سعدت بحضور الملتقى العلمي للجمعية في مسقط، فقد دعا إلى الاهتمام بالتاريخ والتراث وضرورة الارتكاز عليهما في كل خطة تنموية على أساس علمي راسخ، وليس مجرد خيال، وقد قدم في الملتقى أكثر من ثلاثين بحثاً، تعالج العديد من القضايا التاريخية والأثرية التي تتعلق بتاريخ المنطقة و دولها عبر مختلف العصور.

وكانت أعمال الندوة بين التاريخ والآثار في منطقة الخليج العربي وبمشاركة حشد كبير من الباحثين في التاريخ والآثار من دول مجلس التعاون، وجرى مناقشة العديد من القضايا التاريخية ومراكز التوثيق والدراسات المتعلقة بالتاريخ الحديث لدول مجلس التعاون، وكذلك عن الوثائق المتعلقة بالتاريخ الحديث لدول مجلس التعاون، وأيضاً عن الوثائق المحلية كمصدر مهم في كتابة التاريخ المحلي، والحفريات، وتطوير الأستاذ الجامعي أستاذ التاريخ، ودور الكتابات التاريخية والآثارية في تطوير الفكر المعماري، وعن التحصيل الدراسي لدى طلاب التاريخ، وعن المتحف كأداة تعليمية، والنشر العلمي والإبداعي، وإعطاء النص التاريخي حيويته وتجدده، إلى غير ذلك من الموضوعات التي تعكس وعي الجمعية بهذه القضايا التاريخية، حيث إن تاريخنا جزء من هويتنا الثقافية والاجتماعية والفكرية، وآثارنا هي التجسيد المادي الملموس لهذا التاريخ.

وهذه البحوث التي جرت مناقشتها إضافة نوعية تعزز وحدة الهوية الثقافية، والنهوض بحركة البحث العلمي التاريخي، وإبراز الروابط التاريخية والتراثية المشتركة.

ولذا نأمل الاهتمام بقضايا التاريخ والآثار ومراكز البحوث، وتطوير أدواتها، فتاريخنا جزء من هويتنا الثقافية.

وهذه الاجتماعات يجب أن تسهم في تنمية الشعور التاريخي والفكري والثقافي؛ لترتفع هذه الأجيال وتعلو العزائم، وتشمخ النفوس اعتزازاً بدينها أولاً وبتاريخها وتراثها الإسلامي وما يزخر به من معطيات وجوانب مضيئة؛ لتنعم الأجيال بمستقبل أكثر ازدهاراً وثقة ونماء واستشرافاً لآفاق المستقبل.

وإذا كان المؤرخ هو مرآة عصره فإن الواجب الأكاديمي على المؤرخين اليوم الوقوف والتصدي بقوة للغزو الفكري الذي أخذ يخترق عالمنا العربي في كل زاوية وفي كل مكان، ويشوه تاريخنا الإسلامي المجيد، ويحرف وقائعه وحقائقه، ويفتات عليه؛ ليزعزع ثقة الأجيال في تاريخها وتراثها وثقافتها.

إن أمام المؤرخين مسئولية عظيمة تتمثل في ضرورة توجيه طاقاتهم نحو العناية بتاريخ هذه المنطقة وآثارها، وتسجيل أحداثها بصدق ودقة وموضوعية.

كما أشير إلى أهمية الآثار في بلادنا، وهي علامة معبرة عن عراقة هذه الأمة في الوجود الحضاري. وآثار بلادنا تمتاز بالتنوع الحضاري، مما أعطى لكل منطقة من مناطقها شخصيتها المتميزة. وقد لفتت هذه الآثار الأنظار منذ زمن قديم، وأشار إليها مؤرخون سابقون إشارات عابرة، مما يقتضي الاهتمام بجمعها وتصنيفها، ودراستها وتنظيم البحث عنها، ودراستها بصدق وإخلاص.

وإني لأهيب بالمختصين في الآثار بأن يضيفوا لنا المزيد من الحفريات، ويعيدوا إلينا التراث العريق.

وإذا كان لي من كلمة أخيرة أقولها فإنني أتقدم بالشكر لكل علمائنا الآثاريين الذين أسهموا بجهودهم في قسم الآثار والمتاحف، وبذلوا جهداً يذكر فيحمد لهم، ومزيداً من الاهتمام بتراث الأمة وحضارتها، فهو التجسيد الملموس للثقافة الإسلامية برمتها.

إن الحفاظ على التراث أمانة فلترفعوا حفظ التراث شعاراً

وختاماً أقول:

إن المؤرخ في صدق وفي ثقة هو الحفيظ على الأمجاد والرتب
كل المشاهد تاريخ الشعوب يعي فهو الأمين على الأخبار والكتب

حقق الله الآمال، ووفق الجميع.

المعلم عليه العبء الأول
في بناء التربية وإصلاح النشء

متى أخلص المعلم لعمله وحسن أداؤه حسنت العملية التربوية.

إن الاهتمام بالمعلم والمعلمة إعداداً وتدريباً سواء في المدرسة أو الجامعة وتطوير وسائل التربية باعتبارهما القاعدة الرئيسة في البناء التعليمي ليضيف مزيداً من إنجازات البناء الذاتي لأجيالنا ووطننا، وبناء النظام التربوي المرن.

وهكذا فقد قامت فلسفة التعليم في بلادنا على أسس موضوعية قويمة متكاملة، تستهدف الحفاظ على دعم العقيدة الإسلامية باعتبارها المنهج الأقوم للحياة المثلى لتحقيق السعادة لبني الإنسان. ولذا ينبغي تفهم رسالة المعلم والثقة به والاستفادة منه في شتى المجالات، واعتباره أخاً وأباً وأماً وأختاً، وإبراز دوره في عملية الإصلاح التربوي والتعليمي.

إن اليوم العالمي للمعلم فرصة للآباء والمجتمع لأن يقدموا للمعلم ما يستحقه من التقدير والاحترام، ولأن يكون المعلم نموذجاً وقدوة للأجيال، ومواكباً للتطورات والمتغيرات والمستجدات، ويطوعها لصالح التعليم، ولأن توضع الآليات التي تمكنه من التطوير في العملية التربوية.

إن تكريم المعلم والمعلمة خطوة موفقة وانطلاقة رائدة لتحقيق الأهداف المفيدة لخير العلم والتعليم.

ولقد حظي المعلم بتقدير دوره والاعتراف بجهوده، وبُذلت الإمكانات التي تتيح له تسهيل واجباته وأدائه مهمته ورسالته، وهو جدير بكل المزايا المعنوية والمادية التي يطالب بها.

إن رواد التعليم يستحقون كل تكريم لقاء تضحياتهم وعطائهم وجهدهم الذي كانت ثمرته هذه النهضة التعليمية والانطلاقة التربوية الواسعة في تحقيق الطموحات، والتميز في مجالات الحياة وضروبها المختلفة.

والله المسئول أن يحقق الآمال ويهبها، ويهب للعاملين الإخلاص والنية الصادقة لإعداد النشء للحياة إعداداً فعالاً صالحاً.

وإن ما تحتله اليوم بلادنا من مكانة مرموقة تجعلنا نطمع في مضاعفة جهود المعلمين لدفع عجلة التقدم والتطور، وتحقيق الأهداف التربوية المثلى.

هذا وبالله التوفيق.

المدرسة والتربية ودورهما
في رعاية الموهوبين وبناء الموارد البشرية

للمدرسة دور حيوي تربوي واجتماعي لتنمية المواهب، والارتقاء بسلوك الأبناء وأخلاقهم، وتطوير قدراتهم وثقافتهم، وإعدادهم كمواطنين صالحين، وزيادة حصيلتهم المعرفية، وإن عملية تنمية التعليم وتطويره عامل حيوي في بناء أجيال المستقبل، وتوفير متطلباتهم الحضارية وحاجاتهم الروحية والمادية والتي ترتكز على أصولنا الإسلامية وتراثنا الإسلامي المجيد.

وإن الاهتمام بالتربية والعناية بالتعليم والحرص على الثقافة من الأمور الحيوية الهامة في حياة الأمة لمساندة العمل التعليمي التربوي، وتحقيق الغايات التي تسعى إليها لتحقيق التقدم والازدهار في كل ناحية من نواحي الحياة.

ومن هذا المنطلق يتبين أهمية رعاية الموهوبين وتنمية عقولهم، وإبراز المواهب وإعطائها حقها من التشجيع والدعم والاهتمام، وتزايد نداء المربين بالدور الهام لذلك لتحقيق الأهداف التعليمية.

ولقد تكررت الكتابات حول أهمية إيجاد مدرسة خاصة لذوي المواهب من كبار التلاميذ وصغارهم؛ إذ حينما يشعر هؤلاء بتقدير جهودهم وأن هناك اهتماماً بتفوقهم فإنه سيدفعهم إلى المزيد من الاهتمام ومضاعفة الجهد لأداء أفضل، وسيقبلون على العلم والدراسة بروح

جديدة وعزم قوي، لا يطمح فقط إلى مجرد النجاح واجتياز المراحل التعليمية، وإنما إلى وضع متميز من التفوق في الدراسة، ويفتح طاقات الذكاء والإبداع.

إن هؤلاء هم لبنات المستقبل من العلماء الموهوبين القادرين على الإبداع والابتكار والعطاء الفكري المتجدد.

نحو خطط طموحة لتربية الشباب
ورعاية مواهبهم لخدمة الوطن

الشباب جيل المستقبل وبناة الغد وضمير الأمة الحي، وإن خير وسيلة للنجاح في الحياة أن يكون للشباب مثل أعلى يطمح إليه مع صدق العزيمة وقوة الإرادة، وإن المثالية مطلب حضاري لكل الأمم، ولكن لا يمكن أن يتحقق تطور وتقدم ورقي على سواعد أمة أو أكتاف مجتمع ينقصه صفات الخلق الحسن والاستقامة والصدق مع الذات، والبعد عن سوء فهم الحياة ومطامعها الدنيوية.

وإننا لنحمد الله تعالى فالدنيا ما زالت بخير، وبلادنا والحمد لله موئل الخير والصدق، وما زال أهلها يتنكبون عن دروب السوء والهوى، إذ ليست المظاهر المادية مهما عظمت هي مصدر التقدير والفخر لأربابها، ولكن الصدق والإيمان والاستقامة والصلاح. فهذه الأسس والمقومات هي القوة التي تشمخ بأهلها إلى قمم المجد ومدارج الكمال.

وإن ما نلمسه اليوم في شباب بلادنا من الروح المتوثبة والحيوية ليجعلنا نتفاءل كثيراً لنرى منهم مثال الشباب المسلم الذي ينبغي أن نبني نهضتنا عليه، ونعقد عليه الآمال بعد الله من أجل بناء وطن حضاري مزدهر متطور.

فكن يا أخي الشاب لبنة صالحة في كيان هذه الأمة، ولتكن نفسك كبيرة، وطموحك عالياً، ترتفع بأفكارك وتتبين معالم مستقبلك، وتسعى

لخير نفسك ووطنك، عاملاً للخير دائماً وللأفضل أبداً في صمت وأدب وإنكار للذات، وطمس أي ظواهر تخالف الإسلام وقواعده، ولقد قيل:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

إن مؤسسات التربية والتعليم قد تكون أهم العوامل في التربية وتكوين النشء، وصياغة أفكاره وسلوكه؛ ليكون إنساناً إيجابياً فاعلاً لتحقيق الأهداف المنشودة، وإكسابه المهارات والخبرات اللازمة لتفاعله مع حياته ومستقبله تفاعلاً واعياً وهادفاً وإيجابياً، وإن مجتمعنا يمر بتحديات تحتم عليه أن يأخذ بكل أسباب العلم والقوة والعمل والنشاط، وعلى الشباب أن يكون له هدف سام، وتربية للإرادة وقوتها وتعويدها مقاومة الإغراء وهو سر النجاح في الحياة.

إن للمؤسسات التربوية دور مأمول في التنمية الوطنية مما يتطلب مضاعفة الجهود وبناء مجتمع المعرفة، فالنهضة العلمية لا تتحقق إلا بالتعليم، وتطوير نظمه وأساليبه، وتحفيز الشباب على المشاركة الفاعلة، وتعزيز دوره في مسيرة التنمية، والإحساس بالمسئولية تجاه المجتمع، وكل ما يسهم في رفعة الوطن.

الجامعة وتنمية البحث العلمي

غني عن القول أن الجامعة لها ثلاثة أهداف رئيسة:

أول هذه الأهداف: التدريس.

أما الهدف الثاني فهو: البحث العلمي.

والهدف الثالث: خدمة المجتمع، والتواصل معه، والإسهام في نموه وتطوره.

ولا بد من التوازن بين هذه الأهداف والغايات حتى تحتل الجامعة مكان الصدارة، وتتبوأ المنزلة اللائقة بها كمركز للإبداع والإنماء العلمي والثقافي في المجتمع، وإعداد رواد القلم والفكر والبحث والمعرفة، وتكوين البنية التربوية والتقدم العلمي.

ولا يماري أحد فيما بلغته جامعاتنا اليوم من مكانة مرموقة، حيث تضم كفاءات عالية، وتجمع نخبة ممتازة من أبناء هذا البلد، مما يبشر بخير، ويدعو إلى التفاؤل والأمل في أن يقوم التواصل بين الجامعة والمجتمع، إذ الجامعة هي المنهل الصافي، وقلعة من قلاع المعرفة، وقاعدة أصيلة تحظى بالثقة والتطلع، وتخص قضايا المجتمع باهتمامها وعنايتها، وتلبية حاجات البلاد بالمتخصصين؛ تحقيقاً لرسالتها السامية.

وللجامعات رسالة عظيمة، ودور حيوي كبير في تنشيط البحث العلمي في مختلف فروعه وجوانبه، ولقد أخذت بعض جامعاتنا تسير على الطريق بعزم قوي وخطى ثابتة وطموح وثاب، وذلك مصدر سعادة واعتزاز.

وما زلنا نأمل المزيد من العطاء والإنتاج في ميادين البحث العلمي ومجالات المعرفة؛ لتصبح هذه الجامعات منارات علم وفكر، وصروح معرفة وبحث، فهي صاحبة خصائص قَلَّ أن تتوفر في غيرها، خصوصاً بعد أن توافرت لها الإمكانات والمقومات، وظروف العطاء والإنتاج والإبداع، وبذلك تكون ذات أثر في بناء المجتمع، ومساهمة في رفعة وعلو شأنه، مما يجعلها موضع الإعجاب والاحترام، وأن تعيد لهذه البلاد مكانتها العلمية المجيدة، حيث انطلقت من جوانبها أنوار الهدى والعرفان، وحفلت بمفاخرها ومآثرها الأسفار، وتفجرت منها ينابيع الأدب والفكر والشعر والمعرفة.

إن الجامعات هي المعين الثري، والصرح العلمي الشامخ، والمصدر الفكري والإشعاع الثقافي لشتى المعطيات والفضائل الخلقية والعلمية، فهي عامل قوي وأساس حيوي في تطوير المعرفة بمعناها المتكامل.

إن الكثير من الجامعات في شتى البلدان تتفاعل مع مجتمعها وبيئتها علماً وبحثاً، ولها دور ريادي وفاعل ومؤثر في مختلف جوانب المعرفة ومعالجة الكثير من المشكلات، وإبداء المشورات العلمية في مختلف الأمور التعليمية والصحية والزراعية والاجتماعية، وغير ذلك مما يحقق الفائدة للمجتمع، حيث إن لديها التخصصات المختلفة والكفاءات العلمية، ومراكز البحث والمعلومات.

إن بلادنا تقطع أشواطاً في طريق الرقي والنهضة والتقدم في شتى المجالات، وتطمح من الجامعات إلى جانب إعدادها رجال الغد أمل الأمة أن تكون على صلة دائمة في متابعة ودراسة مشكلات المجتمع، والمشاركة الجادة في البحث العلمي عن طريق عقد الندوات

والمحاضرات، وإصدار النشرات العلمية والثقافية، ونشر الثقافة والوعي والمعرفة بين أفراد المجتمع، بحيث تكون صروحاً شامخة ومنارات سامقة مضيئة تتفاعل مع قضايا المجتمع، وتهدي للخير والصلاح، وتضيء جوانب الحياة ودروبها، وتبعث على النشاط والطموح والعمل، وتحقيق الأمل والتواصل والأهداف السامية.

وبالله التوفيق.

موسوعة تاريخ التعليم

عمل تربوي وإنجاز تاريخي مفيد

"لم يعد خافياً على أحد ما للتربية بمفهومها الواسع الشامل ومضامينها العريضة من أهمية وأثر في حياة الأفراد والمجتمعات، كما أن للمعلم رسالة جليلة ودوراً تربوياً رائداً وفكراً خالداً". قلت هذا الكلام في مناسبة تعليمية، وقد رد أحدهم قائلاً: "لقد أغفل الناس والتاريخ ذكر رواد كبار من رجال التربية والتعليم وأهملهم"، قلت: إن شعبنا شعب أصيل، وما زال المعلم يحظى بالتقدير والاحترام، وما زال يردد قول شوقي:

قم للمعلم وفه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولاً

وهذا الشعر مقتبس من الحديث الكريم: (العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر).

فما زلنا نكن الود والتقدير والاحترام لأساتذتنا، وكنا نرهبهم ونحبهم، وكانوا على جانب من الصبر والاهتمام برسالة العلم، والعمل المتواصل المخلص، وكم من تلميذ ما زال يدين لمعلمه بأكبر الفضل في تربيته وتعليمه، والذين مارسوا التدريس يعرفون الجهد الجهيد الذي يبذله المعلمون في سبيل تعليم وتثقيف طلابهم، وكما قيل:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها

وكم من أساتذة من رجال التعليم قدموا خدمات جلائل من خلال أشرف مهنة، وهي التربية والتعليم، وسيظل التاريخ يذكر أدوارهم ورسالاتهم وجهدهم بأحرف من نور مشرقة مضيئة، وينبغي أن تكتب سيرة المعلمين المبرزين ممن أفنوا حياتهم في خدمة مهنة التعليم والوطن، وسنرى نماذج مشرفة ورواداً أفاضل امتازوا بالإخلاص والزهد والإيثار والعمل الجاد، فجزاهم الله خيراً عما قدموا.

فتحية لرواد العلم وأساتذة الجيل الذين يدين لهم تلاميذهم بكثير من التقدير والفضل، خصوصاً أصحاب البدايات والرعيل الأول الذين وضعوا أسساً ومدرسة استنار بها الجيل الحاضر، وكانوا الأسس والأعمدة التي قام عليها بنيان التربية والتعليم.

إن تاريخ التعليم في بلادنا تاريخ حافل، وتجربة ثرية ضخمة ذات مواقف متعددة، وهو جدير بالكتابة والتدوين والتسجيل، ففي ذلك فائدة ومتعة وعبرة.

ولا يفوتني أن أشيد بدور وزارة التعليم في هذا المجال، فقد عملت على كتابة تاريخ التعليم تحت مسمى "موسوعة تاريخ التعليم في المملكة العربية السعودية ورجالاته". وهي من الإنجازات التي تحققت على مستوى النشر التوثيقي بمناسبة الاحتفالات بمئوية التأسيس، في خمسة مجلدات، أرخت لحركة التعليم وكل ما يتعلق بالتربية.

وتعد هذه الموسوعة مرجعاً شاملاً لمن أرد البحث في هذا المجال، حيث تشتمل فصولاً شتى عن التربية والتعليم، والمناهج والإشراف الفني، والكتاب المدرسي والاختبارات، والمرافق التعليمية والأحداث التعليمية والوقائع التربوية، واللوائح والأنظمة، وترجمة رواد التعليم ورجالاته، والمهام والأدوار الوظيفية التربوية التعليمية التي قاموا

بها. وهو عمل تربوي تاريخي مفيد، ذو أبعاد موضوعية ومكانية، ومضمون فكري وعلمي واجتماعي وثقافي، مع الاهتمام بالجانب التوثيقي لذلك، مما سيعطي صورة جليلة مجسدة ومترجمة للتعليم ورجالاته ماضياً وحاضراً.

إنها موسوعة جديرة بالاهتمام، حيث إنها مصدر هام عن التعليم، واستدراكات ستحقق المزيد من الفائدة للباحثين والدارسين.

ولقد دُعمت الموسوعة بالرسوم البيانية والجداول التوضيحية والوثائق التاريخية والصور الشخصية ورسوم المنشآت التعليمية، واستعين في تنفيذها بأدوات بحثية عديدة ومصادر ومعلومات، ورصد للتطور التعليمي في المملكة والإلمام بحالة التعليم ورواده، وتوثيق الأحداث والوقائع التربوية التاريخية ذات الأثر المهم في مسيرة التعليم، وتسجيل المنجزات التربوية، ورؤية استشرافية لمستقبل التعليم في بلادنا.

وهكذا جاءت هذه الموسوعة لتكون سجلاً تاريخياً صادقاً لمراحل التعليم وشخصياته، ومرافقه ومناهجه، وجهاته المسئولة عنه وتطوره.

وبالجملة فقد طبق المنهج التاريخي في إعداد الموسوعة واستعراض المعلومات التي أمكن تجميعها، وتبويب المعلومات وتفريغ الحقائق التاريخية وفق التسلسل الزمني في أبوابها، وتحليل المعلومات المستقصاة منها، وتحديد مصادر المعلومات للموضوعات المطروحة.

ونأمل أن تكون تسجيلاً رائداً لتاريخ التعليم وإبراز وقائعه، وتجميع ما تفرق من أخباره وما أوشك أن تدفنه يد النسيان.

ذكريات وشجون تربوية حول تأسيس المدرسة السعودية الابتدائية بالمجمعة عام ١٣٥٦هـ

لقد مضى على تأسيس هذه المدرسة سبعون عاماً من التربية والتعليم، تعاقب عليها رجال أكفاء مخلصون، بذلوا لهذه الرسالة ذوب أنفسهم وعصارة خبراتهم، وإن الوفاء والعرفان سنة حميدة، يأتي ذلك اعترافاً لأهل الفضل بفضلهم، وتكريماً لهم على ما أسدوه لمجتمعنا في ظروف كان يعز فيها العطاء، وتقف فيها النفس عن طلب الجزاء.

وإن الحديث عن الماضي ينطوي على جملة من المعاني، أهمهما: شكر الله على ما وفق إليه، ورد الجميل لأهله والاعتزاز به.

ويسرني أن أستعيد من ذكريات الطفولة تاريخ مدرسة تمثل بدايات التعليم النظامي في معظم مناطق بلدنا، فقد أنشئت هذه المدرسة الابتدائية السعودية بالمجمعة سنة ١٣٥٦هـ، وما زلنا نتذكر هذه المدرسة ببنائها الطيني الجميل الذي شيدته أيادي أبناء هذه المدينة، وموادها وموجوداتها وطينها ورملها الذي كنا نفترشه فيها، وسطحها الذي كنا نجلس عليه، وخاصة في أيام الشتاء، وقربة الماء المعلقة في دهليز المبنى.

وكنا ننعم بالهدوء وصفاء النفس وعفوية الحياة، والتواصل والترابط وبساطة الحياة ومكارم الأخلاق، على الرغم من شح الموارد والمرافق وسوء الحالة الصحية والغذائية، وغير ذلك من صور الثالوث البغيض:

الفقر والجهل والمرض. وهي حقائق عشناها، وأصبحت اليوم تراثاً نعتز به، ونراه مجسداً من خلال مهرجان الجنادرية للتراث والثقافة.

لقد تميزت مدينة المجمعة بسمات رائدة، كلها مدعاة للفخر والاعتزاز، فقد أنجبت العديد من العلماء والأدباء، والشعراء والأطباء، والمؤرخين والباحثين، ورجال الأعمال الذين أسهموا في خدمة بلادنا المملكة العربية السعودية. وإن عطاء السنين لا يُقاس بالبعد الزمني وحده.

وكم يشعر الإنسان بالغبطة وهو يصور ضروباً من الذكريات التي طافت بالذهن عن أيام مرت عبر الطفولة والصبا، فحفرت في أعماق النفس ألواناً من الصور المتنوعة، وفي تسجيلها إضاءة لمعالم الطريق للسائرين من الأجيال الصاعدة؛ لمعرفة الأوضاع الاجتماعية والتربوية والاقتصادية التي كانت سائدة في الماضي، وما هي عليه الآن من رقي وتقدم ونهضة وتطور ملموس يجب أن يدفعنا إلى المزيد من العمل والعطاء المتجدد مع المضي قدماً، وإبراز أهمية التربية والتعليم في حياة الأمم وبناء الأجيال، ومنارة مضيئة للشباب مع المضي قدماً.

وإذا كان الرواد قد وضعوا أساساً ما زلنا نسير على نهجه فإن ظروف العصر أضافت أعباء جديدة ومسئوليات عديدة، علينا أن نعيها جيداً.

التربية الوطنية اهتمام بالأجيال وبناء الإنسان

تكتسب التربية أهميتها من كونها الموجه للعملية التعليمية، وهي عملية مستمرة متواصلة لبناء الإنسان والاهتمام بالأجيال، وبناء نفوسها وصياغة وجدانها على القيم والأخلاق الحميدة والمثل الإسلامية السامية، وتطلعاتها نحو استشراف المستقبل، وخدمة بلادها وأمتها على هدي العقيدة الإسلامية السمحة.

وإن التربية الوطنية مفهوم وإحساس وتعميق وتأصيل للشعور الوطني في نفوس الناشئة، وتربيتهم على حب الوطن والدفاع عنه والإخلاص له، وتعميق مفاهيم حب الوطن في قلوب كل أبنائه والحنين إليه، والمحافظة على المكتسبات الوطنية.

والانتماء لهذا الوطن لا يكون بالقول بقدر ما يكون بالفعل والعمل، والإيمان والحب، وتنمية إحساس الشباب بأنهم جزء من هذا الوطن، ليظل في سويداء القلب وأنشودة عذبة، وثقة ومحبة، وعزم وإصرار، وتضحية وتفانٍ على العطاء والبناء والعمل، واليقظة والاهتمام والقوة، وكل ما يحقق له الخير والفاعلية، والتمسك بمكارم الأخلاق التي دعا إليها الإسلام، والابتعاد عن مساوئها، خاصة أن لهذه البلاد مكانة خاصة متميزة، فمنذ أن انطلقت من هذه البلاد أنوار التوحيد وهي تشع بالخير والفضيلة، وتزخر بالعطاء والإيمان، فهي مهبط الوحي ومهد الرسالة، ومنطلق النور وموئل الإشعاع ومقدسات الإسلام، ومنبت العروبة ولغة الضاد وجذرها، وركيزة المآثر ومنبع الهدى ومتنزل البيان.

فما اختصها الله به من الخيرات والفضائل يجعلنا نعتز بالانتماء لهذه الأرض ولهذا الوطن الكريم، والعمل على ترسيخ وتنمية هذا الانتماء.

ومن هنا يجب غرس حب الوطن في نفوس الناشئة والشباب من قبل الأسرة والمدرسة والمجتمع، ويتجسد ذلك بأن يحيا في قلب كل مواطن بالعطاء والتضحية والإيمان وعمق التصور، وذلك لإعداد المواطن الصالح القادر على تحقيق رسالته في هذه الحياة والشخصية المتميزة في هذا العصر، عصر التقارب والتعاون والانفتاح العالمي.

والانتماء للوطن يكون ببذل الجهد والتضحيات، والعمل على المشاركة الإيجابية في مسيرة الحياة، وتكريس الجهود للعمل المثمر الهادف، وتقوية الأواصر. فالمواطن الصادق هو من سمت أخلاقه وعلت همته، وخلصت نيته وصدقت عزيمته، وراقب الله في أعماله، وقدم العطاء لوطنه وأمته، وتفانى في الدعوة إلى المثل العليا والأخوة والإحساس والتراحم والتكافل وإسداء المعروف وإغاثة الملهوف، وكل معنى سامٍ كريم، وحافظ على ذلك، وعمرت جنبات نفسه بأخلاق وسجايا كريمة، ودفع هذا الوطن إلى ما نتمناه له من عزة ورفعة وازدهار. وإن التواصل والحوار حول مادة التربية الوطنية وغيرها من المواد أمر محمود وأسلوب تربوي أمثل.

إن الوطن قطعة غالية منا، تكتحل عيوننا بأضواء شمسه وإشراقه ومعطياته، فينبغي أن يكون انتماؤنا له عملياً في قلوبنا وأرواحنا ومشاعرنا، نخلص له ونبر به، وندرأ عنه الشرور، ونتفاعل مع مستلزماته ونهوضه وتطوره تفاعلاً إيجابياً. وتعريف المواطن من خلال المؤسسات التربوية والإعلامية بالمحافظة على مكتسباته ورعايتها من خلال حسه الوطني.

ولا شك أن للتربية الوطنية المثلى دوراً فاعلاً في توجيه الشباب نحو الانتماء للوطن، والتفاعل الواعي مع التطورات الحضارية في ميادين العلوم وضروب الثقافة وفنون الآداب، وتوجيهها بما يعود على المجتمع بالخير والتقدم، ومواكبة تطورات العصر.

إن الانتماء للوطن والارتباط الوثيق بتاريخ أمتنا وحضارة ديننا الإسلامي والإفادة من سير أسلافنا سيكون ذلك نبراساً لنا في حاضرنا ومستقبلنا.

وبالجملة فإن التربية الوطنية وما تعلمه هذه المادة من مفاهيم وطنية وحب للوطن ودعم للحس الوطني وتنميته بما يخدم المصلحة الوطنية العامة في أهدافها وسيلة لتأكيد المواطنة وتكريسها، وتنمية الولاء والإخلاص للوطن وللعقيدة الإسلامية، وتهيئة المواطن ليكون عضواً نافعاً في بناء وطنه ومجتمعه، وواحة مشرقة لوطنه.

الجامعات ودورها في خدمة شباب الوطن

للجامعات دور مهم في خدمة شباب الوطن، وتوجيههم سلوكياً ومعرفياً لخدمة دينهم ووطنهم من خلال إيجاد برامج ومناشط وأنشطة وتربية أخلاقية.

فالتربية الأخلاقية من الأسس والمبادئ التي تقوم عليها التربية الإسلامية، وقد أكد القرآن الكريم والسنة النبوية على أهمية التربية الأخلاقية، وقد مدح الله نبيه محمداً ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: ٤].

وقد وصفت عائشة رضي الله عنها خلق الرسول ﷺ بقولها: (كان خلقه القرآن).

وأُمر بمحاسن الأخلاق وبعث بإتمامها، كما قال ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).

وأكد ﷺ على أهمية ذلك في قوله: (البر حسن الخلق)، وقال ﷺ (إن من خياركم أحسنكم أخلاقاً).

وتمثل التربية الأخلاقية في جميع مراحلها أهمية بالغة، وخاصة في هذا العصر، وتعد أساس المجتمع الصالح لغرس القيم والعادات والأخلاق والخصال الحميدة والاتجاهات الإيجابية، لذلك تولي الأمم التربية أهمية خاصة، وبناء شخصية الطفل بالعقل والتوجيه والتنمية، وغرس المبادئ الأخلاقية الإيجابية والقيم والاتجاهات والمثل العليا والمبادئ الدينية والأخلاقية. والتربية والتعليم هما الأساس الأول لبناء الإنسان.

والتربية وسيلة مثلى في النهوض بالأمة والرقي بها إلى سلم المجد والمعرفة والوعي والعرفان وصياغة العقول، فهي تغرس القيم النبيلة والسلوك السوي الرشيد الذي هو الأساس في نجاح الأمم، وتربي الشباب على خدمة المجتمع في جميع المجالات والتفكير الإبداعي.

وللتربية الأخلاقية دور حيوي مهم، فهي حجر الزاوية، وذات أولوية في بناء الإنسان وتطويره وبلورة مفاهيمه.

ولقد ركزت التربية على أهمية السلوك الإنساني وتطويره في إطار من عادات الأمة وتقاليد المجتمع وأخلاقياته.

والأخلاق الفاضلة كثيرة، منها: الإخلاص، والصبر، والحياء، والرحمة، والتعاون، والوفاء، والإيثار، والإحسان، والتواضع، إلى غير ذلك.

إن تنمية الروح الأخلاقية والسلوك الرشيد تحتاج إلى توجيه وتعليم وصبر، فقد كان رسول الله ﷺ هادياً ومعلماً ومربياً ومرشداً، كما قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥١].

ويقول الرسول ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً).

وهكذا فإن التربية الأخلاقية تتناول جوانب متعددة، وتتطلب مختلف الطرق والأساليب ذات التأثير المفيد التي تكفل النهج السوي وتوجد روح المودة والمحبة، وتؤدي إلى التعاون والالتزام بما أوضحه الإسلام من الآداب والفضائل التي تحكم علاقات الناس بعضهم مع بعض إذا رعوها حق رعايتها في تعاملهم وسلوكهم وحياتهم.

ولا ريب أن مسئولية الآباء والمربين كبيرة في توجيه أبنائهم وتلاميذهم إلى الالتزام بالتربية الأخلاقية، والإحساس بالمسئولية تجاه المجتمع، وكل ما يسهم في رفعة الوطن.

التربية هي مرآة الحياة بكل رقيّها وإنسانيتها

إن أهداف التربية في أي مجتمع من المجتمعات الإنسانية هي وليدة المجتمع نفسه، فهي أحد معالم حضارتها، ومرآة لحياتها ودوافعها.

ولقد أصبحت التربية علماً قائماً بذاته، وأضحت أكثر بلدان العالم تولي ذلك اهتماماً وعناية، كما أن لأغلب الجامعات أقساماً علمية للتربية، وفي السنوات الأخيرة صار الاهتمام أشد وأقوى لدى الكثير من البلدان، وخاصة ما يُسمى بالبلدان النامية؛ إذ تعتبر أن الاهتمام بالتربية هو أهم لبنات بناء المجتمع المتطور.

كما أن تعميم التربية ونشرها مسئولية كبيرة بقصد تربية الأجيال الصاعدة، ولا شك أن التربية القويمة هي عماد تقدم الأمم وتربية الأجيال الناشئة، ولكي نحقق هذا الهدف فلا بد أن نوفر المربين الصالحين الذين يأخذون على عاتقهم مسئولية بناء وتكوين رجال الغد وشعورهم بالمسئولية.

لذا ينبغي أن نصحح بعض المفاهيم الخاطئة لدى البعض عن أقسام التربية، وعدم الإقبال عليها، بل الزهد في مهنة التربية والتعليم، وقد يكون ذلك لأسباب متعدّدة، منها: أن دخل المربي ضئيل وقليل، كما أن عملية التدريس فيها إرهاق، وتحتاج إلى مزيد من الصبر، وندرة الخدمات الخاصة بالمعلمين.

أهمية تنمية مواهب الإبداع

إن مواكبة التغيّر الذي يطرأ على التربية في العالم يجعلنا نعمل على تعبئة إمكانات العمل التربوي ومقوماته، وعلينا أن ندخل القرن القادم بتفاؤل وإيمان وثقة، وتطوير مستوى التعليم، حيث أصبحت المعادلة الجديدة ترتكز على ذلك.

ويعد التعليم استثماراً في رأس المال البشري، إذ أن بناء الإنسان هو بناء كيان أي أمة من الأمم، وأبرز دعائم بناء الإنسان ومكوناته هو التعليم بكل ما يتطلبه ذلك من بحوث ودراسات وبرامج وتدريب، فمتى تربى الإنسان تربية متكاملة وتعلّم وقى نفسه، وأبدع وأنتج، وأعطى وأضاف، وسعى إلى ما يرفع من شأن أمته ويدفع بها إلى مواكب الأمم المتقدِّمة وتطوير مجتمعه اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً بحيث يكون عضواً نافعاً في بناء مجتمعه، ويشعر بمسئولية في خدمة بلاده والدفاع عنها، وتنمية إحساسه بمشكلات مجتمعه الثقافية والاقتصادية والاجتماعية، وإعداده للإسهام في حلّها، وتوفير الفرص المناسبة لتنمية قدراته؛ حتى يستطيع المساهمة في نهضة الأمة من خلال تكوين عقلية الجيل الجديد؛ ليتبوأ مكانته في هذا العالم الذي تتسابق شعوبه في مجالات التقدّم وضروب التطور وفنون الإبداع العلمي والتقني والثقافي والإعلامي.

أهمية تنمية الإبداع والتميز

لقد اهتمت التربية بالسلوك الإنساني وتنميته وتطويره في إطار من القيم والعادات والمثل ومعايير المجتمع والقيم الروحية، وتتجه التربية بمفهومها الواسع إلى تربية الفرد تربية متكاملة، يكتسب المرء فيها خبرات ومعارف متعددة، وقد حث الإسلام على طلب العلم والعمل والمعرفة والقوة، ومن هنا تتجلّى عظمة قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف).

والقوة المطلوبة أن نكون أقوياء في أخلاقنا وعقولنا وديننا وسلوكنا وأجسامنا وإيماننا على النهج الإسلامي الكريم، وتجديد التربية عن طريق التربية المستمرة، والتأكيد على أهمية تزويد الطلاب بالمعرفة والوعي اللازمين.

ولا شك أن العاملين في ميدان التربية والتعليم حريصون في سعيهم الدائب والمخلص على تنمية أنماط السلوك الإنساني في شبابنا؛ لتحقيق النمو السوي روحياً وعقلياً وخلقياً، إذ التربية وسيلة مثلى في النهوض بالأمة والرقي بها إلى سلم المجد والمعرفة والوعي والعرفان وصياغة العقول، فهي تغرس القيم النبيلة والسلوك السوي الرشيد الذي هو الأساس في نجاح الأمم، وما من شك في أن مناهجنا تعمل على تحقيق ذلك، وتصوغ شخصية الشاب، وتجعل منه عنصراً قادراً على اكتساب الخبرات، وتساعده على النمو المتكامل.

جودة التعليم من خلال جودة إدارته

نتحدث في كل لقاء وخلال كل منتدى عن أهمية تطوير المناهج وتحديثها لتلبية متطلبات التطورات الحديثة، ويأتي تحديث أنظمة وجودة التعليم ومواكبة المتغيِّرات الداخلية والخارجية خطوة رائدة، وكما هو معروف فإن العملية التعليمية عملية متحركة ومتطورة ومتغيِّرة بحكم تطور الحياة والمجتمعات، ومن الملائم أن تساير المناهج التعليمية هذا التغيير الحتمي وتواكبه، ولكي يكون التعليم محققاً لطموحات الأمة ملبياً لآمالها وتطلعاتها في حياةٍ أكثر رقياً وتطوراً ونماءً وازدهاراً، فإن تحديث المناهج وتطويرها هو السبيل الأمثل؛ لما لها من قوة وأهمية كبيرة في تحقيق الأهداف ومسايرة روح العصر وتحقيق الغايات والطموحات، ولا سيما في هذا العصر الذي يتسم بالعلم والتقنية، والتطورات العلمية والاقتصادية والتربوية، والتفجر المعرفي الهائل، وثورة المعلومات والاتصالات، وإلى مواكبة خطط التنمية الطموحة في المملكة.

وتشكل المناهج أربعة عناصر أساسية، هي:

١ - المحتوى.

٢ - والأهداف التعليمية.

٣ - وطرق التدريب.

٤ - ووسائله.

وهذه العناصر ينبغي أن تكون متناسقة ومتكاملة؛ لكي تحقق المناهج غاياتها وأهدافها، وتحقق سياسة التعليم على نحو متكامل وفعَّال، وتستوعب متغيِّرات العصر مع الحفاظ على القيم والمثل والتراث والتقاليد.

الاستثمار في بناء الإنسان هو الطريق الصحيح إلى مزيد من الإنجازات الحضارية

إن الاستثمار في بناء الإنسان من خلال التعليم والتدريب هو الطريق الصحيح إلى مزيد من الإنجازات الحضارية، ومن أجل مستقبل واعد يجب أن نصنع أجيال الغد لتنمو بقوة وإيمان، وتأخذ مكانها في الصدارة والتقدم، والشاب الصالح هو ذلك الشخص الذي يسهم في خدمة أمته وبلاده، يذود عن حماها ويدافع عن شرفها ويجاهد من أجل عزتها بإخلاص وعزم وتضحية وتفان.

فحب المواطن لوطنه هو الذي يصنع منه رجلاً قوياً صبوراً طموحاً، يساهم في العمل والتضحية وإنكار الذات. والإنسان ضعيف بنفسه قوي بإيمانه، وهذا الإيمان هو الذي يجعله دائماً يحس بالأمل والقوة والتفاؤل.

ولكي نضمن للوطن أبناء صالحين فلا بد من الاهتمام بتنشئة المواطنين الصالحين الذين تفيض نفوسهم حباً لوطنهم وولاءً وتضحية من أجله، ولذا يجب أن نبني الشباب ونصنع أجيال الغد بجهود ضخمة، ونرسخ ثقافة الحوار معهم كثقافة وممارسة يومية في المدارس والجامعات، ونجعل الحوار أسلوباً للتربية وتعزيز الجوانب الإيجابية.

فبناء الوطن لا يتم إلا على أيدي الأبناء الصالحين والمواطنين المخلصين الذين يذكرون ما عليهم من واجبات ومسئوليات في إطار

المحبة والصدق والإخلاص والتحلي بالخصال الكريمة والسجايا النبيلة والصفات المجيدة، يذودون عن شرفه ويضحون في سبيل الدفاع عنه، ويعملون على رفعته ويستجيبون لندائه، ويعملون على النهوض به إلى ذروة المجد ومعارج التقدم والرقي.

فمتى امتلأت القلوب بتلك المعاني الخيرة وتعلّقت بتلك المبادئ السامية أصبح المواطنون فخراً لوطنهم وذخراً لبلادهم وشرفاً لأمتهم، ولقد قيل:

إن التجارب للشيوخ وإنما أمل البلاد يكون في شبانها

إن التربية السليمة للشباب هي أفضل وسيلة لكل جيل يتطلع نحو المعرفة بأبعادها المتنوّعة، وإثراء خبراته العلمية والعملية، وتوجيهها نحو الخير والصلاح والوصول إلى الغايات السامية، وتعميق تلك المفاهيم في الأذهان. وكم نحن في حاجة إلى تصحيح الكثير من المفاهيم التربوية، وصياغة التربية في مدارسنا وبيوتنا ومجتمعنا على أساس التربية الإسلامية القويمة، حتى تتبلور المفاهيم، وتُبنى رجال المستقبل ليسيروا في طريق العلم والخلق والرشاد، ويسايروا التطور المفيد الذي يحقق أهداف الأمة وغاياتها النبيلة، ويفسحوا المجال لتحقيق نمو قدرات ومهارات الشباب واستعداداتهم، وما وهبهم الله من غرائز وميول واستعدادات فطرية وخصائص فكرية، وغير ذلك مما يرفع من مستوى الشباب ليكونوا رجالاً مؤمنين ومواطنين صالحين قادرين على القيام بما يفرضه الواجب عليهم من مسئوليات، وما يحتاجه وطنهم من عطاء وخدمات، مما يجعله يتبوأ المكانة الرفيعة والمنزلة العالية التي هو جدير بها من أجل مستقبل أفضل، وتحقيق الأهداف التي تنشدها الأمة في تربية شبابها علمياً وسلوكياً.

الثقافة ودورها في الرقي بالمجتمع

إن الثقافة عماد رئيسي للنهضة والتطور، ومن بين الإشكاليات التي طرحها الفكر النهضوي: العلاقة بين الثقافة والعلم، من حيث إن اكتسابهما شرط للحاق بركب التقدّم.

وللثقافة دور في بناء الفرد والمجتمع، وتوجيهه توجيهاً سليماً، وتزويده بالعلم والثقافة والتربية التي تؤدي إلى ترسيخ مبادئ الإيمان بمثله وقيمه التي غذت الفكر البشري وأعطته مزايا متنوّعة. وحب العلم ينطلق من ركائز آفاقها.

والثقافة تزدهر في أجواء العلم والحضارة والإبداع والقدرة على التفاعل، ومن أجل تحقيق ذلك فإن دورها حيوي ومتميز، يجعل الرؤية تتضح من آفاق الوعي والصدق والإخلاص والعطاء والحث على حب المعرفة والفكر المبدع، وغير ذلك من المفاهيم التي تربي الإنسان على القيم والمثل والوعي والممارسات السلوكية الرشيدة والإحساس بالمسئولية، وبلورة تصرفات الفرد بما يتلاءم مع الصدق والإيمان، وتجنب الانحراف والفساد الذي يتعارض مع الدين وحب الوطن والإخلاص له بإيجابية فاعلة.

فالثقافة تستهدف الإيجابية والعطاء والاستجابة للعمل والتضحية، والعمل على تحقيق الصالح العام، واستيعاب حضارة العصر بما يتلاءم مع الدين والتراث، والبعد عن كل أشكال السلبية والضعف والتخلف.

بل ينبغي أن تكون الثقافة عنصر تقدم ورمز تطور ورغبة في البناء والنهضة وتحقيق الطموحات والآمال؛ إذ بتطلعات شباب الوطن وطموحاتهم وعزائمهم القوية ترتقي أمتهم مدارج الرقي والحضارة، وتحقق آمالها برقي وعي الشباب وقوة عزيمته وطاقاته وحيويته وحسن تربيته.

فمتى حرصنا على توجيه الشباب الوجهة التربوية الإسلامية الصحيحة فالشباب سيحملون بين جوانحهم الحيوية والنشاط، ويحققون النفع لأمتهم ووطنهم، فهي تساعد الفرد على النمو المتكامل لبناء شخصيته وأخلاقه، مع الالتزام بالأمانة والإخلاص والآداب والفضائل التي تستشعر طرق الخير ووسائل الإصلاح.

أهمية تأصيل القيم التربوية في نفوس الناشئة

الإسلام دين الفطرة، وجوهر الإنسان رسالات السماء، فهي تحرص على بناء الفرد وتنمية شخصيته السوية.

ولعل من أبرز ما يميز التربية الإسلامية: العلاقة الإنسانية الصافية التي تصل بين الطالب ومعلمه، فالتلميذ يعتز بأستاذه، والمعلم يفخر بتلميذه ويحوطه بعنايته ورعايته واهتمامه. وما أكثر المربين من أسلافنا من أصحاب النظريات والمدارس التربوية والمذاهب التعليمية، من أمثال: الغزالي الذي يرى أن صناعة التعليم أشرف الصناعات، وابن جماعة، وابن عبد البر، وابن خلدون الذي تضمنت مقدمته أفكاراً جديدة في التربية والتعليم، والقابسي، وسحنون، ومسكويه، وأبو بكر ابن العربي الذي طرح الكثير من آرائه التربوية في كتابه "العواصم من القواصم" وكتاب "سراج المريدين"، فهو يرى أن الإنسان إنما يكتسب الفضائل بفضل التربية والتعليم، ويرى أن التربية هي الأساس في كل شيء، ويركز على أهمية الفضائل الخلقية وتربية النفوس وتقويم الأخلاق.

لقد كان رواد التربية الإسلامية يحرصون على الترابط بين المعلم والمتعلم وإخلاص النيّة، واحترام المعلم والتواضع، والطاعة والاستيعاب والمتابعة، وغير ذلك من الصفات الخلقية ومنهج التعليم وأساليبه وروح البحث العلمي.

أطفالنا المبدعون وأهمية اكتشاف مواهبهم

هناك تقصير من جانب الأدباء والمربين والباحثين في حق الأطفال، وإن الكتابة للطفل تحتاج إلى ثقافة واسعة وموهبة ومقدرة، وإن أدب الأطفال ناحية حيوية وفن متميز، يربط العلاقة بين الأدب والطفولة، ويؤصل العقيدة السليمة والأخلاق الكريمة والسلوك الرشيد.

فالطفل أحوج ما يكون إلى غرس العادات الحسنة والتربية المستقيمة، وتوضيح الأهداف التربوية من خلال القصص والروايات، فالقصة والرواية وسيلتان من وسائل التعليم، و يستفاد منهما المشاركة في الخبرة والتجربة والتسلية، وأن تكون مرآة صادقة للحياة، ويبرز فيهما أهمية المثل العليا والأخلاق والعادات والتقاليد، وتوضيح الأهداف التربوية وأحداث التاريخ الإسلامي، خاصة وأن تراثنا الإسلامي حافل بثروة ضخمة من الروايات والملاحم والحكايات، وسيرة القادة والعلماء والأدباء والمفكرين المسلمين في العصور الإسلامية المزدهرة للدولة الإسلامية، وسيكون لذلك أثره في تربية الأطفال وتعليمهم، وتنشئتهم النشأة الإسلامية الصحيحة، مع ملاحظة المضمون المناسب لهذا اللون من الأدب.

لقد أصبح أدب الأطفال مادة حيوية مهمة، وفرعاً جديداً من فروع الأدب العام، وظهرت دور نشر متخصصة في طبع ونشر كتب الأطفال، واختيار الكتاب المناسب وتحسين طباعته وتصويره بالألوان الجذابة والمشوقة للطفل؛ ليستمتع بكل ما فيه.

ولعل من المهم أن يلاحظ الكاتب اهتمامات كل مرحلة من مراحل الطفولة وميولها وحاجاتها النفسية والوجدانية، ومقدرتها واستيعابها؛ لكتابة الأدب المناسب بالأسلوب المناسب، واختيار الأدب الذي يربطهم بالحياة، ويهيئ لهم فرصة المعرفة والإدراك، والطموح والآمال، وتنمية الوعي وروح التعاون، والإحساس والمثابرة والإخلاص، وتقوية نواحي الدين والأخلاق، وتنمية إدراكهم الروحي والفكري وتوسيع آفاقهم وتقوية إيمانهم بالله؛ ليقوموا بواجباتهم طبقاً لأهداف التربية الإسلامية المثلى.

الجامعات وتفعيل دورها
في رعاية المواهب وتشجيع الابتكار

إن التفوق العلمي والإبداع التقني أعطى الحضارة المعاصرة كل ما تموج به من منجزات، والجامعات في كل أمة صروح علمية شامخة، ومظهر من مظاهر التقدم والرقي، حيث تحتل مكانة مرموقة، وتحرص على الارتباط بالمجتمع بجميع عناصره وأفراده ومؤسساته؛ تأكيداً لدورها الريادي في التعرف على ظروف المجتمع وفق منهج علمي وبرامج تتفاعل مع متطلبات خطط التنمية.

ويعتبر البحث رافداً من روافد العلم والمعرفة والثقافة؛ لما يختص به من سمات تختلف عن الروافد الأخرى، وهو الركيزة الأولى التي يبنى عليها التطور.

وإن التواصل بين الجامعة والمجتمع عمل جليل، فهي المنهل الصافي التي تعمل على إعداد المتخصصين وتلبية حاجات البلاد؛ تجسيداً لأهدافها وتحقيقاً لرسالتها.

وللجامعات رسالة عظيمة ودور حيوي كبير في تنشيط البحث العلمي في مختلف جوانبه وفروعه، وقد أخذت معظم جامعاتنا تسير على الطريق بعزم قوي وبخطى ثابتة وطموح وثاب، وذلك مصدر فرح واعتزاز، ومازلنا نأمل المزيد من التطور والتقدم في ميادين البحث العلمي وضروب المعرفة؛ لتصبح هذه الجامعات منارات علم وأدب

وفكر نيّر، خاصة بعد أن توفرت لها كل المقومات وظروف العطاء والإنتاج والإبداع، فهي تحقق الارتباط الكامل بظروف البيئة واحتياجات المجتمع، وتواكب تطورات العلوم والتطبيقات المبتكرة لحل مشكلات المجتمع من خلال عملية التعليم والبحث العلمي.

فالجامعة تؤثّر على الحياة العملية والاجتماعية والثقافية من خلال مناهجها وما يقوم به أعضاء هيئة التدريس من نشاطات إبداعية وبحوث علمية.

وإن من أهم الأهداف: الانفتاح على المجتمع وقد توفرت لها اليوم الأطر الإدارية والفنية من أبناء هذا البلد وغيرهم، كما توجد بها أحدث الأجهزة التقنية مما يعين ويختصر الوقت ويسهل أساليب البحث والتحليل؛ لتؤتي ثمارها الطيبة وأكلها الجني في تطور البحث العلمي وبناء المجتمع وخدمة المعرفة، واللغة العربية، التي هي وعاء الدين، ولغة القرآن العظيم.

ومن الواجب في ظل تكالب "العاميات" على اللغة العربية في الإعلام المرئي والمسموع الاهتمام باللغة العربية وحراستها، والعمل من أجل نشرها وتغليبها.

هيأ الله لجامعاتنا النجاح في صنع الحضارة والمبادرات الإيجابية.

الاهتمام بالتعليم والبحث العلمي
من أهم المعايير التي يعتمد عليها
في الحكم على مدى تقدم الجامعات

تظل الجامعات ورسالتها في المجتمع من أكثر الموضوعات طرحاً ومناقشة، وتسعى الدولة المتقدمة إلى تطوير أنظمة جامعاتها ومراكزها البحثية؛ لرؤية جودتها ومدى ملاءمتها لهذا العصر ومتطلباته، ودعم التعليم وإصلاحه، ولذلك حققت نمواً وتطوراً علمياً واقتصادياً ملحوظاً.

ولا شك أن تطوير نظم الجامعات ووضع مناهج وخطط وبرامج على أحدث ما توصل إليه العلم من أساليب تعنى بالكيف أصبح اليوم هدفاً وغاية.

وغني عن القول أن الجامعة لها ثلاثة أهداف رئيسة:

أول هذه الأهداف: التدريس.

أما الهدف الثاني فهو: البحث العلمي.

والهدف الثالث: خدمة المجتمع والتواصل معه، والإسهام في نموه وتطوره، وذلك في إطار رؤية مستقبلية.

ولا بد من التوازن بين هذه الأهداف والغايات، حتى تحتل الجامعة مكان الصدارة وتتبوأ المنزلة اللائقة بها كمركز للإبداع والإنماء العلمي والثقافي في المجتمع، وإعداد رواد القلم والفكر والبحث والمعرفة، وتكوين البنية التربوية والتقدم العلمي.

ولا يماري أحد في ما بلغته جامعاتنا اليوم من مكانة مرموقة، حيث تضم كفاءات عالية وتجمع نخبة ممتازة من أبناء هذا البلد، مما يبشر بخير ويدعو إلى التفاؤل والأمل في أن يقوم التواصل بين الجامعة والمجتمع، إذ الجامعة هي المنهل الصافي وقلعة من قلاع المعرفة، وقاعدة أصيلة تحظى بالثقة والتطلع، وتخص قضايا المجتمع باهتمامها وعنايتها، وتلبي حاجات البلاد بالمتخصصين تحقيقاً لرسالتها السامية.

وللجامعات رسالة عظيمة، ودور حيوي كبير في تنشيط البحث العلمي في مختلف فروعه وجوانبه.

ولقد أخذت بعض جامعاتنا تسير على الطريق بعزم قوي وخطى ثابتة وطموح وثاب، وذلك مصدر سعادة واعتزاز، وما زلنا نأمل المزيد من العطاء والإنتاج في ميادين البحث العلمي ومجالات المعرفة؛ لتصبح هذه الجامعات منارات علم وفكر، وصروح معرفة وبحث، فهي صاحبة خصائص قل أن تتوفر في غيرها، خصوصاً بعد أن توافرت لها الإمكانات والمقومات وظروف العطاء والإنتاج والإبداع، وبذلك تكون ذات أثر في بناء المجتمع ومساهمة في رفعة وعلو شأنه، مما يجعلها موضع الإعجاب والاحترام، وأن تعيد لهذه البلاد مكانتها العلمية المجيدة.

دار التوحيد
ومضي ٧٠ عاماً على تأسيسها

كانت دار التوحيد تمثل قلعة من قلاع المعرفة في بلادنا، وكان لها فضل في صناعة جيل أصبح لهم الريادة فيما بعد.

دار التوحيد نموذج فريد لريادة الملك عبد العزيز التعليمية في خدمة القضاء والدعوة، وإن اسم هذه المدرسة أطلقه عليها الملك عبد العزيز رحمه الله، وأشرف بنفسه على تأسيسها سنة ١٣٦٤هـ، وربطها بالديوان الملكي؛ لتحظى باهتمامه، وسعى إلى تسميتها بدار التوحيد انطلاقاً من إيمانه بالعقيدة الصحيحة، وليكون دافعاً قوياً لأولياء أمور الطلبة لإلحاق أبنائهم بها، إدراكاً منه لأهمية العلم وحاجة أفراد المجتمع إليه.

وقد كلَّف علامة الشام محمد بهجت البيطار لتنفيذ الفكرة واختيار المكان الملائم، فوقع الاختيار على مدينة الطائف.

ويسعدنا هنا إبراز دور منبر من منابر العلم والمعرفة في بلادنا، والتي كانت منبراً للتعليم، وساهمت في خدمة العلم، وهي نموذج بارز لريادة الملك عبد العزيز في خدمة القضاء والدعوة في إطار ريادته التعليمية بجوانبها المتعددة.

وكانت الدار فاتحة تطور مهم في نظام التعليم الثانوي، كما أنها فتحت الطريق للتعليم العالي، فمهَّدت لتأسيس كلية الشريعة عام ١٣٦٩هـ، وأصبحت تجربة تعليمية متميزة بمناهجها وطرق التدريس فيها،

وقد خرَّجت أعداداً كبيرة من القضاة والمعلمين والأدباء والكُتَّاب والشعراء والباحثين الذين شغلوا مناصب قيادية عليا في مؤسسات الدولة.

وتبقى الذكريات عن هذه المدرسة محفورة في أعماق الوجدان وخلجات الإحساس.

وكل فرد في هذه الحياة لا بد له من ذكريات في أي ناحية من نواحيها العلمية والاجتماعية والفكرية، هي حصيلة تجارب وصور مفعمة بالمواقف والوقائع والأحداث، تجسِّد تاريخاً ومنعطفاً في الحياة. من أجل هذا أجدني سعيداً أني تلقيت بداية تعليمي في دار التوحيد الذي أمدني بكثير من الوسائل والغايات التي بدأت أتطلع إليها.

ودار التوحيد وحدها تنفرد باسمها الذي كان تعبيراً عن فكر الملك عبد العزيز رحمه الله الذي أقام دولته على التوحيد، وكانت من أولى تجارب الملك التربوية وأبرزها، وكانت بداية تطوير مهم في نظام التعليم الثانوي.

لقد كانت هذه المدرسة ظاهرة تربوية فريدة بما فيها من أساتذة وطرق تدريس، ولمحفلها الثقافي، حيث إن موقع الطائف كمصيف جعلها موضع اهتمام الأدباء والعلماء والشعراء ومحطّ رحالهم في فصل الصيف، فالموقع الجغرافي والجو الجميل والتراث العلمي والأدبي كل ذلك جعل من الطائف مكاناً مناسباً لإنشاء مدرسة دار التوحيد.

ولالتحاقي بدار التوحيد قصة، فقد حصلت على الشهادة الابتدائية عام ١٣٧٠هـ، وذهبت إلى مكة المكرمة وقابلت الشيخ محمد بن مانع مدير المعارف العام رحمه الله، حيث كنت أريد الالتحاق بمدرسة تحضير البعثات، فأجرى معي الشيخ ابن مانع مقابلة، وطرح عليَّ أسئلة متنوعة،

كان آخرها: متى يجوز الابتداء بالنكرة؟ وكنت أحفظ بعض أبواب ألفية ابن مالك، فكنت أجيبه بأبيات منها، وقلت جواباً عن سؤاله الأخير:

ولا يجوز الابتداء بالنكرة ما لم تفد كعند زيد نمرة

فقال: اذهب إلى دار التوحيد.

ودار التوحيد كان لها دور مؤثر ومتميز، فقد مضى على تأسيسها حتى الآن نحو ٧٠ عاماً، حيث أُنشئت في عام ١٣٦٤هـ. وهي حافلة بالعطاء والضياء، والعلم والمعرفة، فهي إحدى ركائز النهضة العلمية المثلى، ولها أثر في ملحمة بناء صرح التعليم الشامخ في بلادنا.

ومن المعروف أن أول عنصر وركيزة في بناء الأمة هو وعيها وعلمها وثقافتها. ودار التوحيد كانت قلعة من قلاع المعرفة، وكان لها فضل الإسهام في إنشاء جيل أصبح له مركز الريادة في بلادنا، واتسم طلابها بالجد والعزيمة والطموح، فكانت منهلاً للثقافة والوعي والنبوغ. فترى الطالب دائرة معارف في مختلف العلوم والفنون، يفيض على زملائه بعلم زاخر وأدب جم، يتنقَّل بك في رياض وبساتين ثمارها يانعة، يبحث عن الحقائق ويطلب ويسعى إلى المعرفة ويسعى إليها، قد حصل من العلم غايته، ومن المعرفة هدفاً يسعى إلى تحصيله، يترفع عن الإسفاف والدنايا والسلبية والميوعة والضعف والارتخاء واللهو وهدر الوقت فيما لا يجدي مما يقتل الطموح والآمال والهمم ومعالي الأمور.

وكان أول رئيس للنادي الأدبي بدار التوحيد: الطالب -الشيخ حالياً- عبد الله بن خميس.

ومن طلابها المشايخ: محمد بن جبير، وعثمان الحقيل، وعبد العزيز المسند، وعبد المحسن التويجري، وسعد أبو معطي، وحمد

الشاوي، وعبد الله الفالح، وصالح الحصين، وسعد الحصين، وعبد الله البسام، وعبد العزيز وعلي التويجري، وصالح العلي، وعثمان بن سيار، وعبد العزيز بن ربيعة، وحسن بن عبد الله آل الشيخ، وغيرهم ممن لا يتسع المجال لذكرهم .

وكان النادي في كل مساء خميس قبساً وضياءً ومشعلاً وهّاجاً، ومليئاً بالحيوية والنشاط، يسير بتوجيه هادف ومنهج بنَّاء، ترى فيه التنافس الشريف نحو إبراز تاريخ الأمة وآدابها وتراثها، وأمجادها ومفاخرها وسِير أبطالها، والمحافظة على اللغة العربية ومعرفة خبايا علومها وآدابها وروائعها وخصائصها.

وأذكر في إحدى الأمسيات أني ألقيت قصيدة حافظ إبراهيم على لسان اللغة العربية وغير ذلك من الموضوعات الهادفة السامية، وكل ما يحث على الأخلاق العالية والمُثل الكريمة، وكل ما يبني النفوس ويربي الأخلاق، وقد أصبح هذا النادي حدثاً أسبوعياً تنتظره المدينة من الآباء والأعيان، حيث المساجلات الشعرية والمسرحيات الفكاهية والتمثيليات الهادفة، وغير ذلك مما يصقل مواهب الطلاب وينمي ملكاتهم، ويأخذ بأيديهم إلى الطريق الأقوم، وتحقيق الأهداف التعليمية.

وكانت كلية الشريعة بمكة المكرمة هي الكلية الوحيدة التي تقبل خريجي دار التوحيد، ولما ظهر تفوُّق طلابها بدأت الكليات المختلفة في قبولهم.

ومن مدرسيها: المشايخ محمد أبو زهرة، ومحمد متولي الشعراوي، ومحمد أبو شهبة، وعبد الرزاق عفيفي، وغيرهم من العلماء الأعلام من مصر وسوريا والسعودية. وكان الشيخ محمد بن مانع مدير المعارف مهتماً بها، حيث أُسندت إليه رئاستها إلى جانب عمله.

وهكذا تظل الذكريات عن دار التوحيد صورة من الصور التاريخية والأدبية التي لها أثر في إثراء الفكر والأدب والعلم والمعرفة، ويجد القارئ فيها دروساً وعبرة، وفائدة ومتعة، حيث كانت دار التوحيد مناراً عملاقاً ترفرف رايته. ويمكن أن يصوغ المرء من تلك الذكريات وما تركته صوراً من أجلّ الذكريات وأمتع الأيام وأبهج الأمسيات، وأسمى الندوات والمسامرات العابقة بالحقائق والمتوهجة بالذكريات، والمفعمة بالطموح والمليئة بالآمال.

وهكذا فما زالت الصورة الجميلة في نفسي لدار التوحيد باقية تعيش في مخيلتي لتذكّرني بتلك الأيام الجميلة، وقديماً قيل:

كم منزل في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبداً لأول منزل

المؤسسات التربوية ودورها في ترسيخ الوعي بالحفاظ على المرافق العامة

لا شك أن الوعي في بلادنا قد تطور نتيجة التوجيه الهادف والإرشاد السليم، كما أن الصحافة والإذاعة والتلفاز تقدم الكثير من برامج الثقافة والتوعية والوعي. وعلينا أن نبادر بالاستجابة نحو تلك التوعية لتحقيق الأهداف المنشودة، ومن ذلك الدعوة إلى الاهتمام بالمرافق العامة، فإذا استطاع كل واحد منا أن يحافظ على تلك المرافق كما يحافظ على ممتلكاته وبيته فإننا نكون قد حققنا مزيداً من النجاح والتقدم.

والمرافق العامة هي: المنشآت التي ينتفع الناس بها، ويشتركون في الاستفادة منها، من طرق ومدارس ومكتبات ومستشفيات وحدائق، وغيرها مما يشترك في الانتفاع به جميع الناس. ولذلك لا يجوز العبث بها؛ لأنها للجميع، يشتركون في الإفادة والانتفاع بها، ويجب عليهم المحافظة عليها حتى تبقى سليمة تؤدي الغرض منها.

وتظل عنوان وعي ورمز تقدم وتماسك، ويجب أن ننظر إلى تلك المرافق نظرة اهتمام بها مع ضرورة المحافظة عليها؛ لتظل تؤدي دورها في خدمة المجتمع، فالطرق كلما حافظنا عليها بقيت صالحة للاستعمال فترة طويلة، وكذلك الحدائق، فهي مظهر جمالي يستفيد الجميع منها، فإذا حرص كل فرد على صيانتها وعدم العبث بها بقيت زاهية جميلة.

كذلك المدرسة يجب على الطلبة أن يحرصوا على أن تكون نظيفة

وجميلة؛ حتى تبقى تؤدي رسالتها التربوية فيما يعود بالخير والفائدة.

كذلك الشوارع والمكتبات والمستشفيات والمساجد والمؤسسات، وغير ذلك من المرافق العامة، فهي أمانة في أعناقنا، ويجب الحفاظ عليها؛ لتبقى في تأدية رسالتها. كما أن العبث بها قضاء عليها، ودليل على موت روح الإحساس وقلة الوعي والإهمال.

وإن علينا نحن الآباء والمربين والموجهين أن نكون قدوة حسنة ومثالاً كريماً لأبنائنا وشبابنا ومجتمعنا، وأن يتمثل ذلك في سلوكنا وتعاملنا، ومحافظتنا على مرافقنا العامة وتجنب مساوئ ذلك.

وجدير بكل مواطن في هذا البلد الكريم أن يكون نموذجاً صالحاً وقدوة حسنة لغيره في المحافظة على المرافق العامة وصيانتها؛ لما لها من أهمية بالغة في حياة المجتمع وسعادته.

سدد الله الخطى، ووفق الجميع.

أهمية نشر ثقافة الجودة بين منسوبي التعليم

إن الاهتمام بنشر ثقافة الجودة في التعليم من العوامل المؤثرة، حيث تدفع بعجلة تطوير التعليم دائماً، إذ إن للتربية دوراً حيوياً مهماً، فهي حجر الزاوية وذات أولوية في بناء الإنسان وتطويره، وبلورة مفاهيمه وسلوكه.

ولقد ركزت التربية على أهمية السلوك الإنساني وتطويره في إطار من عادات الأمة وتقاليد المجتمع وأخلاقياته.

والتربية الإسلامية هي المرتكز الأساس في عملية التنشئة الفكرية والتربوية والخلقية والاجتماعية، والمعلمون هم أساس العطاء والأداء المتميز، فهم يحملون مسئولية وأمانة تربية الناشئة، وتعليمهم أنواع المعرفة المختلفة في كافة الميادين، وتبصير الأبناء بالمفاهيم الأساسية لأنماط السلوك الإنساني، وربطه بحقائق الحياة وقواعد الدين وعلى أساس من الفهم والوعي والإيمان والممارسة، وحماية الثوابت الحضارية العربية الإسلامية لمواجهة بعض الأفكار التي تطرح في إطار العولمة.

وإن تنمية الروح الأخلاقية والسلوك الإنساني الرشيد يحتاج إلى توجيه وتعليم وصبر، فقد كان رسول الله ﷺ هادياً ومعلماً ومربياً ومرشداً، كما قال تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البَقَرَة: ١٥١].

ويقول الرسول ﷺ: (خيركم إسلاماً أحسنكم أخلاقاً إذا فقهوا).

وهكذا فإن التربية الأخلاقية تتناول جوانب متعددة، وتتطلب مختلف الطرق والأساليب ذات التأثير المفيد والتي تكفل النهج السوي، وتوجد روح المودة والمحبة، وتؤدي إلى التعاون والالتزام بما أوضحه الإسلام من الآداب والفضائل التي تحكم علاقات الناس بعضهم مع بعض إذا رعوها حق رعايتها في تعاملهم وأنماط سلوكهم الإنساني الرشيد، والاهتمام لدى الطلاب بتكوين المواقف والاتجاهات الإيجابية الفعالة التي تمكنهم من مواجهة التغير أياً كان وأنى كان، والتكيف مع الجديد، وامتلاك مهارات الإبداع وكفاياته، وتحسين جودة التعليم، والتفاعل مع قيمها التي تجمع بين القيم التربوية والسلوكية الناجحة والرؤى المستقبلية المتقدمة.

هذا وبالله التوفيق.

التربية بين المدرسة والمنزل والمجتمع

لقد احتلت السياسة التعليمية مركز الصدارة في برامج خطط التنمية، وإن الهدف الأساسي للتربية هو خلق المواطن الصالح المنتج، وإنماء مواهبه، وتوجيهها نحو غايات نبيلة ومقاصد كريمة، من خلال ما يقدم إليه من توجيهات وخبرات ومعلومات، وإفساح المجال أمام مواهبه، واكتساب المبادئ والأهداف على وجه يهدف إلى الخير والصالح العام.

وتوجيه الأبناء يحتاج إلى نوع من المرونة والوعي، إذ نجد البعض من الآباء يلقي على ابنه مسئوليات متعددة، مما تؤدي إلى إعاقته عن أداء واجباته المدرسية، ويسبب له التوتر وعدم الشعور بالرضا والاستقرار والأمن النفسي، وكذلك المعاملة السيئة أو القاسية أو التدليل الزائد أو الحرمان مما يزيد في تعقيده، وينجم عن ذلك تكوين شخصية غير قادرة على تحمل المسئولية.

إن الأسرة من أهم أركان التربية، وكلما كانت التربية صحيحة حققت الأمم نجاحها وتفوقها.

إن الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع الصالح المتماسك المتعاون، وإذا لم يكن أساس الحياة وقاعدتها سليماً صلباً وقوياً انهار البناء وتهدم. ولكم نقرأ بين حين وآخر عن انهيار الأسرة وتصدعها في كثير من المجتمعات المتحضرة، وذلك نتيجة البعد عن المنهج الرشيد، وعدم الاهتمام ببناء الأخلاق والروح، وكلنا يدرك مدى أهمية ذلك في بناء النفوس ومدها بالغذاء والتوجيه الذي يجعلها تستقيم وتصلح.

إن العودة إلى منهج الإسلام تؤكد لنا أهمية الأسرة ودورها في الإصلاح، فلها دور كبير ورائد في بناء المجتمع، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام: (كلكم راع، وكلكم مسئول عن رعيته).

وبذلك ندرك أن القاعدة الإسلامية متينة وراسخة في أهمية الدعوة إلى ذلك، والحرص على حسن الرعاية والتوجيه والإرشاد والعناية. وكم للمدرسة وأساتذتها من دور رائد في هذا المجال، وكذلك الآباء والأمهات عليهم واجب وأمانة في التوجيه والإرشاد، والرعاية وحسن القدوة.

فواجب الأسرة أن تؤدي رسالتها في تربية أولادها، فإن الآباء والأمهات رعاة مسئولون عنهم.

ولا شك أن المنهج التعليمي الرشيد والوسائل الإعلامية بقنواتها المتعددة لها أثر كبير في التوجيه والإصلاح، والإرشاد والدعوة إلى الصلاح والاستقامة، وكل ما يخدم الأهداف النبيلة، والتربية المثلى والثقة والطموح، وبناء الشخصية المستقلة، حتى نوجد شباباً صالحاً هدفه الأسمى السعي الجاد فيما يخدم وطنه ومجتمعه ودينه وأمته، وأن يتحمل المسئولية بأمانة وإخلاص وفهم، وأن يدرك رسالته في الحياة نحو نفسه ومجتمعه، مقدراً واجباته، وراعياً لأمانته، ومحافظاً على كل ما من شأنه مصلحة الفرد والجماعة والوطن.

ولا شك أن دور المدرسة عظيم، ولا يقل عن البيت، حتى يكون هؤلاء الشباب ركناً قوياً ودعامة فاعلة في بناء الوطن الذي يتخذ من العلم والتربية وسيلة للوصول إلى القوة والمجد، والتقدم والحضارة في هذا العصر الذي لا مكان فيه إلا للمتعلمين الأقوياء.

ولا ننسى في هذا المقام دور المرشد الاجتماعي، وما ينبغي أن يقوم به من دور في دعم الروابط والعلاقات بين المنزل والمدرسة، وحل مشكلات الطلاب، وتطوير قدراتهم وأساليب تفكيرهم وأدائهم التطبيقي، ودعم التفاهم، والتصدي للمشكلات بأسلوب تربوي حميد.

كما أن جميع النظريات التربوية تؤكد على أهمية وتعزيز العلاقة بين البيت والمدرسة، كما أن المنهج له أثر كبير في شد الطلاب حينما يشعرون أنه يلبي حاجاتهم ويشبع طموحاتهم، ويثري تطلعاتهم ويرتبط بواقعهم ومشكلاتهم، كما أن المدرس والمدرسة والوسائل التعليمية كل تلك العوامل تثري العملية التعليمية بتعاونها وحسن توظيفها بأسلوب وطريقة علمية محببة.

إن التربية عامل حيوي وهام في تشكيل شخصية وكيان الأبناء حين ينشئون على ما تعودوا عليه من أصول التربية.

والمنزل هو البذرة الأولى لتكوين شخصية الطالب وما سيكون عليه في المستقبل، فهو يغرس المثل والفضائل، والفهم الصحيح للحياة وما يجب فيها، وما ينبغي أن تكون عليه. والمدرسة هي مركز إشعاع ونور تربوي، وهي المعلّم الثاني، فهي تكمل ما بدأه المنزل والأسرة من التقويم والإصلاح والتعليم والتربية، فرسالتها تربوية وأخلاقية وإصلاحية واجتماعية وسلوكية، لذلك لا بد من أن تكون هناك صلات وثيقة بين البيت والمدرسة.

ومن الواضح أن التربية ومشاكلها ما هي إلا جزء من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والثقافية للمجتمع.

ولا شك أن معرفتنا الحقة بمسئوليتنا المشتركة وتصحيح المفاهيم

والإحساس بالمسئولية الملقاة على عاتق البيت والمدرسة كفيل بتوفيق الله بتحقيق الأهداف والمعاني السامية المنشودة في تيسير وتكامل العملية التعليمية التي تحقق الحياة الكريمة والبناء القويم.

فلنحرص على تشجيع التعاون وتبادل الآراء بين المدرسة والبيت، وبين المعلم والموجه وأولياء أمور الطلاب، وتنمية روح التعاون والحوار البناء، والتنسيق بين تلك الجهود، وبناء جسور من العلاقة والمحبة؛ لضمان الحصول على النتائج الإيجابية المنشودة، وبناء الإنسان المبدع المتفوق حتى يتبوأ المكانة المرموقة ويحقق الغايات النبيلة والأهداف المرجوة.

وبالله التوفيق.

أهمية رعاية الشباب ودعم منظومة الابتكار والإبداع

عاشت بلادنا مرحلة مهمة من مسيرة تطورها ورقيها. وتعد الموهبة والإبداع من العناصر الأساسية للنهضة والمعرفة. ومنذ أيام التقيت بمربٍّ كريم فكان الحديث يفيض حماسة وغيرة حول شباب المستقبل، وأهمية فتح الحوار معه عبر قنوات وسائل الإعلام لطرح مشكلاتهم والإجابة عليها من قبل متخصصين، ومناقشة الصعاب والمشكلات التي يواجهها الطلاب بعد التخرج من الثانوية؛ إذ أنهم لم يهيؤوا مهنياً ولا علمياً من أجل اختيار الطريق الصحيح لهم سواء في العمل أو التخصص الذي يميلون إليه ويرغبون فيه.

ولذا لا بد من تطوير التعليم الثانوي، وتهيئة الطلاب لسوق العمل بالمهارات التي يحتاجها السوق الحاضر، من مهارات على الحاسب الآلي والحرف المطلوبة واللغة الإنجليزية؛ من أجل الوصول إلى الهدف المنشود في تنمية الطالب بحسن التعليم لا التلقين والحفظ، بل بفتح آفاق المعرفة أمام العقول الشابة، وتعميق الاهتمام والاستغلال الأمثل للتقنيات الحديثة، وانتقاء أفضل الأساليب لتطوير مواهب الشباب وفق خطة عمل مرحلية.

إن التربية الصالحة السليمة للطريق السوي من أهم دعائم النجاح في هذه الحياة وبناء المستقبل قوياً مستقراً، ولقد قيل: أعطني تعليماً جيداً أعطك أمة صالحة.

ولا مراء في أن للتربية بمفهومها الواسع ومضامينها المتعددة أثراً وأهمية في حياة الأمم والمجتمعات، وتجددها وتطورها ونموها، فالتربية وظيفة اجتماعية تهدف إلى تطوير الأفراد وبلورة مفاهيم الجماعات، وبتطورها وتقدمها يتطور المجتمع، ويرتفع بنيانه ويعلو صرحه.

وعلينا أن نحرص على تمكين الموهوبين من شبابنا لتسخير مواهبهم لخدمة الوطن، فالتربية تساعد الفرد على النمو المتكامل لنواحي شخصيته المتعددة، واكتساب المزيد من الخبرات والمهارات العلمية والحضارية لخيره وسعادته، وللمجتمع الذي يحيا فيه، وتحقيق أكبر قدر ممكن من التوازن ليتكيف مع بيئته ومجتمعه الذي ينتمي إليه دون خلل أو اضطراب.

ولقد ركزت أهداف التربية على أهمية السلوك الإنساني وتطويره في إطار من عادات وتقاليد الأمة، بحيث يشعر الفرد باستمرار بانتمائه للأمة التي يعيش فيها، وعلى أن يستمر المبدعون من شبابنا في المضي نحو ما فيه خير الوطن وخير أنفسهم ومجتمعهم.

البحث العلمي جوهر التنمية وروح التطور لكل المجتمعات

البحث العلمي عملية مستمرة، وتزداد الحاجة إلى التعاون بين مراكز البحث العلمي والجامعات. ومن المعايير التي يُقاس بها تقدّم أمةٍ ما تعدّد مراكز البحث ومعاهده.

وهو في بلادنا وتاريخ الأمة العربية والإسلامية في ميدان العلوم والبحث والترجمة والتعريب وضّاء المعالم مشرق الصفحات، ومن يقرأ كتاب "حضارة العرب" سيرى إعجاباً وإكباراً لأسلافنا الذين نشروا ضياء المعرفة، وكان للحضارة العربية الإسلامية إسهاماتها وعطاؤها الملموس.

وتجتاز الأمة العربية الإسلامية اليوم ظروفاً بالغة الشدة والتحدي، وما زال الإيمان يملأ الأفئدة وينأى بالفرد المسلم عن القنوط واليأس، بل يرقى فوق مستوى ذلك.

ولعل من أهم ما ينبغي أن نوليه العناية والاهتمام: تشجيع مراكز البحوث، والاهتمام بالعمل العلمي الميداني، وتنمية الشعور العلمي وتأصيله في نفوس الباحثين والدارسين، وتحقيق الغاية المنشودة من خلال النهوض بالبحوث والدراسات، وتنمية روح البحث لدى الجيل الناشئ، ومتابعة التطورات الحديثة للتقدّم العلمي والتقني، وتشجيع البحث العلمي في مجالاته التطبيقية، وتطوير مراكز البحوث بحيث تتناسب مضامينها ومعطياتها مع الوثبات العلمية الهائلة التي تحدث في

العالم اليوم، وتعريب العلوم وفي مقدمتها الطب والهندسة، فتلك ضرورة ملحة لحاجتنا إلى ذلك، وأن نتحرّر من عقدة صعوبة اللغة العربية وعدم قدرتها على احتواء المصطلحات العلمية، فقد قامت اللغة العربية في الماضي بدور عظيم في هذا المجال، وبقيت عبر مئات السنين لغة للعلم والثقافة والفكر والطب، وخلفت تراثاً نفيساً خالداً ما زالت آثاره وبصماته واضحة وممتدة وباقية في تاريخ الحضارة الإنسانية والمجتمع الإنساني، ولكي يبقى المجد متصلاً فلا بد من الاهتمام بموضوع تعريب المصطلحات الأجنبية.

وفي نظري إن تعريب المصطلحات العلمية الغربية أمر ميسور بالنسبة للغة العربية، فتجارب اللغة العربية في الماضي حقيقة تاريخية لا يسع أي إنسان جحودها أو الشك فيها.

كما أن اللغة العربية ليست أشد تعقيداً وأكثر صعوبة من اللغة الصينية أو اليابانية مثلاً، التي استطاعت أن تستوعب مختلف العلوم وشتى المعارف، بل إن اليابان في الوقت الحاضر استطاعت أن تقف على قدم المساواة مع الغرب في مجالات العلوم والتقنية، علماً بأن الدراسة في مختلف جامعاته باللغة اليابانية، فهم ينقلون العلوم من الغرب ويبادرون إلى ترجمتها بسرعة فائقة إلى لغتهم، وكذلك دول أخرى في الشرق، كالصين وغيرها.

كل ذلك يقتضي منا بطبيعة الحال أن نقوم بتعريب العلوم في جامعاتنا، وأن نوفر الوسائل والإمكانات بأريحية وسخاء في هذا الميدان. وليس معنى ذلك تعصباً ومقتاً للغات الأخرى، فالقضية أعمق من هذا وأوسع بكثير. كما أن جامعات المملكة ومراكز البحث فيها مؤهلة أن تقوم في هذا المجال بدور فعال.

حقق الله الآمال.

حفل لا ينسى في جامعة أم القرى
لتكريم رواد العلم ورموز المعرفة

لقد سعدت بدعوة كريمة من معالي مدير جامعة أم القرى الأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الله الصالح، تتضمن قيام الجامعة بتكريم رواد العلم والمعرفة من علماء مكة وأدبائها وأعيانها ووجهائها؛ وذلك إيماناً منها بما قدمه هؤلاء النخبة من العطاءات العلمية والمعرفية، وبما تقلدوه من مناصب ومسئوليات جسام في سبيل المشاركة في خدمة هذا البلد المعطاء.

وقد كانت فرصة طيبة لي الحضور والمشاركة في هذا الحفل العلمي وفي رحاب جامعة أم القرى، هذا الاسم التاريخي المجيد الموغل في الأصالة والعمق والبعد التاريخي، والذي يتضوع بعطر النبوة ومنازل الوحي، ومنطلق الدعوة إلى التوحيد.

وبعد الوصول إلى مكة وأداء مناسك العمرة وفي مساء يوم الأربعاء الموافق ٢١/ ١٠/ ١٤٢٦هـ توجهنا نحو قاعة الاحتفالات بمقر الجامعة بحي العزيزية بمكة المكرمة، وقد حضر الحفل حشد كبير من العلماء والأدباء وأساتذة الجامعة وطلابها.

وكان الحفل لتكريم سماحة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد رحمه الله، وبعد افتتاح الحفل كانت البداية تحية من مدير الندوة الأستاذ الأديب حمد القاضي عضو مجلس الشورى ورئيس تحرير المجلة

العربية، ثم تحدث معالي الشيخ الدكتور صالح بن حميد رئيس مجلس الشورى الذي تحدث عن والده، واستعرض حياته العلمية والعملية وجهوده المتميزة، ونشأته وسيرته العلمية والعملية، ونماذج من رسائله وفتاواه، وأقوال معاصريه فيه، وأعماله ونوادره، وختم حديثه بالبكاء عليه، فبكى الحاضرون معه، ثم تحدث الشيخ عبد العزيز المسند عن ذكرياته مع الشيخ خلال عمله في بريده وجهوده، وتلامذته ومؤلفاته، ودروسه وانصرافه للتعليم والتدريس وقضاء حوائج الناس، ثم بدأت المداخلات، حيث تحدث الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان عن ذكرياته مع الشيخ ودقة فقهه وعمق معلوماته، وأورد بعض الرسائل العلمية التي ناقشها في الجامعة.

كما كانت فرصة أن أتحدث في هذا الحفل عن الشيخ خلال عمله قاضياً في مدينة المجمعة في الستينيات، وحلقته العلمية في مسجد "ناصر" في المجمعة، وأوردت ذكريات بعض تلاميذه عنه خلال دروسه بعد صلاة الفجر والظهر والعصر والمغرب والعشاء في الفقه والتوحيد والنحو ومصطلح الحديث، وطرقه في التدريس وحرصه على إفادة طلابه وشحذ هممهم وغرس روح التنافس العلمي بينهم.

وقد تخرج على يديه من أبناء المجمعة علماء أعلام، واستعرضت برنامجيه في الإذاعة "نور على الدرب" و"اسألوا أهل الذكر"، حيث كان يجيب فيهما عن أسئلة السائلين الفقهية والاجتماعية، حيث كان يرد على السائل ذاكراً اسمه واسم والده وجده وبلدته وسؤاله كاملاً قبل أن يبدأ بالفتوى، وكان الكثير يندهش من قدرته واستيعابه لذلك.

ولقد أدار الأستاذ حمد القاضي هذا اللقاء بكياسة واقتدار، حيث امتد أكثر من ثلاث ساعات.

وفي الختام: لجامعة أم القرى شكري الصادق، ودعواتي الخالصة على اهتمامها بتكريم العلم والعلماء تقديراً لعطاءاتهم العلمية والمعرفية عبر جهادهم الطويل وتاريخهم العلمي وخدمة هذا البلد المعطاء حرسه الله وحفظه. فالجهد الذي تقوم به الجامعة جهد مشكور وعمل مبرور، فقد كان لهذه الجامعة قصب السبق في إقامة مثل هذه اللقاءات التي تلقي الضوء على من قدموا لهذه البلاد خلاصة جهدهم وصفوة أعمالهم، وإذا كنا نتذكرهم اليوم فإن الباحثين والدارسين سيذكرونهم على الدوام.

اللغة العربية لسان وكيان

اللغة العربية لغة الدين والقرآن والتراث العلمي التليد المتنوع والممتد في عمق الزمن أكثر من ستة عشر قرناً، لم تضق طوال هذه المدة بتدوينه، ولم تعجز لكثرته، كان لها مواقف انتصار في حضارة العصر العباسي وفي حضارة الأندلس، وعبرت التخوم مع حركة الفتوحات الإسلامية، فكانت اللغة المتقدمة المختارة، وغنيت عبر تاريخها بفيض زاخر من المفردات والمصطلحات.

ولقد كان عام ١٤٣٣هـ عام انتصارٍ للغة العربية عبر مواقع ومحاور ومؤتمرات، ومن ذلك:

- المؤتمر الدولي في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في ١٩-٥-١٤٣٣هـ بعنوان (اللغة العربية ومواكبة العصر)، وكانت له فعاليات وقرارات وندوات وكتب وبحوث.

- وكذلك المؤتمر الدولي للغة العربية بالتعاون مع اليونسكو والمنبثق في بيروت في شهر ربيع الثاني ١٤٣٣هـ - مارس ٢٠١٢م.

- وكذلك ندوة مركز الملك عبد الله الدولي لخدمة اللغة العربية في الرياض ١-٦-١٤٣٣هـ.

كما أصدرت بعض المجلات العلمية أعداداً خاصة وملفات خاصة باللغة العربية، كمجلة الهلال في عدد شهر مايو ٢٠١٢م بعنوان "أزمة اللغة العربية وهوية الوطن"، والذي تضمن المزيد من الخطوات للنهوض

باللغة العربية، وعن أصالتها وعراقتها، والتي هي من أوسع لغات العالم من حيث التراكيب والمفردات والمشتقات والصوتيات.

كما سبق أن أقرت الأمم المتحدة بأن اللغة العربية لغة رسمية ضمن حزمة اللغات الحية التي تتقدمها الإنجليزية، واعتُبر ذلك إنصافاً للغة العربية ومكانتها باعتبارها لغة التخاطب والعلم والقانون، وكل أشكال المعرفة الإنسانية.

وكذلك اعتمدت منظمة اليونسكو منذ أيام قراراً جماعياً بإدراج يوم (١٨ ديسمبر) في أجندتها السنوية الثابتة يوماً عالمياً للاحتفال باللغة العربية، وقد جاء في المذكرة التوضيحية لمشروع القرار: "إن اللغة العربية هي أكثر لغات المجموعة السامية استخداماً، وإحدى أكثر اللغات انتشاراً وعدداً، حيث يتحدث بها أكثر من ٤٢٠ مليون نسمة".

كل ذلك يجعلنا نتفاءل بمستقبل وضاء مشرق للغة العربية، وتعزيز وجودها في العالم، ودورها التاريخي والريادي في الحضارة العربية والإسلامية.

وعلى وزارات التربية والتعليم في العالم العربي الاهتمام والتوجه لإطلاق مزيد من المبادرات لغرس حب اللغة العربية، وتنمية الاعتزاز بها في نفوس الناشئة وتذوقها.

إنها لغة سامية فلا نتساهل في حقها حتى تبقى حيوية ويتجدد شبابها على مدى الأيام، وسيكون التوفيق مقروناً بناصيتها إن شاء الله.

الفضائيات العربية وعدم اكتراثها بثقافة الإنسان العربي وهويته اللغوية

وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة لها أثر كبير في الرقي باللغة العربية الفصحى، والعناية بها من خلال المحافظة عليها، واعتماد اللغة الفصحى في صياغة المواد الإعلامية باعتبارها من أهم مصادر الثقافة اللغوية للأمة.

ولها دور في الحياة الفكرية، والبعد عن الأساليب غير العربية، وتجنب اللحن والأخطاء النحوية والصرفية التي تظهر خلال الأحاديث والحوار الذي يتخلل الأعمال التمثيلية، وشيوع الألفاظ العامية لدرجة أن البعض يرثي اللغة العربية؛ لأنها وصلت إلى حال من الضعف، وكأن دورها ومكانها بطون الكتب، وأقلام المتخصصين من العلماء والكتّاب.

والأخطاء تقع اليوم في وسائل الإعلام المختلفة من صحافة وإذاعة وتلفاز، وفي الإعلانات التجارية التي تصاغ بلغة عامية، وكذا اللوحات التي تحمل أسماء المؤسسات والشركات، والصفحات التي تكتب بالعامية، وغير ذلك مما يشوه جمال اللغة ونصاعتها، ولا يخدم اللغة العربية التي ينبغي أن تكون وعاء الإعلام، ويجب حفظه من كل ما ينال منها أو يقلل من أهميتها.

إن لوسائل الإعلام دوراً إيجابياً يجب استثماره لخدمة اللغة العربية، ويتجسد في وسائل شتى: كالصحافة، والإذاعة، والتلفاز، واختيار

المذيعين الذين يمتازون بمعرفة اللغة وقواعدها، كما أن أقسام الإعلام في الجامعات يجب أن تهتم بالجوانب اللغوية، وتثقيفهم، وإشاعة الفصحى من خلال المحافظة عليها من قبل الأساتذة نطقاً وكتابة، وإبراز أهمية اللغة العربية أسلوباً وفكرة.

ويتآزر الجميع على النهوض بالفصحى إلى الغايات المطلوبة، والارتقاء بدور وسائل الإعلام في خدمة اللغة العربية، وخصوصاً في بلادنا منبت العربية، وبيئة الفصاحة والبلاغة ومنزل الوحي، حيث ينبغي الاهتمام بها في جميع الاستعمالات، وخصوصاً في هذا العصر الذي تطورت فيه وسائل الإعلام مما يستوجب إعداد رجال الإعلام، ورفع كفاءتهم، وشحذ عزائمهم، وتطوير ثقافتهم اللغوية؛ حتى ترتقي وتعلو الوسائل الإعلامية، وتهتم بتقديم ما هو نافع ومفيد، وتتجنب اللحن والعامية، والاهتمام بلغتنا العربية الفصحى التي عرفت بالسعة، وتجاوبها مع الأفهام والعقول، حيث تشتمل على ما يرتضيه أبناؤها على مختلف مستوياتهم.

وإن سعة العربية هي الأفضل خصوبة وثراء، وقدرة على تلبية الحاجات والمطالب العصرية المتجددة من المفردات والمصطلحات بالاشتقاق والسياقات المناسبة.

ونأمل من وسائل الإعلام في بلادنا بخاصة وفي العالم العربي والإسلامي بعامة خيراً كثيراً، ونفعاً وفيراً، وعطاءً جماً، وأن تسهم في انتشار وذيوع الفصحى، وتأصيلها في المجتمع، والتشجيع على استعمالها بثقة واعتزاز.

والله الموفق.

الخط العربي فخر حضارتنا ورمز تراثنا

الحضارة الإسلامية تراث عالمي أسهمت في رقي البشرية ونشر إشعاعها، والخط العربي مظهر بارز من مظاهر تلك الحضارة، لعب دوراً فعّالاً فيها، حيث صار فناً قائماً بذاته.

وعرف الخط العربي بقيمه الجمالية وخصائصه الفنية ومكانته البارزة، وله مكانة مرموقة، فهو وجه أصيل في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، حيث كان له دور مهم فيها، ووصل إلى قمة الازدهار خلال العصر العباسي والفاطمي والمملوكي وأواخر عهد العثمانيين، ومن يلق نظرة على مصاحف القرآن الكريم وكتب الحديث والفقه والأدب المخطوطة يلمس ويرى عظمة تلك الخطوط وتجويد الخط وتلوينه وتذهيبه، فكانت قمة في الجمال وحسن الأداء والدقة والعناية، ولكم شاهدتُ في بلاد المغرب العربي والأندلس وأستانبول ألواناً من الخطوط والزخارف والنقوش على المحاريب، وأبواب المساجد والقصور وجدران المباني ودور العلم والمكتبات، ولقد مهر الخطاطون المسلمون -من أمثال: ابن مقلة، وابن البواب، وياقوت المستعصمي، وغيرهم- في حسن الخط.

وإن من يلقِ نظرة سريعة على بعض موسوعات التراث وما كتبه أسلافنا يجد دلالة على ثراء هذا الفن وما احتوته من خطوط في غاية الروعة والجمال، ولقد شاهدتُ في كثير من المكتبات والمتاحف في أسبانيا ولندن ومكتبة الكونجرس والمغرب العربي عدداً من الكتب

والمصاحف المخطوطة، كتبت بخط جميل، واشتملت على إبداع فائق من حيث التصميم وتناسق الألوان.

ومن هنا فإن الخط العربي أداة للتعبير الفني ووسيلة للتعبير الجمالي، وهناك خطوط متعددة كالنسخ والثلث والرقعة والديواني والفارسي والكوفي وغيرها مما تطور مع الزمن، فكان للخط منزلة كبيرة في تاريخ الحضارة الإسلامية.

ولقد اشتغل بتجويد الخط الكثير من العلماء والأدباء وأسهموا في تطوير الخط وتنوع أساليبه والرقي به إلى منزله رفيعة ومكانة متميزة مرموقة، وقد أسهم الخطاطون مساهمة فعّالة واضحة في حفظ التراث الإسلامي، وفي ذلك يقول الشاعر:

الخط يبقى زماناً بعد صاحبه وصاحب الخط تحت الأرض مدفون

وكم هو جميل أن نعنى بالخط والاهتمام به والحفاظ عليه، مع مراعاة الالتزام بقواعد الخط والإملاء واللغة، وتنقيط الحروف ووضع الهمزات في مواضعها الصحيحة، وتوعية الناشئة بذلك في المنزل والمدرسة، وإسناد هذه المادة الحيوية إلى الأساتذة المتمكنين منها؛ لإيجاد الاهتمام والتفاعل المثمر والعناية بذلك، فالخط من أرقى الفنون، وينبغي أن نعمل على الرقي بمستواه، وحسن أدائه إلى الذروة والإبداع، وأن نلم بعناصره ومفاهيمه وأساليبه، وإثارة انتباه الشباب إلى هذا الميدان الرحب والفن الثري، ومواصلة دراسته، وسد الفجوة التي نلاحظها اليوم في قلة الإجادة لهذا الفن باعتباره عنصراً جوهرياً وفناً رائعاً، ومظهراً من مظاهر تراثنا وحضارتنا الإسلامية المجيدة.

اللغة العربية ضمير الأمة ومرآتها الحضارية

اللغة العربية لغة القرآن والتراث المجيد، يتجسد فيها البيان العذب المشرق الجميل والمعنى الرائع البديع، وتبرز فيها البلاغة والفصاحة، وسماها القرآن الكريم (لسان عربي مبين).

ولقد صمدت خلال القرون الطويلة بفضل انفتاحها المستمر على الثقافات والحضارات، وقطعت مراحل حضارية وفكرية لم تقطعها اللغات الأخرى؛ لطول عمرها وعطائها وقدرتها، ولذا ينبغي الحفاظ عليها والاهتمام بها، فهي لغة معطاء.

ولعل مما يؤسف له شيوع الكثير من المصطلحات والمسميات الأجنبية التي تنتشر بيننا اليوم في هذه البلاد مهد الفصحى، وهذا عقوق للغة في عقر دارها، ويلاحظ المرء انتشار العديد من المسميات الأجنبية الإنجليزية، كما أن كثيراً من اللوحات واللافتات الإعلانية على المحلات التجارية والطرق الداخلية والسريعة تحتوي على أخطاء لغوية ونحوية لا ينبغي الوقوع فيها، فهناك خلط بين الفاعل والمفعول، والمبتدأ والخبر، وعدم التمييز بين همزة الوصل والقطع، وهاء الضمير وتاء التأنيث، وإثبات ياء المنقوص وألفه مع فصل الأمر، وعدم الاهتمام بأبسط القواعد العربية والسكنات والحركات والمعاني والدلالات.

بلورة الجهود للحفاظ على اللغة العربية

الاهتمام باللغة العربية والحرص عليها عمل رائع وعظيم، ولقد صدرت أوامر كثيرة بالتأكيد على وسائل الإعلام بالالتزام بقواعد اللغة العربية، ولكن يلاحظ بكل أسف مزاحمة اللغات الأجنبية لها، ومنافستها بشتى الأساليب ومختلف الوسائل، حتى تفشت الكلمات الأجنبية بيننا اليوم وبين شبابنا، ولقد سرت هذه الكلمات على الألسنة بشكل كبير، وهي كثيرة، ومنها:

"أوتيل، أوكي، كنسل، كوبري، كورنيش، مسج، كاشير، كنديشن، كارد، كروكي، تلفريك، كوبي، كوكتيل، يوتيرن، مول، سوبر ماركت". وغيرها من المسميات في أسواقنا.

كل ذلك يقتضي المنافحة عنها؛ لأن في ذلك حماية لحياة الأمة وصوناً لعقيدتها، وكما قيل:

فلا تكلوني للزمان فإنني أخاف عليكم أن تحين وفاتي

كل ذلك يتطلب تفعيل دور المؤسسات التربوية واللغوية في مواجهة هذه الظاهرة ببرامج تحافظ على اللغة العربية أمام هذه المسميات الأجنبية.

إن الواجب يفرض علينا أن نحافظ على اللغة العربية، ونقنع الآخرين بأهميتها؛ لما لها من قيمة حضارية وتاريخية وفكرية، كما أنها تمتاز بأمور وخصائص لغوية كبيرة، وكفاها شرفاً وفخراً أنها لغة القرآن

الكريم والسنة المطهرة، ولما تزخر به من روائع البيان والبلاغة والإعجاز والفصاحة.

وعلينا أن نعطي لغتنا كل اهتماماتنا بحيث تكون المحور والقاعدة التي نعبِّر من خلالها عن طموحاتنا وتطلعاتنا، وممارستنا الاقتصادية والتجارية والاجتماعية، وأن نكون قادرين على مواجهة التحديات التي تتعرض لها. فلتكن حية في عقولنا ونفوسنا وقلوبنا ووجدانا.

إن الحفاظ على اللغة العربية الفصحى سلاح له شأن، ومتى فرَّطنا فيها ضعُف تماسكنا، وتراخت الصلة بيننا وبين ديننا وثقافتنا وفكرنا وتاريخنا.

ومن أجل هذا ينبغي الحفاظ عليها؛ لتصبح لها فاعلية حضارية ومكانة في المجتمع مستوعبة لكل جديد، وهي التي حفظتها لغة التنزيل العزيز.

ورعاها الإله صوتاً عليا في صداه دين الهدى يتسامى

اللغة العربية
بين لغات وافدة ولهجات غازية

ليكن الحفاظ على سلامة اللغة هدفاً وغاية، حيث امتازت بسعتها ومرونتها، وتعاني اللغة العربية أزمة متعددة الجوانب، وتتعرض اللغة العربية اليوم لجملة من التحديات وإقصائها عن التعليم العالي، مما يسهم في إبعادها عن العلم، حيث تصبح غريبة بين أبنائها.

وتحرص كثير من الأمم على الحفاظ على لغتها والذب عن حياضها والثقة بها، وبث الاحترام لها من خلال منابرها العلمية والإعلامية والثقافية؛ إذ لا وجود ولا مستقبل لأمة بدون لغتها التي تحبها، وتعتز بها أجيالها وناشئتها.

وهناك دول يأتي في مقدمتها "فرنسا" تتباهى بالدفاع عن لغتها وثقافتها، ونراها اليوم من خلال صحافتها وخطابها ومنابرها الثقافية تقف في الطليعة لمواجهة الهيمنة الثقافية الأمريكية التي تزحف اليوم تحت شعار العولمة الثقافية.

ولا بد إذن من غرس محبة اللغة العربية، واحترام معلميها، وتطوير مناهجها، وتشويق الشباب إليها من خلال وسائل متعددة تعليمية وثقافية، وإعلاء شأنها في مختلف الأجهزة والدوائر والمؤسسات، واسترداد الثقة بمستقبلها لدى شبابنا في المدارس والجامعات، وأن يدّرس بها العلوم والتقنيات، وأن تكون لغة الحديث والتفاهم والتعليم في مختلف

المجالات والبحوث والدراسات، وفي الحياة اليومية في المتاجر والمصانع والعيادات الطبية، وبث الاحترام والتقدير لكل من يستخدمها في تخاطبه.

إن الغزو الثقافي شديد وعنيد، فهو يريد انتشار غير اللغة العربية، فاللغة اليوم تواجه لغات وافدة ولهجات غازية، فعلينا الحفاظ عليها.

الهوية اللغوية وتحديات العولمة

اللغة أبرز مظهر في سلوك الأمة يدل على أصالتها، ومسئولية الحفاظ عليها مسئولية عامة، فهي لغة القرآن ولسان الإسلام، اختارها الله ليختم بها الوحي الإلهي على لسان الرسول ﷺ، وهي وعاء العلوم الإسلامية، وحامية تراث عظيم وتاريخ مزدهر، امتد فيه نطاق هذه اللغة إلى آفاق واسعة بحيث أصبحت لغة العلم والثقافة والحضارة لأكثر من ستة قرون، وهي أكثر لغات الأرض مفردات وتراكيب.

ولعل مما يؤسف له أن نرى حصاراً شديداً وحرباً على العربية، حيث تتعرض في هذا العصر للكثير من الخصوم الذين ينازعونها سيادتها، ويعملون على إزاحتها من الساحة العلمية والثقافية في الإعلام والتعليم، وسائر المخاطبات والمكاتبات، وغير ذلك من المجالات.

إن الحرص على سلامة اللغة العربية لا يعني أننا نمنع الناس من تعلم اللغات الأجنبية، إنما ندعو إلى أن يكون التعليم باللغة الأم؛ أسوة بكثير من دول العالم التي تحافظ على شخصيتها وذاتها، حيث تحرص على استعمال لغتها في التعليم بجميع مراحله.

ولعل مما يؤسف له أن نقرأ لخصوم اللغة العربية ممن يظنون عجز العربية عن أن تكون لغة علم، وأن تستوعب الحضارة الحديثة بعلومها المتجددة ومصطلحاتها المتنوعة ومهاراتها اللغوية.

إن العجز ليس في اللغة العربية، لكن في أهلها الذين لا يعطونها

الفرصة للنمو الذي هو من أهم خصائصها، والدلائل على قدرتها واضحة في ذلك، وحينما نلقي نظرة على ازدهار العلوم في العصر العباسي حيث قامت حركة الترجمة في ذلك العصر بترجمة علوم وتراث فارس والهند واليونان والرومان وغيرهم من الأمم، وكانت العلوم التي ترجمت في الهندسة والطب والرياضيات والفلك وغيرها، فلم تكن اللغة العربية عاجزة عن ذلك، حيث رأينا المعاجم والموسوعات والمؤلفات الزاخرة بالعلوم والمعارف والآداب. كل هذا يدل على اتساع وخصوبة اللغة العربية، واستيعابها للمعارف والعلوم، ولله در حافظ حين نظم أبياتاً خالدة على لسان اللغة العربية:

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة ... وكم عز أقوام بعز لغات

ورحم الله شيخ الإسلام القائل: «إن اللسان العربي هو شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي يتميزون بها».

فلنحافظ على سلامة اللغة العربية، و لنعمل على تحقيق الازدهار لها.

حقق الله الآمال.

أهمية تنمية المهارات اللغوية لدى الشباب

سرت إلى الألسنة والأقلام عشرات بل مئات من الألفاظ والتراكيب الأعجمية؛ بحجة أن طبيعة العصر قد استلزمتها، وأن سيل الحضارة يتدفق بمعاني المخترعات والمبتكرات. وهو أمر يكرب كل غيور على اللغة العربية، وتغثى منه النفس.

ولا عجب فقد بلغ بنا الضعف في لغتنا أن نجد في الألفاظ الأعجمية أنساً ووجاهةً وشعوراً بالابتهاج أكثر مما نجد في الألفاظ العربية.

وإن الكثير من أبناء اللغة العربية اليوم لا يحفلون بلغتهم، ونجد أن حماسهم لها فاتر، وصلتهم بها ضعيفة متراخية، ولعل ذلك يعود إلى أن الكثير منهم درس بلغات أجنبية، فأصبحت الهوة بعيدة بينه وبين لغته العربية.

ولست في حاجة إلى بيان حيوية اللغة العربية وقابليتها للتطور بحسب كل زمان مع الاحتفاظ بأصولها وقواعدها ومفرداتها.

ومما يؤسف له أن شاباً مثقفاً يقول خلال نقاش معه: إن اللغة العربية مفرداتها ضيقة، فسردت عليه طرفاً من معاجم اللغة العربية المحضة، كالمنجد والقاموس المحيط واللسان والتاج وأقرب الموارد، وغيرها، فقال: لقد أرقتني بهذه الأسماء، فقلت: إن اللغة العربية لا تضيق عن وصف أي مخترع أو آلة جديدة، وإن أردت المزيد فهناك كتب

أخرى لتستفيد منها، كالمخصص لابن سيده، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت، والألفاظ الكتابية للهمذاني، وجواهر الألفاظ لقدامة، كلها وغيرها تبسط لك الألفاظ بمختلف أنواعها.

كل ذلك يبرهن على قدرة اللغة، وخدمتها لمختلف العلوم والفنون والأفكار، فهي تتغير وتتطور دائماً في ألفاظها وفي أساليب تعبيرها كلما جدت ظروف تحتاج إلى التعبير والأداء، فهي في تجدد وتطور بما حباها الله من المفردات والألفاظ، وهي في حركة دائمة، وكما قال حافظ إبراهيم:

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات
أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أيطربكم من جانب الغرب ناعب ... ينادي بوأدي في ربيع حياتي

وبعد.. فإن قضية اللغة العربية قضية حيوية في أصلها وجوهرها، وكل ذلك يستدعي جهداً علمياً صادقاً متواصلاً، فهي تتصل بديننا وتراثنا وتاريخنا، وحياتنا ومستقبلنا وبناء أجيالنا.

وعلينا أن نعمل على إحلال اللغة العربية محلها اللائق في نفوس أبنائنا بحيث ينشؤون على حبها والتعلق بها والاعتزاز بها، وصياغة المادة العلمية والإعلامية لهم بلغة فصحى، والعمل على تنمية المهارات اللغوية لدى الشباب، وإكسابهم القدرة على التفكير والكتابة والقراءة بلغتهم الأم.

المتنبي عبقرية خالدة

لا غرابة أن يحظى شعر المتنبي باهتمام الأدباء والنقاد في كل عصر، وما زال الناس يكثرون الحديث عنه، حتى قيل قديماً: "ثلاثة لا ينتهي الكلام فيهم: الثعابين، والعفاريت، وأبو الطيب".

ولقد قال ابن رشيق: «جاء المتنبي فملأ الدنيا وشغل الناس».

ولقد اهتم دارسو حياته وشعره بناحيتين:

إحداهما: جوانب حياته، حيث كانت مضطربة يلفها الغموض من بعض جوانبها، ويخرج بها عن النسق الذي ألفه الناس في حياة الشعراء.

والثانية: شعر المتنبي وما أتيح له من ذيوع وشهرة لم تتح لشاعر قبله، حيث سار في مختلف الأرجاء، وما زالت مسيرة شعره ممتدة إلى اليوم، فما من شاعر أو أديب إلا ويحفظ شيئاً من شعره، ويروي له من القصائد والأشعار أكثر مما يروي لغيره من الشعراء الأفذاذ من القدماء والمعاصرين، ولقد قال العقاد: «إن الحسد هو السبب الأكبر في شهرة أبي الطيب؛ لأنه خلط بين السبب والنتيجة، وكما قال أبو تمام:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود»

ولقد كان المتنبي منذ نشأته كبير النفس، عالي الهمة، طموحاً إلى المجد، بلغ من كبر نفسه أن دعا إلى بيعته بالخلافة وهو حديث السن، وسجن ثم أطلق ولكن حب الرياسة لم يتمكن من نفسه، ثم ادعى النبوة في الشام، وفتن مجموعة من الناس بقوة أدبه وسحر بيانه، حتى قبض

عليه أمير حمص فأوثقه، ثم أطلقه بعد أن استتابه، وتنقل بين البلدان وتجشم الأسفار، كما قال:

وحيد من الخلان في كل بلدة إذا عظم المطلوب قل المساعد

ولعل الذي أود الحديث عنه في هذه العجالة: الحكمة في شعره وما تميزت به تلك الحكمة، حيث صارت أمثلة ينشدها الناس وزينة الأقوال، وجرت مجرى الأمثال، ومن ذلك قوله:

إن بعضاً من القريض هذاء ليس شيئاً وبعضه أحكام
منه ما يجلب البراعة والفضـ ـل ومنه ما يجلب البرسام

وقوله:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

ويقول بعض دارسي شعره: "لو تمت الولاية له لأراحته من حيرته، وحمته من هواجسه وأحلامه".

كما قال:

وأتعب خلق الله من زاد همه وقصر عما تشتهي النفس وجده

ولقد كان يروم المعالي كما قال:

إذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم

وهكذا بقي اسمه وشعره في ذاكرة الأجيال.

الأديب بين الإبداع الفكري والتحدي الثقافي

للأديب رسالة في الحياة بجوانبها المختلفة، وأثر بالغ في حياة الأمة، فهو كما يقال: مرآة مجتمعه.

كما أن الأدب هو مناط الأمل لوجدان الأمة وفكرها وعواطفها، وتحسس مشكلاتها اليومية، وتصوير المعاني والأخيلة، وبث التفاؤل والأمل.

والأديب الحق هو من يبتعد عن الاهتمام والتنميق اللفظي والأسلوب الانفعالي، فللأدب طابعه الخاص ووظيفته المتميزة ورسالته المتجددة ووجوده الفاعل، ولا سيما في هذا العصر الراهن الذي يشهد طفرة وقفزة هائلة في ميادين الفكر والإبداع، ومجالات العلم والفلسفة والتقنية، وغيرها، التي لها تأثيرها على الإبداع الأدبي.

ورسالة الأديب تحتم عليه ألا يكون بمنأى عن هذه التطورات الحضارية التي ارتقى فيها الذوق وامتلأ بها الوجدان الإنساني والعقل البشري بمعطيات متجددة كثيرة مما أفرزته طبيعة الحياة المعاصرة، ولذا فإن رسالة الأديب تحتم عليه التطور الفكري، ومواكبة تلك المنجزات الإنسانية، من خلال الرؤية الثاقبة الدقيقة، وغربلة ذلك وإبرازه في قالب يتفق مع الواقع، مع الحرص على البعد عن التكرار والتقليد والجمود، وغير ذلك مما تجاوزه العصر، وأن تكون لديه القدرة على التحكم في عواطفه بحيث لا يرسل الأحكام جزافاً؛ إذ لا بد من الإلمام بجوانب أي موضوع إلماماً يتيح له حرية الحكم والنقد السليم البناء، مع عدم التحيز،

أو اللف والدوران، والاجتراء والانفعال العاطفي الجانح، بل لا بد من القول والتعبير بكل صدق وحرص على الحقيقة، بحيث يكون الأدب هدفاً لوعي واجتلاء الفضائل، وفرز الجيد من الرديء، وصولاً إلى مواقف موضوعية وحقيقية.

إن تاريخنا الأدبي القديم والحديث حافل بالعطاء المتجدد والمفعم بنتاج القرائح وثمار العقول، ولقد تأثر الأدب عبر أطواره بما لدى الأمم الأخرى من كنوز فكرية وذخائر أدبية، ووجّهها ووظّفها توظيفاً جيداً بما يتفق مع الواقع والرؤية الإسلامية، مع تجنب الزلل والابتعاد عن مزالق الانحراف.

ورسالة الأديب تحتم عليه أن يتحول عطاؤه إلى حقائق موضوعية ووعي فكري، ومعان أدبية تغذي العقول وتثري الأفكار وتمتع النفوس، وتبلور المفاهيم الأدبية والأهداف الفكرية والثقافية لخدمة الأمة والرقي بوعي المجتمع والفكر المستنير للوصول إلى المستوى الأمثل، والتجاوب مع متطلبات المجتمع وقضاياه الإنسانية والفكرية، ومتابعة النشاط الأدبي خارج بلادنا، والاستفادة من تلك التطورات الفكرية، مما يثري الأدب، ويزيد ثقافة القراء برصيد من المعرفة والوعي والفائدة، مع التحليل والدراسة وتسليط الأضواء على ذلك، والطرح الفكري المفيد لقضايا الأمة وطموحاتها ومعالجة مشكلاتها.

وبذلك يكون الأديب بمثابة الدوحة الوارفة الظلال والشمعة المضيئة في الظلام، يتفاعل مع الواقع ويستشرف مشكلاته، ويتلمس مكامن الضعف ومواطن التخلف، وينفذ إلى جوهر الموضوع بحس مرهف وبصيرة نافذة.

وإنه لجميل حقاً أن يخلص الأديب لرسالته السامية، ويدرك أبعادها

بإحساس شفاف ووجدان يقظ، وذلك مظهر حي من مظاهر أصالته وقوته وموضوعيته، من خلال رؤية واقعية.

فالأدب رسالة تستهدف الحق والخير والجمال، ومن حسن ذوق الأديب أن يستوعب في أدبه معطيات عصره وتطوراته الحضارية، ويأخذ بيد أمته إلى سبل التطور والنهوض بالطموح، وتحريك الأحاسيس وإيقاظ المواهب بأسلوب جلي وبيان مشرق، يغري القارئ ويشده، ويشوق الباحث ويجذبه، ويستهوي الأنفس بثقافته وعطائه وطرحه ومداخلاته، مع مراعاة تفكير وثقافة أمته ومجتمعه، وآماله وتطلعاته، ومواكبة مسيرة النهضة المزدهرة التي نعيشها اليوم في مختلف نواحي الحياة.

في آفاق الأدب والنقد

شهدت السنوات الأخيرة محاولات أدبية عدة، قدم فيها أصحابها رؤى أدبية وإضاءات ثقافية جديدة، قام بها أساتذة أكاديميون ونقاد وأدباء وشعراء لهم مكانة رائدة، وهي امتداد لمحاولات قام بها جيل الرواد من أدبائنا الذين كان لهم دور في الأدب العربي شعره ونثره وفتح أبواب الأدب على ثقافات العالم وآدابه القديمة والحديثة.

وبالرغم من خصوصية هذه النهضة الأدبية والوعي الثقافي واتساعه فإنه لم يصاحب ذلك وجود الناقد الأدبي الواعي بحقيقة دوره ورسالته ورعاية المواهب الفكرية، الذي يحشد لفنه طاقاته الإبداعية والفكرية بجهد وإخلاص صادق، ودراسة موضوعية وفق قواعد النقد الصحيحة ومقاييسه ومراجعه الوثيقة.

والناقد الأدبي هو الذي يحرك الهمم بدراساته وتحليلاته العميقة وتتبعه لما في ثنايا النص من أدب وفكر وعطاء، وما في المضمون من معانٍ سامية تشير إليه وتدور حوله وتوحي به، ويسبغ على ذلك روح الإخلاص والمحبة بأسلوب جميل وضروب من البيان والبلاغة والإبداع، يسبر من خلال ذلك النص ليستخرج ما يفيد القارئ وينفعه، ويقرب إليه ما تباعد عنه.

إن النقد الأدبي من المقومات الأساسية لدفع الحركة الأدبية إلى الازدهار، وخصوصاً أن بلادنا اليوم تسير بخطى واسعة في مختلف مسارات التطور والنهضة. ولا شك أن الأديب له دور كبير، ورسالته

فكرية، فلا بد من مشاركته وعطائه لتجسيد تلك المعطيات وبلورتها، وإبراز تلك الآفاق الحضارية، وإثراء الساحة الفكرية بالعطاء المفيد والإنتاج الفكري الرصين؛ لينطلق إنتاجنا الأدبي إلى مختلف الآفاق والأبعاد.

ويجب أن نفسح المجال أمام النقد الأدبي الهادف ليقوم بدور التوعية والتوجيه، فرسالة الناقد الأدبي رسالة جليلة، فهو يخصب الحياة الأدبية، ويحفظ لرسالة الأدب كيانها ويصونها من الهبوط، ويحرص على الالتزام بمناهج النقد الأدبي وطرائقه، ويغذي العقول ويثري الأفكار والألباب، ويمتع النفوس، ويملك الموهبة الأصيلة والشعور الرقيق، والدراسة المتأملة والوعي الفكري والأدبي، مع إبراز العطاء الجيد الصالح للنشر والقراءة.

إن حركة الطباعة والنشر والتأليف تمطرنا كل يوم بوابل غزير من الكتب والقصص والروايات، والدواوين الشعرية والآثار الأدبية في مختلف فنون المعرفة وميادين الأدب ومجالات الثقافة، وضروب العطاء والإبداع.

وبجانب هذا السيل المتدفق من الإنتاج يجدر بنا أن نتساءل: هل هناك مواكبة نقدية تقوّم تلك الآثار وتصححها، وتبرز الخطأ وتجسم العيب، وتشير إلى الحسنات وتومئ إلى الأفضل، وترعى الإبداع وتعمق الأصالة؟

من أجل هذا صح ما قيل: "كلما كان النقد الأدبي نشطاً كان الكاتب والمؤلف والباحث معطاء سخياً وجيداً".

لقد تطورت مفاهيم النقد الأدبي، وأصبح لزاماً على الناقد الصحيح

أن يحرص على إثراء القارئ وتنمية مداركه، والتعريف بكل جديد نافع ومفيد.

إننا بحاجة إلى المحافظة على شخصيتنا الأدبية المتميزة التي تهتم باللباب والثوابت في ثقافتنا وفي قضايا الأدب والشعر والنقد بالدراسات الأدبية الموضوعية والنقد الأدبي الصحيح، والانفتاح على عطاء العصر في مجالات المعرفة والأدب والثقافة، وفق المقاييس المنهجية، والانطلاق نحو آفاق المستقبل المشرق.

تقويم مناهج اللغة العربية في مراحل التعليم العام يسهم في التميز والإبداع

تعد اللغة أبرز مظهر في سلوك الأمة، ومسئولية الحفاظ عليها مسئولية عامة تتحملها المؤسسات التعليمية والأفراد. وبين الحين والآخر ترتفع بعض الأصوات تجأر بالشكوى من صعوبة مناهج اللغة العربية، وضعف مستوى الطلاب فيها.

ولقد نشأت ظاهرة الضعف اللغوي في عصر مبكر من تاريخ اللغة العربية وآدابها، وتحتفظ كتب التراث بين طياتها بمجموعة من الروايات التي تدل على ظاهرة الضعف اللغوي قديماً، وخصوصاً بعد أن اختلط العرب بالأعاجم، وجرى من خلال الاختلاط محاولات هدم اللغة العربية وقواعدها والاجتراء عليها.

وظهرت محاولات عديدة وكتب كثيرة حول لحن العامة ومواضع الخلل، ووضعت كتب أخرى في إصلاح النحو، وفي هذا الإطار ظهرت كتب عدة وبحوث متنوعة لمجابهة الضعف اللغوي، وتوصيات عدة وقرارات ومقترحات من المجامع اللغوية وأقسام اللغة العربية في الجامعات والمنظمات التي تعقد ندوات حول هذا الموضوع وتناقش ذلك على مستوى الجامعات والتعليم العام.

ويؤكد البعض أهمية تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام، كما أوصت بذلك مؤتمرات وندوات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وظاهرة الضعف اللغوي لا يمكن إرجاعها إلى سبب واحد، فقد ترجع إلى المنهج وإلى المعلم وإلى الطالب وضعف ملكته اللغوية.

والواقع أن هناك جهوداً صادقة وهادفة لمعالجة الضعف اللغوي، ولكنها لم تتبلور بالصورة المطلوبة؛ لاستحكام المشكلة رغم الجهود الكبيرة من الهيئات والمؤسسات العلمية والندوات التي تضم بين أفرادها مجموعة من الباحثين اللغويين والذين وضعوا حلولاً ومقترحات لمعالجة ظاهرة الضعف اللغوي، وهو أشكال وضروب، ولعل أس المشكلة هو ضعف الملكة اللغوية لدى الناشئة.

إن اللغة العربية تكتسب أهميتها من أنها لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة، ولهذا تكتسب قداسة خاصة ليست لأي لغة أخرى.

وفي حديث مع أحد موجهي اللغة العربية قال: لقد كثرت أخطاء الطلاب في الامتحانات، إذ لا يدرك الطالب الكثير من قواعد النحو البسيطة، ويخلط بين الفاعل والمفعول، والمبتدأ والخبر، والاسم والفعل، وهمزة الوصل وهمزة القطع وهاء الضمير وتاء التأثيث، فضلاً عن ضبط الكلمات واسم كان وخبرها، والفرق بين المعرب والمبني، إلى جانب قصور المنهج وعدم حرص الطلاب على دراسة اللغة العربية.

فقلت: وكيف تعالج هذه الظاهرة؟

فقال: باهتمام المعلم وعناية الطالب بهذه المادة.

فقلت: هذا شيء مؤلم حقاً ألا يهتم الطلاب بلغتهم الفصحى!!

فلا بد من لفت الانتباه وإذكاء المشاعر نحو أهمية اللغة العربية في إذاعة الصباح المدرسية، وتحبيبها للطلاب وحثهم على التخاطب بها، واستخدام الوسائل التعليمية المناسبة وتغيير منطلقاتنا في تعليمها.

وألا يقبل في تدريسها إلا من كان متمكناً ومؤمناً بدورها وأهميتها، وإعداد معلمين أكفاء يحسنون عرضها على طلابهم، ولديهم الإحساس القوي بأهميتها على المستويات كافة، وإزالة الشعور لدى الطلاب بصعوبتها، ومحاربة العامية في الفصول الدراسية، مع كثرة التدريبات، وتزويدهم بالمهارات اللغوية، وإزالة توهم صعوبة اللغة العربية، مع العناية بالتمرينات والتطبيقات وكل ما يرسخها في نفوسهم، والتوعية باستمرار بدور اللغة ومكانتها، والحث على الاهتمام والمحافظة على لغة القرآن التي لا يجوز التفريط فيها.

أهمية تفعيل احتفاء هيئة الأمم المتحدة بلغة الضاد عالمياً

كم هو مفرح ومبهج أن تخصص الأمم المتحدة يوم (١٨ ديسمبر) من كل عام للاحتفاء بلغة الضاد عالمياً. يأتي ذلك مع الاعتراف باللغة العربية كلغة رسمية سادسة في هيئة الأمم المتحدة، وهذه خطوة إيجابية فعالة وبادرة كريمة من قبل الأمم المتحدة في سبيل تنشيط التواصل الثقافي بين الأمم والمجتمعات، وفي التعريف بالثقافة العربية الإسلامية.

وكم يشعر المرء بالزهو والابتهاج عندما يرى العالم يحتفل بلغتنا، ويتعرف على ثقافتنا وموروثنا الحضاري. وهذا بلا شك تقدير لمكانة العربية، وتأكيد على ما تتمتع به هذه اللغة من فضل وعرفان.

وحري بأبناء العربية أن يهتموا بها، وألا يهضموها حقها، والاعتراف بفضلها على الدوام، واستحضار دورها وأهميتها مع كل حرف ينطقونه، وأن نتذكر الحضارة الإسلامية حيث كانت هي لغتها الوحيدة في العالم في مجال العلم والأدب والفكر والثقافة قروناً متعددة.

إن علينا أن نستثمر هذا الاعتراف الدولي، وذلك بتفعيل دورها ورسالتها وريادتها في الحياة الثقافية والتأليف والنشر والترجمة، وفي ميادين تعليمها في الجامعات، وإقامة فعاليات أدبية وثقافية وعلمية في مراكز البحوث ومجامع اللغة والجامعات والأندية الأدبية والمراكز الثقافية، والتعريف بخصائصها وروعة بيانها وجمال أساليبها ودقة تعابيرها وكثرة مفرداتها وسعة فنونها وبيانها، واختيارها لتكون لغة لكتاب

الله الـذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فُصِّلَت: ٤٢].

فهي لغة سامية، وهي وعاء الدين الإسلامي وتراثه الخالد على مدار التاريخ، فهي تحمل في تضاعينها رصيداً هائلاً من البيان والروعة والجمال والكمال. ولذا يجب علينا الاحتفاء بها على الدوام، والتذكير بأهميتها وفضلها، ولا يمكن أن يكون في يوم واحد فقط، بل في كل أوقات السنة بحيث نجعل منها منارة إشعاع بروعة بيانها وسمو أساليبها وجمال مفرداتها.

ومما يؤسف له أن نرى عدداً من اللغات تزاحمها في عقر دارها، ونراها أكثر بريقاً، وهذا عنوان التخلف والتراجع. ومن هنا فإن علينا أن نرفع رصيد اللغة العربية ونعلي من قدرها، ولعل هذا اليوم فرصة للعمل الجاد من خلال شتى الوسائل، فاللغة ينهض بها أهلها وأبناؤها، وهم الذين يرفعون لواءها والمحافظة عليها، فمزيداً من الفعاليات والنشاطات الثقافية والأدبية المتنوعة احتفاء بيوم اللغة، نركز في مضامينها على أهمية اللغة العربية، وإلقاء الضوء على ما تتميز به هذه اللغة في مفرداتها وعلومها وآدابها المختلفة، وأن نهتم بأجيال المستقبل، ونسعى لتأسيسهم الأساس اللغوي الصحيح لظهور جيل متميز باهتمامه بلغته وصقل مواهبه ليعتاد على التحدث بالفصحى بطلاقة واعتزاز، وأن نمتنع عن استخدام اللغة العامية في المحافل العامة، ونحافظ على كيانها وجذورها وشخصيتها المميزة، كما يجب أن نحرص على استبدال الأسماء الأجنبية التي ملأت شوارعنا وأسواقنا بأسماء عربية أصيلة، ونعطي صورة مشرقة زاهية عن لغتنا العربية التي لا يجوز المساس بها والتهاون بشأنها.

القراءة وسيلة التثقيف ومفتاح المعرفة

القراءة هي الباب الأساسي الواسع الثابت في مجال التثقيف والتعليم، والكتاب من أعظم ما أبدعه عقل الإنسان، ومنذ بداية الحضارة البشرية فهو منجم لا ينفد بما يحتويه من علوم ومعارف وآداب.

ولا شك أن القراءة بوابة المعربة الرحبة والعلم الفسيح، ومن المعروف أنه لا سيادة لأمة بدون ثقافة ومعرفة يحتل الكتاب فيها المكانة المرموقة، فهو أداة هامة للنهوض والتطور والرقي والتقدم، وربط الصلة بين الماضي والحاضر.

والكتب هي تجارب البشرية خلال تاريخها الطويل، ويشهد العالم اليوم وعياً متزايداً بأهمية الكتاب والمكتبات؛ لما لهما من تأثير ودور كبير.

لقد ازدهر التعليم في عدد من الدول، حيث عدوا المكتبة والكتاب ركيزة أساسية لتوفير المعرفة ومصادرها، والإسهام بشكل جدي ومثمر في خدمة المناهج الدراسية وتدعيمها، وإكساب الطلاب خبرات ومعلومات ومهارات من خلال الاهتمام بالكتاب واستخدامه وعدم الاستغناء عنه؛ لما له من دور بالغ الأهمية في التكوين التربوي والإعداد الثقافي والاجتماعي، ولا غرو فالكتاب هو الضياء في طريق أي إنسان مطلبه ومقصده العلم، وهو مدخل ثقافي لدراسة أي علم كان، ولعل الجاحظ من أقدم المؤلفين الذين خصوا الكتاب بحديث طويل وكلام جيد عن فضله وبيان منافعه.

فالكتاب وعاء من أوعية المعرفة والمعلومات، ووجه حضاري مشرق، ووسيلة إلى رقي الأمم فكرياً وذهنياً، فهو يلعب دوراً فعالاً في تنمية المعرفة والثقافة، ولقد قيل: إن الأمة الواعية هي الأمة القارئة. فهو الدعامة الأساسية في مجالات البحث والدراسة والمطالعة، ورحم الله أسلافنا الذي يحرصون على الكتب ويهتمون بها، حيث يقول أحدهم:

جل قدر الكتاب يا صاح عندي فهو أغلى من الجواهر قدرا

ولقد قيل: إن في قراءة الكتب لذة ومتعة، ولكن إذا كانت القراءة في الكتب نشوة ومتاعاً فإن أمتع اللذات الحديث عن الكتب.

لقد مرت على الكتاب في أمتنا عصور كان فيها عالي القدر رفيع المنزلة، يتنافس الخلفاء والأمراء عليه، ويعتزون بامتلاكه، ويعنون بإهدائه، فكان الخليفة المأمون وأمثاله يحتفون بالكتاب الذي يهدى إليهم، وكانوا يُفَرّغون العلماء ويكفونهم مؤونة العيش ليحصلوا منهم على كتاب، ويروي الجاحظ أنه لما ذهب إلى الوزير ابن الزيات يعوده في مرضه لم يجد هدية يحملها إليه أشرف من كتاب. ويقول: «أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك ففكرت في شيء أهديه له، فلم أجد شيئاً أشرف من كتاب "سيبويه"، ولما دخل عليه قال: أدام الله صحتك، فقال له: ما أهديت لي يا أبا عثمان؟! قال: أطرف شيء، كتاب سيبويه بخط الكسائي وعرض الفراء، فقال: والله ما أهديت إلي شيئاً أحب إليّ منه».

لقد عرفوا للكتاب منزلته؛ لأنهم عرفوا حقيقته، ورعوا حقه، ولقد زهد البعض اليوم في الكتاب وأعرضوا عنه، ولم يراعوا للعلم حقه.

وإن تاريخ الكتاب في الحضارة الإسلامية لحافل بأنصع الصفحات،

حيث كان الأسلاف مولعين بالكتب والعناية بالمكتبات، والاهتمام بالمعارف والعلوم، ونشر العلم بشتى ضروبه وفنونه، وكانوا يأخذون من كل علم بطرف، ويشعرون بالمتعة في قراءة الكتاب، ويحسون بالألم في البعد عنه، فها هو شاعر المعرة يقول:

ما جاء في هذه الدنيا بنو زمن ... إلا وعندي من أخبارهم طرف

وما أجمل قول القائل:

ولكل صاحب لذة متنزه ... أبداً ونزهة عالم في كتبه

وقال شوقي:

أنا من بدل بالكتب الصحابا ... لم أجد لي وافياً إلا الكتابا

أهمية التعاون في تصحيح مسميات لغة الضاد

الاهتمام بلغتنا العربية والحرص عليها عمل رائع عظيم، فهي لغة القرآن الكريم والسنة النبوية، وعلينا أن نسعى السعي الحثيث لحمايتها، وأن نعيد لها شبابها ونصاعتها، وأن نفسح لها المجالات والميادين في شتى فنون المعرفة، وندرأ عنها العجمة واللحن؛ لتستقيم على نهجها اللاحب، وأن تصبح لغة العلم والحياة، وتعبر عن مختلف علوم العصر، فلقد كان لها ماض مزدهر في شتى الميادين.

وإننا لنتطلع بتفاؤل وأمل بأن تنهض الجامعات بمهمة التعريب المستمر، والمشاركة في تعريب العلوم والآداب والفنون، حتى ترسخ أقدامها في كل ميدان ومجال من مجالات المعرفة. ولنعمل على أن نعطيها كل اهتماماتنا، والتعريب بها أدباً وتراثاً، والترجمة منها وإليها.

ومن المؤسف اليوم دخول الأسماء الأجنبية وتداولها، وكأننا نؤكد عجزنا اللغوي، فلقد دخلت المسميات الأجنبية الكثيرة اليوم في حياتنا، وحينما تدخل الفندق أو المصرف أو المستشفى وغيرها تجد الكتابة والتفاهم باللغة الأجنبية، فقد كثرت الكلمات الأجنبية والدخيلة، وشاعت على الألسنة كلمات كثيرة منها ، ومن المسميات التي دخلت حياتنا - وهي كثيرة- منها على سبيل المثال:

"أوتيل، كتالوج، كارت، بروفة، كاونتر، أنترفون، بروجرم، بدروم، شيك، تلفزيون، باص، ميكروفون، استديو، تلكس، فاكس،

ديكور، أوتستراد، إنترنت، أنتريه، نوفوتيه، هاي، فيلا"، وغيرها مما لا يتسع المجال لحصره.

وهناك الكثير من المؤسسات الخاصة يتعامل أكثرها اليوم باللغة الإنجليزية تخاطباً وكتابة، حتى شاعت في الأعمال التجارية.

كما شاع اللحن في كثير من المسميات، وعلى سبيل المثال: "فندق ديرة، صيدلية حياة"، أي: فندق الديرة، وصيدلية الحياة. و "محطة سيارة"، أي: محطة السيارات، وغير ذلك مما لا تتسع له هذه المساحة المحدودة.

وكذلك يلاحظ الأخطاء اللغوية والإملائية في كتابة اللافتات، فلنحرص على العناية بلغة الضاد، وتراث العربية الخالدة، ولقد قيل: "إن لسان العرب هو أجمل لغة على وجه الأرض". وبها من الاشتقاق والترادف والنحت والمجازات ما يجعلها تستوعب كل جديد.

الأندية الأدبية قاعدة للتواصل الفكري

يأتي إنشاء الأندية الأدبية في جميع مناطق المملكة تجسيداً لاهتمام الدولة بالأدب وفنونه ورعايتها للأدباء، خاصة وأن هذه البلاد منطلق الأدب وموئل الشعر، وقلعة المعرفة والهداية، ومهد الفصاحة والبلاغة، ومهوى أفئدة العرب والمسلمين، وملتقى الشعر والشعراء على امتداد التاريخ، تتلقفها كابراً عن كابر.

واستطاعت خلال حقبة من الزمن أن ترسل أضواءها الروحية والثقافية إلى أرجاء المعمورة، وهي قمينة اليوم أن تكون لها الريادة في احتضان الأدب والأدباء والبذل في سبيل ذلك، مما يمكن الأندية الأدبية من أسباب الرقي والنهوض والقوة والذيوع.

وفي بلادنا اليوم أكثر من عشرة أندية أدبية رسمية ترعاها الدولة بالمال والإشراف، ونأمل أن تكون هذه الأندية في مستوى أدبي لائق بسمعة هذه البلاد ومكانتها، فقد كان بها قديماً الأسواق الأدبية التي كانت تجري فيها المطارحات الأدبية واللغوية والعلمية، وتعقد فيها حلقات النقاش العلمي واللغوي بين العلماء والرواة والأدباء، وقرأنا كتباً ألفت ودونت ما كان يطرح فيها من ضروب العلم ومسائل الأدب وقضايا اللغة وأمور النقد والبلاغة والبيان.

وتحفل كتب التراث الأدبية بأخبار كثيرة تتناول ما كان يجري في هذه المجالس والأندية من مناقشات وحوار في اللغة والأدب والشعر والنقد الأدبي.

وإن الأندية الأدبية عليها واجب الاهتمام برعاية الحركة الأدبية وازدهارها، وأن تعيد لنا تاريخ عكاظ والمربد، وغيرهما.

وفي هذا الصدد فلا ينكر ما بُذل من جهود تمثلت في المحاضرات والنشر وندوات النقاش الأدبي، فقد أثرت الساحة الأدبية والمشهد الثقافي بجهدها المحدود وطاقتها الممكنة.

إن الأدب في بلادنا يحتاج إلى الدعم القوي، وفتح قنوات جديدة لنشره وتأصيله، والغوص في أعماق الفكر المتألق.

وفي بلادنا شخصيات أدبية مرموقة، وعلى قسط كبير من الثقافة المتعمقة، يعتز بها الإنسان في الأدب والنقد والشعر، ومتابعة لأحدث النظريات الأدبية، ومنطلقة من خلفية أدبية عربية تراثية ومشروع أدبي متميز.

وهناك شعراء وأدباء أوصلوا صوتنا الأدبي والشعري إلى أرجاء الوطن العربي، من خلال مؤلفاتهم ومشاركتهم الجادة المتمثلة في الحضور والحرص على العطاء الأدبي، وتأصيل الفكر والثقافة.

وإن إثراء الحياة الأدبية بالإصدارات الأدبية الجيدة ذات المستوى الرفيع أسلوباً ومضموناً ولغة مطلوب من الأندية، وكذا المحاضرات الفكرية المنهجية، وعقد الندوات الأدبية التي يشترك في إحيائها رجال الفكر والثقافة من شيوخ وشباب، والتعمق في قضايا الأدب والنقد.

وعلى أهل الأدب جميعاً التواصل الثقافي، والتجاوب والمشاركة الفعالة في نشاط الأندية، فهي تستمد قوتها وفعاليتها من قوتهم، مع الحرص في كل عام على توزيع استمارات تبعث إلى الأدباء لتقديم مقترحاتهم وآرائهم حول أعمال النادي ومشروعاته، وخططه وبرامجه

المستقبلية، وغير ذلك مما يناسب رسالة النادي ووظيفته مما يعينه على أداء رسالته، فذلك مما يحرك حياتنا الثقافية، ويشجع على الإبداع الفكري، إذ هو الركيزة التي يقوم عليها الأدب بمختلف أشكاله وتعدد أنواعه، ويحفز الأدباء والمبدعين على المزيد من العطاء الذي هو ثروة أدبية لبلادنا وأدبنا وواجهة مشرفة لنا أمام العالم.

وتحية لأنديتنا ولرؤسائها الجدد الذين نطمح فيهم ونأمل منهم تحريك المياه الراكدة في حياتنا الفكرية، فالاجتهاد واجب، و كذلك الارتفاع بالأدب إلى أن نجعل منه عطاء وإبداعاً مستمراً، وأن نرى المشهد الثقافي متميزاً في هذا البلد المبارك، ومزيداً من العطاء والتميز والإبداع لتحقيق الرسالة الأدبية لهذه الأندية على أفضل وجه.

والأمل كبير وقوي في الرقي والتطوير للأندية الأدبية؛ لتنهض نابضة وقوية، ولتنشط فعالياتها الأدبية والثقافية إبداعاً وممارسة إلى آفاق رحبة مرتكزة على قاعدة أدبية متينة من الطروحات الفكرية المعاصرة والميراث التراثي الأصيل، ويكون لها حضور فكري وثقافي مؤثر تستطيع أن تستقطب به الجميع.

هذه خاطرة أرجو أن يكون فيها ما يبعث على العمل وتحقيق الأمل.

والله المستعان.

رمضان في عيون الشعراء

شهر رمضان شهر الصفاء والتسامي، فهو شهر الفضل والنعمة والسعادة، شهر الصيام والقيام وتلاوة القرآن، شهر العتق والغفران، شهر الخيرات والصدقات والإحسان، شهر تفتح فيه أبواب الجنة، وتضاعف فيه الحسنات، وتقال فيه العثرات، وتجاب فيه الدعوات، وترفع الدرجات، وتغفر فيه السيئات. شهر فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، من حرم خيرها، فقد حرم خيراً كثيراً.

هذه المعاني العظيمة وغيرها الكثير تثير في النفوس ذكريات جميلة ألهبت مشاعر الشعراء على مر العصور، فصفت نفوسهم، وسمت قرائحهم، وقدموا لنا شعراً خالداً في دنيا الأدب والفكر، والسمو به إلى الخير والمودة والإخاء وتثبيت دعائم الإسلام، ما زالت تحفظه للأجيال كتب التراث، وتحفل به الدواوين والموسوعات؛ لما فيه من لمحات أدبية جميلة.

ولعل أول من يذكرنا برمضان في الشعر العربي هم شعراء وأدباء صدر الإسلام والعصر الأموي، وغيرهم من شعراء العرب المشاهير الذين أولوا رمضان ما يستحقه من العناية والاهتمام في رمضانياتهم.

ويأتي بعدهم شعراء العصر العباسي الذين أهدوا إلى التراث الأدبي شعراً جميلاً تصفو به النفوس والوجدان، وكذلك الشعر الأندلسي الذي أسهم أدباؤه وشعراؤه بالمزيد من الروائع عن رمضان. ولا غرو فشهر رمضان حفلت به أشعار جمة، وصار موضع اهتمام الشعراء والأدباء

قديماً وحديثاً؛ لأنه من أعظم المواسم الإسلامية، فضلاً عن تتويجه بعيد الفطر المبارك. وقد تنافس المتنافسون من الشعراء والأدباء في التهنئة بحلول الشهر، كما عرضوا لذكره وهم يهنئون بعيد الفطر.

ولم يفت الشعراء الحديث عن فانوس رمضان في العصور السابقة، بل أكثر الشعراء من وصف فانوس السحور، وقد قال واحد منهم:

ونجم من الفانوس يشرق ضوؤه ولكنه دون الكواكب لا يسري
ولم أر نجماً قط قبل طلوعه إذا غاب ينهى الصائمين عن الفطر

وإذا كان شهر الصوم أعلى منزلة عند الشعراء الأقدمين من جميع شهور العام فكذلك كان هلاله عند الشعراء أبهى هلال، وترمقه العيون، ولا شك أن ما للهلال من جمال مستمد مما للشهر من جلال. وقد قال فيه الشعراء المحدثون كشوقي وحافظ والرصافي وغيرهم الشيء الكثير الذي سُمي بالرمضانيات.

ومن رمضانيات الشعراء السعوديين المعاصرين نورد بعض القصائد -على سبيل المثال- مما يتسع له الموضوع وهو كثير:

يقول حسين عرب في قصيدته:

بشرى العوالم أنت يا رمضان هتفت بك الأرجاء والأركان
لك في السماء كواكب وضاءة ولك النفوس المؤمنات مكان
وبك إستهام فؤاد كل موحد يسمو به الإخلاص والإيمان

أما الشاعر محمد حسن فقي فقد أورد في قصيدته المسماة "رمضان" من المعاني الجميلة والأفكار الرائعة الشيء الكثير، نختار منها الأبيات التالية:

رمضان في قلبي هماهم نشوة من قبل رؤية وجهك الوضاء

وعلى فمي طعم أحس بأنه ... من طعم تلك الجنة الخضراء
قالوا بأنك قادم فتهللت ... بالبشر أوجهنا وبالخيلاء
نهفو إليه وفي القلوب وفي النهى ... شوق لمقدمه وحسن رجاء
رمضان ما أدري ونورك غامر ... قلبي فصبحي مشرق ومسائي
نفسي تحدثني بأنك شافع ... عند المهيمن لي من الأسواء
أأخا العروبة إن دين محمد ... بالعرب قام بهمة ومضاء
أهوى بكسرى واستهان بقيصر ... واجتاح كل عبادة عمياء
رمضان أسعدنا فإن سحائباً ... سوداً تحط بأرضنا السوداء

أما الشاعر محمد بن علي السنوسي فيتحفنا بأبياته التالية:

رمضان يا أمل النفوس ... الظامئات إلى السلام
يا شهر بل يا نهر ينهل ... من عذوبته الأنام
طافت بك الأرواح سابحة ... كأسراب الحمام
رمضان نجوى مخلص ... للمسلمين وللسلام
أن يلهم الله الهداة ... الرشد في كل اعتزام

وما أكثر أقوال الشعراء والأدباء في رمضان وما له من تأثير عميق في نفوسهم وإنتاجهم الأدبي والفكري.

ويقول الشاعر محمود عارف:

في رحب أرواحنا لاحت بوادره ... تهز أشواقنا هز الأراجيح
في كوكب الأرض شهر الصوم قد بزغت ... أنواره تتجلى في التراويح
شهر له في قلوب الناس منزلة ... وفي القلوب له نور المصابيح
في كل نشوة نبض من مشاعرنا ... تمتد خاطرة عبر التاسبيح
يا صوم يا مرتع الأرواح طائرة ... في عمق أعماقنا من غير تطويح

رحماك عفوك طهر الصوم منبثق مع التهجد من قلبي ومن روحي

وما أكثر أقوال الشعراء والأدباء في رمضان وأثره في حياتهم وعنايتهم به، وما له من تأثير عميق في نفوسهم وإنتاجهم الأدبي وعطائهم الفكري مما هو في صميم الموضوع، ولو أردنا مزيداً من نماذج أشعارهم قديماً وحديثاً لضاق بنا المجال؛ لأن عطاءهم وإنتاجهم الأدبي والشعري تزخر به مؤلفاتهم الجمة ودواوينهم العديدة.

ومن هنا نقول: إن القصائد التي خص بها الشعراء رمضان أسهمت إسهاماً جليلاً وحسناً في ذكرى هذا الشهر الكريم.

غياب النقد الأدبي عن الحركة الثقافية الحديثة

للناقد رسالة جليلة؛ إذ النقد ملكة وموهبة فنية أصيلة، يمتاز صاحبها بسلامة الذوق ودقة الحس، وعمق النظرة والثقافة الواعية الشاملة.

والناقد كما يقال: "حجر المسن"، فإن لم يقطع فإنه يشحذ الحديد.

ولعل مما يؤسف له أن النقد ليس موضوعياً ليس في بلادنا فحسب، وإنما في العالم العربي وغيره، فيظل النقد بين الموضوعية وبين العاطفة.

وفي نظرة عجلى إلى ما يكتب في عالم النقد الأدبي تجد بعض الأقلام تشيد وتطري إنتاج أناس وتشيد بمواهبهم، وتخلق لهم مزايا وسمات لا يراها الناقد الحصيف المنصف في ذلك الإنتاج عندما يمعن النظر ويدقق في حقيقة الموضوع.

إن هذا الضرب من النقد ينبعث من منطلقات شتى، كما نلاحظ البعض يحكم على بعض الكتب وإنتاج أصحابها بضروب شتى من اتهام بالجهل وعدم المعرفة، فيرميهم بالتجريح، فبدلاً من التوجيه والبناء يسعى إلى الهدم ويقف موقف الحاسد. وأعتقد أن هذا الأسلوب مبتذل ورخيص؛ لأنه يقوم على غايات دنيئة. صحيح أن هناك تفاوتاً بين الأدباء في إنتاجهم وعطائهم، ويوجد التمايز والنوعية، ولذا يجب دراسة الأثر

الأدبي دراسة تحليلية، وإبراز مواطن الجمال والجودة، وجلاء مواطن الضعف وبوادر النقص. ولكن ليست وظيفة النقد أن يهدم، وإنما يبني وينبه، فالنقد علم له قواعد ومعايير ونظريات، تستند إلى الفكر والفعل، لا إلى العاطفة والهوى، والناقد الحصيف هو الذي يمتاز بالنظرة السليمة، ويملك الرؤية العميقة، ويتصف بالموضوعية والفكر السديد والرأي الصائب، وببسط الحقيقة وسلامة الذوق ودقة الإحساس وسعة الاطلاع والتجرد، ويساعد القارئ ويتيح له فرصة الفهم والتمييز والتذوق والسمو به في عطائه الفني، إذ الناقد هو الرائد الذي ينأى بقلمه عن الحقد ورواسبه، بل يرتفع بالقارئ إلى المستوى الأمثل، فترتفع قيمته ويبرز تفوقه؛ لأنه صاحب رسالة وهدف واضح، يشعر أنه مسئول عن تحقيقه وأدائه.

والأدب لا ينمو ويزدهر ويترعرع وينتعش إلا في ظل النقد الأدبي الموضوعي الذي ينهض به ويتقدم، وكلما كان الناقد موضوعياً كلما استقبله القراء بالرضا والارتياح والقبول والتجاوب. ومن يتتبع تاريخ النقد في تلك العصور التي مرت به وفي تلك الأزمنة التي تعاقبت عليه يدرك أنه لم ينتعش ويزدهر إلا في الأزمنة التي تزدهر فيها الثقافة والمعرفة؛ لأنها من أسباب نموه ورقيه وازدهاره وتقدمه. وهكذا نجد أن الحديث عن النقد والنقاد كثير الجوانب متشعب النواحي، وبخاصة في عصور ازدهار الأدب والشعر.

وحينما نجد الأدب الجيد يكون الناقد الجيد كما يقال، فالنقد عامل مهم في ازدهار الأدب ومؤازرته، والأخذ بأسباب التحليل والتوصيف والنقد.

نحن في حاجة إلى الناقد الذي ينعش ما ذوى من الأمل في ندرة

النقاد وعدم موضوعيتهم، وتهيئة النفوس للإيمان برسالة الناقد ودوره في بناء صرح الأدب، فيمتع القراء بالدراسات المفيدة والعطاء العميق والإنتاج الجيد، وحينئذ سيكون لدينا أدب وأدباء ونقاد لا يقلون في ضروب الثقافة والفكر عن أمثالهم في البلدان المتقدمة الأخرى، ويضيفون للمشهد النقدي أسساً نقدية.

نحو مزيد من الاهتمام بالدراسات اللغوية

عني اللغويون والنحويون منذ القرن الأول الهجري بالاهتمام باللغة العربية وتعزيز دورها والكشف عن أسرارها وخصائصها؛ لما للغة العربية من مكانة وجليل شأن، فلغتنا العربية مصدر فخرنا وموضع اعتزازنا، فهي لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة وتراثنا الثقافي الجليل. ومن هذا المنطلق يأتي الاهتمام بضرورة العناية بفقه اللغة العربية والحرص على الدراسات اللغوية وأثر الاشتقاق والبحث والتعريف والترادف والتضاد في دلالة الألفاظ، وثراء اللغة العربية وخصائصها الصوتية.

لقد عرفت اللغة العربية ألواناً مختلفة من التآليف والمصنفات اللغوية عبر تاريخها الطويل، ولقد اندفع الكثيرون من علماء اللغة في تدوين تراث اللغة العربية لحفظها، وتباروا في فنون التأليف بجهود علمية كبيرة، فمن يطالع معاجم اللغة وحرصها على ترتيب الألفاظ، ومن يطالع كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي يجد القدرة اللغوية، وكذا "لسان العرب" لابن منظور و"القاموس المحيط" للفيروز آبادي و"الصحاح" للجوهري و"تاج العروس" للزبيدي يدرك الجهود العظيمة لأنواع التصنيف اللغوي.

ولم يقتصر أسلافنا على ذلك، بل بحثوا وطرقوا ميادين فلسفة اللغة وفقهها وأسرارها، كما فعل أبو منصور الثعالبي في كتابه "فقه اللغة وسر العربية"، وانبرى الكثيرون من علماء اللغة يجمعون غرائبها ونوادرها

وشواهدها من أمثال أبي زيد الأنصاري في نوادره، والأصمعي وقطرب وأضرابهم.

لقد خاض القدامى ميادين اللغة، وصنفوا التآليف والمصنفات الضخمة، واشتغلوا بعلومها وآدابها وفقهها وأسرارها، تجلى ذلك في كتبهم عن أصول اللغة، ككتب الثعالبي وابن جني وابن فارس وابن منظور والسيوطي، كما حذا حذوهم بعض المستشرقين الذين حرصوا على دراسة علوم اللغة والدراسات اللغوية، وأشادوا بالتنظيم المنطقي في بناء اللغة، والفضل ما شهدت به الأعداء.

إن الاهتمام بالدراسات اللغوية واجب أبناء اللغة وعلمائها للنهوض بها، والاهتمام بما تستحق من خدمة وعمل في مجالاتها الواسعة، والبحث المتواصل لبلوغ العربية مكانتها العالمية السامية، والكشف عن أساليب العربية وطرائقها في وحدة التعبير وتأدية المعاني، والعناية بلغة الضاد وبتراث العربية الخالد.

إن علينا أن ندرك كل ما يتعلق بعلم اللغة ودلالاتها اللغوية وقواعدها، ومدى سعتها اشتقاقاً ومجازاً وتنوعاً، وما فيها من استفهام وتقرير ودقة تركيب، وما فيها من قدرة وطاقة في استيعاب اللغات والحضارات الأخرى.

ولقد أمد القرآن الكريم اللغة بمزيد من العبارات والألفاظ ذات الدقة والتصوير البديع، فكانت خير لغة حفلت واستوعبت هذا الكم والزخم من الكلمات والألفاظ والاتساق بين المعاني والألفاظ، مما جعل عدداً من علماء اللغات الأخرى يعبرون عن عجزهم، ويذكرون أن في اللغة العربية من الموسيقى والجرس والاتساق اللفظي والإيقاع ما لا يمكن ترجمته إلى لغاتهم.

لقد كان لأعلام اللغة نتائج طيبة في إرساء نظام من القواعد يتيح تفسير التعبيرات اللغوية الصوتية والأنماط التعبيرية وفهم الحقائق والخصائص، ومن يطالع كتاب "مقاييس اللغة" لابن فارس و"التهذيب" للأزهري و"الجمهرة" لابن دريد و"الأساس" للزمخشري و"المفردات" للراغب و"فصيح ثعلب" و"الألفاظ الكتابية" للهمداني و"فقه اللغة" للثعالبي سيدرك قوة اللغة وسعة مفرداتها وإعجازها اللفظي والمعنوي، وما تزخر به من نظام نحوي وأوزان صرفية، ومن إعراب وبناء وحركات وسكون وقياس واشتقاق، وغير ذلك من دقائق اللغة وأزاهيرها وخصائصها وفقهها وصيغها ودلالاتها، ومعاني المفردات والصيغ، وغير ذلك مما هو مدون في المعاجم اللغوية، ويدل على نضجها ومكانتها في نقل المعرفة والعلوم الإنسانية، ومدى سعتها اشتقاقاً ومجازاً.

ولقد مضى على نزول القرآن الكريم ما يزيد على أربعة عشر قرناً بادت خلالها لغات، ولا زالت العربية تعيش بحيويتها وجمالها ورونقها وفصاحتها، فقد شاء الله أن يختم رسالاته إلى خلقه بالقرآن الكريم، مما زاد اللغة العربية خلوداً وشرفاً وتجدداً في كل وقت وحين.

العيون في الشعر العربي

للعيون في الشعر العربي حيز ومكانة راسخة عبر الأجيال، وقد أبدع الشعراء قديماً وحديثاً في التغني بالعيون باعتبارها من أهم ملامح الجمال، ولذا حظيت بالتمجيد في مختلف الآداب الإنسانية قديماً وحديثاً، ووصفت بأوصاف شعرية رائعة نقرؤها ونسمعها، فتثير فينا شيئاً من المتعة والإعجاب.

والشعر العربي على امتداد مسيرته الفنية والتاريخية أولى العيون مكانة سامية، حيث اتجه عدد من الشعراء إلى نعتها بأبلغ الأوصاف وأجملها وأبدعها، وخلدوا ذلك في نصوص شعرية بليغة ومؤثرة، وهي نصوص كثيرة مبثوثة في دواوين الشعراء، مفعمة بروعة التصوير ودقة الأداء وجمال التعبير، وحين نستعرض ذلك تقفز أبيات الشاعر جرير، حيث صور لنا العيون إذ أنها تقتل وتصرع كما يقتل الأبطال ويصرع الصناديد خصومهم في قوله:

إن العيون التي في طرفها حور قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنسانا

كما صور لنا صريع الغواني مسلم بن الوليد ذلك في قوله:

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا وتغدو صريع الراح والأعين النجل

ويقولون: "إن العين تفضح الأسرار وتبث الأخبار". كما يرى سبط بن التعاويذي في قوله:

عيني وقلبي في الهوى عون علي فمن يلوم

أما ذو الرمة فيقول:

وعينان قال الله كونا فكانتا فعولان بالألباب ما تفعل الخمر

لقد فاض الشعراء في أقوالهم وقصائدهم، ورسموا صورة حية للغة العيون، وأطنبوا في وصفها وقوتها وتأثيرها ورقتها وعطفها، والعين مرآة تجسد الغنى والفقر والشبع والجوع، ووضعوا لها أسماء متعددة، كدعجاء ونجلاء، يقول أحد الحكماء: "ما أجملها إن طربت، وما أقساها إن غضبت، وما أحلاها إن نعست، فهي الجنة بنسيمها، والجحيم بشررها، كم بطل صنديد جندلت، فالدمعة سلاحها، والأهداب سهامها".

ويقول أحد الشعراء:

فانظر بعقلك إن العين كاذبة واسمع بقلبك إن السمع خوان

ولا تقل كل ذي عين له نظر إن الرعاة ترى ما لا يرى الضان

أما بشار بن برد الشاعر العباسي الأعمى فله رأي في العين، حيث يرى أن المحب لا يرى بالعين وإنما يبصر بالقلب، فسلطان الهوى ينظر بالقلب؛ لأنه مصدر الإحساس والتعبير عن المشاعر والعواطف، إذ يقول:

فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو اللب

فما تبصر العينان في موضع الهوى ولا تسمع الأذنان إلا من القلب

وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا وألف بين العشق والعاشق الصب

ويرى أن الأذن تعشق قبل العين، حيث يقول:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحياناً

أما البحتري شاعر الطبيعة والوصف فإننا نراه يهرب من سحر العيون وجمالها، حيث قال:

من عذيري من الظباء الغيد ومجيري من ظلمهن العتيد
إن سحر العيون ضلل لبي وحماني الرقاد ورد الخدود
أتراها دامت على الوصل أم من عادة الغانيات نقض العهود

أما العباس بن الأحنف شاعر الحب والعاطفة فيقول:

ظلمت عيناك عيني إنها بادلتها بالرقاد الأرقا

إنها صورة شعرية أخذت من عينيه النوم والراحة، وأعطته السهر والأرق.

لقد أعجب الشعراء بالعيون، فوصفوها بأشعارهم وخيالهم؛ لما للعين من أثر على النفوس، حيث نرى ابن زيدون -الشاعر الأندلسي- يقول:

ما للمدام تديرها عيناك فيمل في سكر الصبا عطفاك
هلا فرجت لعاشقيك سلافها ببرود ظلمك أو بعذب لماك

أما الشاعر قيس بن ذريح فقد سئل عن سبب علته فقال:

عِيدَ قيس من حب لبنى ولبنى داء قيس والحب داء شديد
وإذا عادني العوائد يوماً قالت العين لا أرى من أريد

أما الشريف الرضي فقد قال:

وتلفتت عيني فمذ خفيت عنها الطلول تلفت القلب

ويروى عن ابن حجر العسقلاني في قوله:

أظهر جمالك للعيون وأبده وصل الوداد لمن رضاك بوده

وعما تعبر العين عما بداخلها ولسان حالها يقول:

إنا لننطق والأفواه صامتة حتى ترى من صميم القلب تبيانا

وبعد.. فإن القول في هذا المجال ذو سعة، ولكن المقام يدعو إلى الاقتضاب؛ حيث إن هناك طائفة من أقوال الشعراء والأدباء في وصف العيون وسحرها وجمالها وبهائها وخطرها وشعاعها السحري، كما قيل:

لدغت عينك قلبي إنما عينك عقرب

وختاماً.. نسأل الله أن يحفظ لنا العيون، ويحفظنا ويقينا من العيون.

هذا وبالله التوفيق.

المكتبات أساس نهضة الأمم

المكتبات منارات إشعاع ثقافي، وصروح حضارية علمية وثقافية، وللمكتبات دور عظيم في تثقيف الشعوب وزيادة رصيدها من الوعي والمعرفة في مختلف الميادين، فهي المصادر الأساسية للمعلومات ولا سيما في العصر الحاضر الذي تقدمت فيه التقنيات الحديثة، وأصبح بالإمكان الحصول على المعلومة في أسرع وقت مع اكتمال من جميع جوانبها.

وللمكتبات دور حيوي في إثراء ميادين البحث والثقافة والمعرفة، وهي العنصر الفعال والوعاء المعرفي في تحقيق وإثراء قاعدة المعرفة بالحياة الثقافية والفكرية والإنسانية في بلادنا، والمكتبات الوطنية في بلادنا مفخرة من مفاخر هذه البلاد؛ حيث تقوم اليوم بدور رائد في هذا المجال، وتكثيف الجهود نحو الرقي والنهوض في هذا العصر الذي يشهد باستمرار تطوراً في مختلف مجالات الحياة يتحفنا بها العلم والعلماء، وهي تتويج لمجهودات فذة كبيرة في مختلف العلوم والآداب والفنون.

وإن للكتاب في هذه البلاد ولدى أمتنا قيمة روحية، فقد ارتبط بداية بكتاب الله الكريم، فانعكس ذلك على العناية بالكتاب، والاهتمام به وسيلة لنشر رسالة الإسلام.

وكانت دور الكتب في المساجد والمدارس مراكز إشعاع للعلم والعلماء، وانطلاقاً من ذلك فقد أصبحت الحاجة إلى مصادر ترشد إلى

مختلف مجالات المعرفة البشرية مما يحتاج إليه الباحث والعالم والأديب والطالب والأستاذ، فوجود المصادر سوف يسهم إلى حد كبير في توفير المعلومات التي ينشدها الباحثون ويبتغيها الدارسون بسهولة وهدوء، وأحسب أن الحاسب الآلي بالإمكانات الموجودة فيه سيجعل الحصول على المعلومات من قبل الباحثين أمراً ميسوراً لهم، فقد توفرت في المكتبات أجهزة التصوير الحديثة، وشبكات الاتصال بالمراكز العلمية التي تتوفر فيها كافة المعلومات، والأفلام العلمية بأنواعها المتعددة، وكذا الفهارس المنظمة التي توفر وتيسر للباحثين الاطلاع على محتويات أي مكتبة، ومعرفة ما تحتويه من مخطوطات أو كتب مطبوعة أو أفلام وثائقية، وغيرها من أدوات ووسائل المعرفة.

لقد أصبحت المكتبات مراكز إشعاع، وأخذت دورها في مساندة الجامعات ومراكز البحوث، وإن صعوبة توفر ما يريده الباحث في مكتباتنا يجعلنا ندعو إلى أهمية وجود ذلك وإن كان العمل ليس سهلاً في مثل ذلك؛ فعملية إيجاد المصادر ليست من السهولة بمكان.

إن التراث العربي الإسلامي لغني جداً، ولكنه موزع ومشتت، ويحتاج إلى جهد علمي واسع، وترتيبه بأسلوب يسهّل على الباحث والدارس الحصول على المعلومات المطلوبة في سهولة ويسر.

إن الاهتمام بالمكتبات ودعمها لأمر حيوي؛ لأنها هي الدعائم الأساسية التي تنشأ عليها صروح العلم والحضارة والمعرفة وتحقيق الطموحات.

قراءة في كتاب الحياة العلمية في نجد

حديثنا اليوم عن كتاب صدر حديثاً بعنوان "الحياة العلمية في نجد" من تأليف: الدكتورة مي بنت عبد العزيز العيسى، تتحدث فيه عن الحياة العلمية في نجد، وكيف كانت رحلات أهلها لطلب العلم، كما أنها كانت موئل القاصدين من مختلف البلدان لطلب العلم والمعرفة، ويتكون الكتاب من أربعة فصول، ويقع في (٣٨٧) صفحة، وقد قامت دارة الملك عبد العزيز بطباعته.

وقد بدأت الدراسة بالقرن العاشر الهجري حتى عام (١٢٤٠هـ) في عهد الدولة السعودية الثانية، وقد أعطت لمحة جغرافية عن موقع نجد وحدودها، وتوضيح حدود كل إقليم من أقاليمها، وذِكْر أشهر بلدانه وأوديته، وسماته المميزة مناخياً.

كما أعطت نبذة تاريخية عن نجد قبل ظهور الدعوة، والكيانات السياسية التي كانت قائمة، والتفكك السياسي الذي اعترى المنطقة بصفة عامة، حاضرة وبادية، وأنها لوضعها الجغرافي ظلت بمنأى عن النفوذ العثماني الذي امتد إلى كل من الحجاز واليمن والأحساء، وأن الغزوات التي كانت تسود معظم أجزاء المنطقة كانت في أغلبها للبحث عن غنائم.

ومع تردي الأوضاع السياسية في المنطقة -حاضرة وبادية- والعداء المستمر بين كياناتها إلا أن الحركة العلمية كانت في نمو مطرد منذ القرن العاشر الهجري حتى ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد

تمثل ذلك بوجود عدد من العلماء والقضاة داخل نجد وخارجها في المراكز العلمية المشهورة، وبعضهم ممن رحلوا أو هاجروا إلى تلك المراكز، فتصدروا للتدريس في حلقات العلم، كالمدينة المنورة ودمشق والبصرة والقاهرة.

كما أجرت حصراً للعلماء في كل حقبة من الحقب، واختارت العلماء الذين تمت الترجمة لهم، وأجرت عليهم الدراسة.

وأشارت إلى بعض من لم تتم الترجمة لهم في معظم مراحل التحليل؛ لإيفاء الحركة العلمية حقها من الدراسة، وتم إخضاع المجموعة التي تمت الترجمة لها في كل حقبة للعديد من التحليلات، من حيث مكان المولد، والدراسة والهجرة في طلب المزيد من العلم، واتجاه الرحلة إلى داخل نجد أو خارجها، والمراكز العلمية التي كانت تجذب الطلاب للدراسة فيها في الداخل أو الخارج، والعلوم التي كانت شائعة للتأليف فيها من قبل علماء نجد.

وذكرت تزايد الإقبال على الرحلات من أجل طلب العلم داخل نجد، وأعطت دلالة على نمو الحركة العلمية وزيادة عدد العلماء والمراكز العلمية في نجد، كما حدث ذلك من خلال القرن الحادي عشر الهجري، وأن نمو بعض البلدان ورخاءها المعيشي أهّلها لأن تكون من بين المراكز العلمية، فمثلاً كانت بلدان "أشيقر، والعيينة، ومقرن (الرياض فيما بعد)" من أشهر المراكز العلمية خلال القرن العاشر، ثم إذا بالدرعية تحتل مكانة كمركز لاستقطاب العلماء في القرن الحادي عشر، ثم تحتل الصدارة في النصف الثاني من القرن الثالث عشر؛ لكونها أصبحت مصدر الدعوة ومقر الدولة، وازدهرت فيها الحركة العلمية إلى أبعد مدى عقب ذلك.

ومثل ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب مرحلة بارزة في تاريخ الحياة العلمية في نجد، وذلك لما تبعها من تغيرات في أحوال المنطقة سياسياً وعلمياً واجتماعياً، أدت بالتالي إلى ازدهار الحياة العلمية في نجد بالمقارنة مع الفترة السابقة، حيث تشير الدراسة إلى أن نجد خلال هذه الفترة (١١٥٠ - ١٢٠٦هـ) كانت جاذبة لهجرة العلماء لبعض بلدانها، وأن الهجرة الداخلية كانت هي السمة البارزة لعلماء هذه الفترة، وأن الدعوة الإصلاحية كان لها أثرها الكبير على الهجرة، والتنقل بين البلدان للكثير من العلماء، إما بغرض العمل على نشر الدعوة أو تولي منصب القضاء أو الإفتاء أو الإمارة أو التدريس والإرشاد أو بغرض المزيد من طلب العلم أو لتأييد الدعوة، أما الهجرة خارج نجد فقد اقتصرت على معارضي الدعوة.

وتحدثت عن جهود العلماء ودورهم الكبير في نشر العلم والمعرفة، وقد احتل الشيخ محمد بن عبد الوهاب المرتبة الأولى في كثرة المصنفات؛ إذ مثلت مصنفاته قرابة الثمانين في المائة من مجموع ما تم تصنيفه خلال هذه الفترة (١١٥٠ - ١٢٠٦هـ)، وهذا يتناسب مع دوره كداعية ومصلح ديني، ورأس العلماء في الدولة السعودية الأولى، التي استطاعت توحيد نجد تحت حكمها، وأخذ نفوذها يمتد إلى المناطق المجاورة قبل وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

كما شهدت الفترة من عام (١٢٠٧ - ١٢٤٠هـ) استمراراً للنشاط العلمي، بالرغم من الخمود في المجال السياسي؛ نتيجة لحروب الدرعية، مما يؤكد قناعة أهل نجد بل إيمانهم الراسخ بالدعوة الإصلاحية، وأنها غيرت الكثير من سلوكياتهم الاجتماعية، فأصبحوا لا يطيقون الحياة إلا في ظلها، ولذا فإن الحركة العلمية ظلت متواصلة في ازدهارها.

وبالجملة فقد دلت الدراسة على نمو الحياة العلمية في نجد بشكل مطرد نسبياً خلال القرنين السابقين على ظهور الدعوة الإصلاحية، وكان من أبزر مظاهر هذا النمو:

- الزيادة المطردة في عدد العلماء من حقبة لأخرى.
- واتساع الرقعة الجغرافية للمراكز العلمية البارزة في نجد.
- وكذا بروز عدد من العلماء النجديين في بعض البلدان داخل الجزيرة العربية وخارجها، يجوبون المفاوز حيث كانوا حريصين على طلب العلم، ولاقى الكثير منهم المتاعب في سبيل تحصيل العلم، وجدوا واجتهدوا، وتنقلوا من بلدة لأخرى سعياً في طلب العلم متغلبين على كافة العوائق، وكانوا لا يملون من كثرة الترحال والتنقل داخل بلدان نجد وخارجها سعياً في طلب العلم، يبحثون عن العلماء ليأخذوا عنهم في مختلف ضروب العلوم، فإذا ما رغب أحدهم في المزيد جمع همته وشد رحاله إلى بلد اشتهر بوفرة علمائه.

كل ذلك مع صعوبة الحياة المعيشية وقتها، وقلة ذات اليد، والمعاناة في الانتقال من مكان لآخر، وفي الحصول على الكتب والمراجع وأدوات الكتابة، وغيرها.

ولقد ارتقى العديد من هؤلاء العلماء مرتقى عالياً، وصاروا من مشاهير العلماء، ليس في نجد وحدها وإنما في البلدان التي سعوا إليها طلباً للعلم، كالشام ومصر والعراق، وغيرها، وكانوا همزة الوصل بين نجد وغيرها من البلدان، وشعاع المعرفة والصلة العلمية والثقافية المتدفق من قلب الجزيرة العربية إلى أجزاء العالم العربي والإسلامي.

وبعد فكم نحن في حاجة إلى معرفة الكثير عن الحياة العلمية في نجد في القرن الثامن والتاسع والعاشر، وتحقيق بعض المخطوطات وتيسيرها للباحثين، وتوفير وسائل التوثيق العلمي؛ لتسهيل مهام البحوث في ذلك الميدان، فذلك يمثل أحد الجوانب الهامة لرسالة مراكز البحوث والجامعات والمؤسسات العلمية والمكتبات.

وخير الهدايا الكتب

الكتاب هو عنوان الثقافة وعنوان الحياة الأول ومصدر المعرفة، وبمناسبة الإجازة الصيفية هل فكر كل أب في إهداء أبنائه مجموعة من الكتب لقراءتها؟ فالقراءة متعة يعشقها الصغار، فلو قرأ كل واحد منهم كتاباً واحداً لكان في ذلك فائدة له في تنمية موهبة القراءة لديه، ورعاية جوانب نموه المختلفة روحياً ونفسياً وجسمياً. فالكتاب له دور حيوي في إثراء ثقافة الشباب، وهو الوعاء المعرفي في تحقيق وإثراء قاعدة المعرفة، وخلق وعي ثقافي لدى الشباب يدفعه إلى حب المعرفة، وتنمية حب الاستطلاع، وتشجيعه على البحث، وتعويده على القراءة، وحب الكتاب، وارتياد المكتبة، مع تقديم الحوافز المادية والمعنوية له للارتقاء بقدراته ومواهبه وإمكاناته العقلية.

ولعل الجاحظ من أقدم المؤلفين حيث خص الكتاب بحديث طويل وكلام جيد عن فضل الكتاب وأهميته وبيان منافعه؛ إذ الكتاب ينبوع من المعارف والمفاهيم، ومرآة ناصفة تجسد وتعكس فنون المعرفة وضروبها.

ومن الملاحظ في هذه السنوات الأخيرة انصراف الشباب عن القراءة التي كانوا يهتمون بها، حيث أطبقت عليهم مخترعات التقنية الحديثة، وما تحمله من مغريات، أهمها: الصحف، والإذاعة، والتلفاز، ومشاهدة الفيديو، ومباريات كرة القدم، والمحطات الفضائية، وغيرها من الوسائل التقنية الحديثة. ولذا فقد انصرفوا عن القراءة الجادة المثمرة

إذ لم تكن بأسلوب يشدهم ويجذبهم، ويتغلب على ما يشدهم من هذه المغريات.

فالقراءة نور يضيء ويبدد ظلمات الجهل، وعملية تكوين وبناء فكري أساسي، فالكتاب هو الضياء في طريق أي إنسان مطلبه ومقصده العلم، وهو مدخل ثقافي لدراسة أي علم كان، ولن يهمل دوره وتقل أهميته كما يزعم البعض.

فالكتاب وعاء من أوعية المعرفة والمعلومات، ووجه حضاري مشرق، ووسيلة إلى رقي الأمم فكرياً وذهنياً، فهو يلعب دوراً فعالاً في تنمية المعرفة والثقافة، ولقد قيل: "إن الأمة الواعية هي الأمة القارئة". فهو الدعامة الأساسية في مجالات البحث والدراسة والمطالعة، ورحم الله أسلافنا الذين كانوا يحرصون على الكتب ويهتمون بها، حيث يقول أحدهم:

جل قدر الكتاب يا صاح عندي فهو أغلى من الجواهر قدرا

ولقد قيل: "إن في قراءة الكتب لذة ومتعة".

ولكن إذا كانت القراءة في الكتب نشوة ومتعة فإن من أمتع اللذات الحديث عن الكتب، وإن تاريخ الكتاب في الحضارة الإسلامية لحافل بأنصع الصفحات، حيث كان الأسلاف مولعين بالكتب والعناية بالمكتبات، والاهتمام بالمعارف والعلوم، ونشر العلم بشتى ضروبه وفنونه، وكانوا يأخذون من كل علم بطرف، ويشعرون بالمتعة في قراءة الكتاب، ويحسون بالألم في البعد عنه، فهاهو شاعر المعرة يقول:

ما جاء في هذه الدنيا بنو زمن إلا وعندي من أخبارهم طرف

وما أجمل قول القائل:

ولكل صاحب لذة متنزه أبداً ونزهة عالم في كتبه

وحب الكتاب عند من يعرفون للفكر الرفيع قيمته وللعقل إمكانيته هو ألذ من حديث الحسان الذي قال فيه الشاعر:

وحديثها السحر الحلال لوانه لم يجن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يملك إن هي أوجزت ود المحدث أنها لم توجز

ولقد صور أبو الطيب المتنبي حقيقة الكتاب ومتعة قراءته بقوله:

أعز مكان في الدنا سرج سابح وخير جليس في الزمان كتاب

وهذا أمير الشعراء أحمد شوقي يفضل الكتب على الأصدقاء قائلاً:

أنا من بدل بالكتب الصحابا لم أجد لي وافياً إلا الكتابا

ومهما نازعت الكتاب في مقامه الأول التقنية والفضائيات والحاسب الآلي وأدوات ثقافية أخرى كالإنترنت وغيره فإن الكتاب سيظل عنصراً مهماً ومصدراً للمعرفة، ومن المعروف أنه لا سيادة لأمة بدون ثقافة ومعرفة يحتل فيها الكتاب المكانة المرموقة، فهو أداة هامة للنهوض والتطور والبناء، كما أنه وسيلة حيوية لربط الصلة بين الماضي والحاضر والرسالة التاريخية التي أداها في بناء الفكر والمعرفة.

إن القراءة ضرورة من الضرورات، ويجب أن نحرص على القراءة المتسمة بالوعي والاستيعاب والفهم، كما ينبغي أن نركز على منهج القراءة في مناهجنا الدراسية، ومراعاة أسلوب الرغبة ومحبة الكتاب، وتوجيه الشباب توجيهاً تربوياً إيجابياً بحيث يكون أداة لتحقيق الأهداف التربوية وتأثرهم بما فيه علمياً ومسلكياً وتربوياً.

الكتاب في مواجهة ثورة المعلومات

الكتاب هو حياة المتعلم ونبض أفكاره وروحه، وعصارة تجارب العلماء والأدباء والمفكرين، ونبضات قلب الشاعر، والمورد العذب للأستاذ والطالب وكل مثقف واع حر الفكر.

وهذه للأسف حكايات وعجائب مع الكتاب:

كلنا يعرف شغف الجاحظ بالكتاب، حتى كانت منيته بسبب الكتاب.

وأبو علي القالي كان يملك نسخة من كتاب "الجمهرة" لابن دريد، وكان يعجب به كثيراً، فلما افتقر وجاع عياله باعها بخمسين قطعة من الذهب، ولكنه قبل أن يسلمها إلى المشتري كتب عليها أبياتاً، منها:

نعمت بها عشرين عاماً وبعتها ... وقد طال وجدي بعدها وحنيني

وما كان ظني أنني سأبيعها ... ولو خلَّدتني في السجون ديوني

ولكن لعجز وافتقار وصبية ... صغار عليهم تستهل شئوني

إلى آخر ما قال.

وكان المشتري ميسور الحال وذا إحساس مرهف، فلما قرأ تلك الأبيات أعادها إلى الرجل مصحوبة بمثل ثمنها من الذهب.

وحينما هجا نفطويه ابن دريد لم يستطع ذم الكتاب، بل زعم أنه كتاب العين.

وقد كان يثير حب الرجل للكتاب شيئاً من غيرة المرأة، يقال: إن رجلاً كان مقبلاً على كتاب العين محباً له، يقضي معه جل وقته، وفي يوم عاد من المسجد ووجد بيته غارقاً في الدخان، فأسرع وهو يصيح: ما الخبر؟ فتلقته زوجته وهي تقول: لا شيء، اطمئن، ما هو إلا ضرتي أحرقتها، فصاح: ما هي؟ قالت: كتاب العين، فثارت ثائرته ورجع إلى المسجد ليطلقها على يد أستاذه الذي خفف من غضبه بقوله: أما الكتاب فعندي لك نسخة بدلاً من تلك، **تقوم لك بديلاً عن زوجتك**، ثم إنك الجاني، ألم تقرأ قول رسول الله ﷺ: (وإن لأهلك حقاً). ولكن قل لي: من سوف يزوجك؟

ومهما قيل: إن الحاسب الآلي والإنترنت سوف يطويان قيمة الكتاب وسيجعلانه مبتذلاً وكاسداً، فهو قول غير صحيح؛ لأسباب يعرفها المتعاملون مع هذه الوسائل، وأنا لا أنكر فائدتها؛ لأني متأكد من عدم إنهائها للكتاب مهما بلغ بها التقدم، لكن هل كل كتاب جدير بالاقتناء والمحافظة عليه؟!

ونسأل الله أن يقيل عثرة الكتاب، ويبعث من يجدد مكانته، ويعيده إلى عرشه ومجده.

جل قدر الكتاب يا صح عندي فهو أغلى من الجواهر قدرا

ولقد وفق أمير الشعراء أحمد شوقي حين أشاد بمكانة الكتاب، حيث قال:

أنا من بدل بالكتب الصحابا لم أجد لي وافياً إلا الكتابا

أهمية الكتاب وافتتان العلماء به

لقد شغف القدامى بالكتب وشرائها وجمعها، حتى كانوا يرون خسارتهم في أموالهم أيسر عليهم من خسارتهم في كتبهم، وكانوا يتنافسون في شراء المؤلفات العلمية من مؤلفيها قبيل الانتهاء من تأليفها، وعلى سبيل المثال: فقد سمع الحكم المستنصر أمير الأندلس بكتاب "الأغاني"، فأرسل على الفور إلى مؤلفه أبي الفرج الأصفهاني بألف دينار من الذهب ثمن نسخة واحدة منه، فأرسل إليه أبو الفرج بنسخة من الكتاب، فقرئ كتابه في الأندلس قبل أن يعرف في موطن المؤلف، وهو العراق.

وروي عن الصاحب بن عباد أنه فضل أن يبقى بجانب كتبه ومكتبته على المنصب الكبير الذي عرض عليه في بلاد نوح بن منصور الساماني.

كما كان المأمون يعطي حنين بن إسحاق من الذهب زنة ما ينقله من الكتب إلى العربية.

كما أن محمد بن عبد الملك الزيات كان يعطي نساخ الكتب في مكتبته ألفي دينار.

وغير ذلك من الأمثلة التي تدل على اهتمام الأسلاف بالكتاب وعنايتهم به وحرصهم عليه، وهي عنوان على الثقافة والفكر والمعرفة في ذلك العصر.

ومن الخير أن نعمل على إحياء كتب التراث، والاستفادة مما تحتويه من ضروب المعارف وصنوف الآداب، وأن تصبح زاداً ثقافياً

واعياً للشباب، يتعرفون من خلالها على ماضيهم وتراثهم وأعلامهم وعلمائهم، وما عمله أولئك الأعلام والعلماء في تناول ومعالجة القضايا العلمية والفكرية والتاريخية، وما كانوا يتحلون به من كريم الصفات التي تتمثل في رجال العلم والبحث من أمانة ودقة وصبر ومثابرة واستقصاء وأدب وإخلاص وصبر.

ومن يستعرض سير المؤرخين وأئمة اللغة والنحو والفقه والحديث والجغرافيا ورحلاتهم إلى مختلف البلدان ومناطق تجمع البادية والرواة - وذلك بقصد التأكد من صحة وصواب الأساليب والمؤلفات والأحاديث، وإخراجها على الوجه العلمي- يدرك حبهم للعلم وشغفهم بالمعرفة، وهو مصداق شاهد يعكس ما بذله السلف في عصور زاهية، وأن عملية تحقيق كتب التراث ليست بالأمر السهل كما قد يتصور البعض، فهي تتطلب جهداً وعلماً وصبراً، وعمقاً في البحث والدقة والمثابرة والمقابلة، والقراءة المتواصلة والبحث المستمر في تاريخ المخطوط أو الوثيقة، وتحقيق النصوص وشرحها، وجمع الروايات المتعددة والمقابلة والمعارضة بينها، وترجيح نص على آخر ببراهين واضحة وبحث علمي واضح، ووضع الهوامش، إلى غير ذلك.

وكم نحن بحاجة إلى جيل جديد من المحققين والباحثين، مع الاستفادة من التقنية الحديثة التي تعين على البحث والتحقيق.

وقفات مع كتاب "عنوان المجد في تاريخ نجد"
أحد مصادرنا التاريخية

هذا الكتاب من أهم كتب التاريخ التي دونت لقيام الدولة السعودية الأولى ونموها واتساع مداها، وبزوغ فجر الدعوة السلفية وانتشار شمسها وضحاها، وهو للمؤرخ الشيخ عثمان بن عبد الله بن بشر، وما زال من أغنى المصادر التاريخية عن الدولة السعودية الأولى، وصدر من تحقيق الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، وأتى في جزئين.

وتأتي أهمية الكتاب في أن المؤلف معاصر لمعظم الحوادث، وهو سجل دقيق للمواقع والحروب، والكتاب موسوعة تاريخية حافلة بأسماء القبائل والعشائر والمدن والعلماء.

ولقد نشأ المؤلف في بيئة علمية مكنته من الاطلاع والإلمام بالتاريخ بما أعانه على كتابه، واستفاد من المؤرخين الذين سبقوه كابن غنام في تدوين كتابه، وقامت الدارة بعمل العناوين والفهارس التفصيلية الشاملة، وأتى في طبعة أنيقة منقحة وفي ثوب جذاب ومشوق، مما يغري الكثيرين ويحفزهم على قراءته، ولقد جاءت التعليقات ذات فائدة وجدوى، وفيه إشارة إلى المواقع والأحداث التاريخية والغزوات والوفيات وتوضيح بعض التراجم، وقد استخدم أسلوب الحوليات في الأحداث التاريخية، وركز على النواحي العسكرية والسياسية والاجتماعية، وجعل بداية تاريخه من السنة التي اتفق فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع الأمير محمد

بن سعود على نشر الدعوة، ولم يهمل ما وقع في نجد من أحداث قبل ذلك، فدوَّن ذلك في تاريخه، وقد بدأ يذكر تلك الأحداث منذ سنة ٨٥٠هـ حتى أحداث سنة ١٢٦٧هـ.

لقد حظي تاريخ ابن بشر بعناية المؤرخين في الاعتماد عليه والنقل عنه، وقد سبق طبعه عدة مرات، وطبع مختصراً في بغداد سنة ١٣٢٨هـ، ثم في الهند، وطبع في سنة ١٣٤٩هـ على نفقة الشيخ محمد نصيف في مكة المكرمة، ثم طبع في مصر سنة ١٣٧٣هـ على نفقة الأستاذ عبد المحسن أبا بطين صاحب المكتبة الأهلية في الرياض، ثم قامت وزارة المعارف بطباعته في سنة ١٣٨٧هـ، ثم طبع عدة طبعات تجارية سنة ١٣٨٥هـ، وسنة ١٣٨٨هـ، وسنة ١٣٨٩هـ، وطرح للبيع في المكتبات التجارية، حتى جاءت طباعة الدارة له فاخرة ودقيقة في جزئين الهدف منها الفائدة والبحث التاريخي، حيث إنه كتاب يجسد ويبحث صميم تراثنا وتاريخنا الذي يجب أن نأخذه بالعناية والاهتمام، ونقدمه للقراء دقيقاً وسليماً على حقيقته، وإعطاء هذا الجانب ما يستحقه من التحقيق والرجوع إلى المصادر، مما سيفيد القارئ والمتخصص في جانب من جوانب التاريخ، ويوفر عليه عناء البحث ومشقة الوصول إلى بغيته بما اشتملت عليه هذه الطبعة من عناوين وفهارس وتبويب للكتاب.

وفق الله الجميع لخدمة تاريخنا وتراثنا العربي الإسلامي.

والله ولي التوفيق.

الوعي بقيمة الثقافة

يمثل الوعي الثقافي في الأمة قوة وطاقة ومعرفة، تعبر عن الصورة الحقيقية الحضارية لكل مجتمع وإبراز ما تمثله.

وإن الأمة الإسلامية ذات حضارة متميزة، قائمة على أسس ثابتة ومناهج واضحة من كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وما خلفه السلف الصالح من آداب وأخلاق وتراث. وينبغي الحفاظ على تلك القواعد والمناهج والمقومات والأصول، ورعاية الأخلاق وتأصيلها في النفوس، وإصلاح الأسرة والمجتمع، وإشاعة الثقة والمحبة والتعاون والفضيلة.

وكل تلك القيم والمثل ينبغي أن تكون مجالاً خصباً لدارس تاريخ الأمة وآدابها الذي يغذي الأرواح، ويبني الإنسان بناءً روحياً معنوياً، يحيي في نفسه عزة الإيمان والقوة والإباء، ويشيع فيه العواطف والوجدان، مما يترك فيه أحسن الآثار ويؤتي أينع الثمار.

والأدب يصفي الأرواح ويصقل النفوس، وينمي العقول بالعلم والمعرفة والثقافة، ويهذب النفوس وينهض بها إلى مدارج الكمال، والتمسك بالقيم الخلقية الرفيعة.

وتجيء أهمية الأدب ورسالته من خلال طرحه للقضايا الفكرية الجوهرية والآفاق الأدبية الأصيلة، ورؤية الواقع وتجسيده، وتنظيم مفرداته بتصور واقعي يتلاءم مع قواعد الدين الحنيف في بناء الإنسان

وعزته، والإسهام في خلق ثقافة قادرة على مواجهة المشكلات، وتلبي الرغبات والحاجات التي يفتقر إليها واقعنا الثقافي.

إن الأمة العربية الإسلامية بتاريخها الأدبي الثري منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث تفيض وتزخر بتراث عظيم هائل حافل بالمجد والسمو والمواقف، والعمق والأصالة، وينبغي توظيفه لخدمة الأدب، وإعادة الوجه الكريم لتراثنا الفكري بعد أن كاد يغيب عنا، ويفقد هويته الإسلامية العربية، ويصبح غريب الفكر والرأي والخلق، إذ إن تراثنا جزء من تاريخنا وكياننا، وقضية الاهتمام بذلك والعمل على إحيائه قضية تتسع أبعادها، كما تقول الدكتورة بنت الشاطئ: «فهي تستوعب الماضي والحاضر والمستقبل، فتتجاوز حدود وطننا العربي إلى العالم الإسلامي الكبير، ثم إنها في جوهرها قضية وجود ومصير بما تكشف عن حقيقة ذاتنا وآماد طاقتنا، وما تضيء لنا من معالم الطريق وآفاق الطموح».

وجملة القول: فإنه ما من سبيل لقياس آثار الأمة الفكرية والأدبية سوى أن يكون لها قيمة ثقافية ومكانة فكرية، يصور واقعاً من حياتها وفكرها، ونهضتها وتطورها في شتى الميادين، ويقوي من عزيمة الأمة، ويشد من أزرها، ويعبر عن الصورة الحقيقية الحضارية، وتأكيد واقعيتها ومصداقيتها.

التراث البلاغي وعناية المعاصرين

لقد تناول الباحثون القدامى علوم العربية بالنقد والدراسة والتمحيص، ومن ذلك علم البلاغة الذي يحتاج إلى المزيد من الدراسة والتبسيط والتيسير، فقضايا البلاغة ومناقشة أحكامها تحتاج إلى عناية واهتمام.

وما زلت أحفظ في ذاكرتي حينما كنت طالباً في كلية اللغة العربية نقد أساتذة البلاغة لبعض الكتب البلاغية القديمة ومحتوياتها، وقولهم: إن مجال النظر في علم البلاغة متسع، والبلاغة ذوق كما يقولون، فلقد كان تدريس هذا العلم يلقى صعوبة من جانب التلاميذ وعجزاً في جانب أغلب المعلمين.

ولا تزال الكتب والمؤلفات قليلة في هذا العلم، الأمر الذي يسترعي من المختصين بشئون هذا العلم الاهتمام الذي يناسب شأنه وحاجة اللغة العربية إليه.

وكتب علم البلاغة تحفل بروائع الشعر وبديع النثر، ومن لم يدرك الأسرار البلاغية فلن يحيط بها أو يستجلي معانيها، فهم يحرصون على الكلمة الفصيحة الشائعة الاستعمال عند العرب الموثوق بعربيتهم. وكم كان للنقاد من رأي حول هذا التعبير، إذ قالوا: "إن من ضرورات الحياة للغة أن يفتح هذا الباب".

ومن المعروف اهتمام البلاغيين واهتدائهم بالقرآن الكريم وأحاديث

الرسول عليه الصلاة والسلام وخطبه، وكذلك الخلفاء والولاة والشعراء، إذ ركزوا على علم المعاني لدراسة أساليب التأليف للجملة.

ولكم وضع الإمام عبد القاهر الجرجاني من قواعد ومفاهيم أخذها تلامذته وساروا على منوالها بدون مراجعة وفحص وتقويم وإضافة، ولكم بذل رحمه الله من جهود علمية مضنية عن الجملة العربية وخصائصها، وأقسامها وأجزائها، ومتعلقها مسنداً أو مسنداً إليها، وصور الحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والتعريف والتنكير، والقيد والإطلاق، وضرب أمثلة لذلك واستشهد بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة والأشعار القوية الحكيمة، وغير ذلك مما يتطلب من الدارس الحفظ من غير أن يتمكن من الفهم والاستيعاب.

إن هذه المادة العلمية تحتاج من أساتذة العربية المزيد من الاهتمام والإيضاح، ومراعاة المقام حسب اختلاف الأزمان والعصور. وعلينا أن نحرص خلال دراسة البلاغة على تذوق النص، والانتقال من الحفظ إلى المهارة.

إن الإمام عبد القادر الجرجاني (ت ٤٧١هـ) والسكاكي (ت ٦٢٦هـ) علمان من أعلام البلاغة رحمهما الله، ولا تزال كتبهما موضع التقدير، وكم تحتاج إلى مزيد من التيسير والإيضاح.

فالفصاحة والبلاغة رمزان عظيمان في تراثنا، ولعلهما ينالان عناية الدارسين المعاصرين، فقد حظيت الدراسات الأدبية واللغوية بالمعالجة والدراسة والنقد الأدبي. فلا سبيل إلى خلق ذوق أدبي أو ذوق بلاغي إلا بمعرفة النصوص وفصاحتها، وبيانها وبلاغتها، وكشف أسرارها الجمالية والبيانية. فالبلاغة جانب من جوانب الأدب واللغة، جديرة بأن تنال حظها من العناية؛ لما فيها من جوانب مفيدة.

ونختم القول بما قال أسلافنا: "إن البلاغة هي: الوصول إلى معاني المعاني في الأدب". ولذلك فهي جديرة بالاهتمام، واستحضار معانيها ومناهجها، والتجديد الأصيل لها والمنطلق من تراثها الخالد، ولقد قيل: "من ليس له قديم فليس له جديد".

ولقد رأيت عدداً من مدرسي هذه المادة يتضجرون من قيود الدرس البلاغي وما يحويه من أمثلة جافة، مما يدعونا إلى العناية بعلوم البلاغة؛ وذلك خدمة لهذا العلم النفيس، وحماية لتراث الأمة، وإلحاق هذا العلم الذي أعرض عنه الكثيرون بموكب المعارف وعلوم الأدب واللغة، وتفعيل هذا العلم الذي كان مزدهراً في عصوره الأولى، كما رصده المؤرخون في حديثهم عن البلاغة وتطورها ومراحل نشأتها ونموها وازدهارها وذبولها وجمودها، وما زالت الملخصات والشروح -وهي المواد والمناهج المهنية-، كما يقول شوقي ضيف، ولم يجرؤ أحد على تجاوز تلك الملخصات والشروح، فما كنا نتلقاه منذ أربعين عاماً هو ما يتلقاه الطلبة في هذا الزمن، فالمثال هو المثال، والكتاب هو الكتاب، والقاعدة هي القاعدة.

إن هذا العلم الذي أخلص له القدامى من أمثال القزويني والسكاكي وعبد القادر الجرجاني وغيرهم يحتاج اليوم إلى مزيد من الجهود، ووضع آلية له ومنهج بلاغي حديث، وتفعيل هذا العلم النفيس وتحبيبه إلى الناشئة، فالتراث البلاغي زاخر بالنفائس ومفعم بالكنوز.

كذلك يفترض على القادرين من علماء العربية في جامعاتنا السعي الحثيث والعزم الجاد لاستثمار هذا العلم، مستفيدين من علوم العصر بما يكون نافعاً ومفيداً ومقيلاً لعثرة البلاغة التي هي من أنفس تراث الأمة؛ لما تحفل به من أسرار اللغة وجمالها البياني، وخدمة البلاغة خدمة لهذا التراث.

سياحة في فكر الأديب الساخر إبراهيم المازني

عرف الأديب إبراهيم عبد القادر المازني الذي ولد عام ١٣٠٨هـ وتوفي عام ١٣٦٨هـ بأنه من رواد الأدب وأعلامه، وقد كان قمة من قممه، واقترن اسمه مع رواده، كالعقاد وطه حسين وعبد الرحمن شكري وأحمد أمين، وغيرهم من الأدباء العمالقة الذين كان لهم دور في الحياة الأدبية، وتألقوا في فتراته، وأضاءوا السبل لغيره من الأدباء، ورسموا للكتّاب والأدباء جوانب وملامح الأسلوب الأدبي في مختلف الموضوعات الاجتماعية والفكرية.

ومن مجموعة قصصه ومقالاته الساخرة يمكن أن نقف على مقومات شخصيته والبيئة التي نشأ فيها وانعكاس المجتمع بقيمه وتطوراته على نفسه، وموقفه من الأمور التي كانت تقع له.

لقد كان المازني شاعراً يجسد في شعره انفعالاته، ويصور همومه وأحزانه وذكرياته، وامتاز شعره بجزالة اللفظ ونصاعة الفكرة، جمع بين الثقافة العربية والتراثية وبين الثقافة الغربية، وكان زميلاه شكري والعقاد من أتباع المدرسة الرومانسية ومن أصحاب مدرسة الديوان، وكان بينهم وبين مدرسة شوقي وحافظ معارك نقدية، حيث أصدر كتاباً بعنوان "شعر حافظ"، كما أصدر العقاد كتاب "الديوان"، حيث نقدا فيه حافظاً وشوقياً، وتعرض بعد ذلك في دراسة نقدية لشكري والمنفلوطي.

ولقد تميز أسلوبه بالسخرية والفكاهة التي شاعت في مقالاته، وله فلسفة خاصة في الحياة، وقد عمل في الصحافة فترة من الزمن، حيث

كتب في الأهرام والهلال والبلاغ والرسالة، وغيرها من الصحف والمجلات، وكان يقدم تجارب حياته اليومية في قصصه التي جمعها بعد نشرها في الصحف في كتب.

ويصفه الناقد محمد مندور بأنه كان رائداً للتجديد الأدبي بعامة والشعر بخاصة في النصف الأول من هذا القرن.

وقال عنه الزيات: «كان أديباً عظيماً، وصاحب مدرسة ومذهب في الأدب».

وقال العقاد: «لا أعرف في أدب المشرق والمغرب نظيراً للمازني في إجادته لأدب التراجم، فهو يترجم النثر في أسلوب كأسلوب الجاحظ، ويترجم الشعر في أسلوب كأسلوب البحتري».

وقد أضفى على ترجماته من حسه وروحه وطلاوته وموسيقاه ما جعل الناس يقبلون بشوق وشغف عليها، واتسم إنتاجه بالخصوبة والتنوع، ولقد تأثر في شعره وتأثر بالشريف الرضي وابن الرومي وبشار، وغيرهم من الشعراء العباسيين. وكان يكثر من الشكوى والضجر والتألم والوحدة والحرمان، كما جاء في إحدى قصائده إذ يقول:

خيم الهم على صدري يا صديقي وبدت في لحظة الليل الهموم

فبرع في هذه الجوانب من الشعر أكثر من براعته في أغراض الشعر الأخرى، وصدرت له طائفة من الكتب في الأدب والرحلات والقصة والرواية، وفي قصصه تصوير العواطف بأسلوب حساس، ينبئ عن شعور عميق وعاطفة جياشة، وتصوير لمظاهر الطبيعة وخلجات الوجدان والانفعال العاطفي.

إن كتبه تمثل مرحلة من مراحل الحياة الأدبية، وصفحة من

صفحات الفكر الأدبي لبعض الأحداث والذكريات الأدبية وما فيها من فلسفة ساخرة وخيال شعري، وهي تمثل عصارة ذهنه وعطائه وبحثه في نقد الحياة والأدب والشعر.

ونختم القول بما قاله عنه صديقه العقاد في حفل التأبين الذي أقيم له في مجمع اللغة العربية: «كان منذ صغره أخلص الأدباء للشعر والأدب والكتابة، ورسم صورة قلمية تنبض بنبض حياته في مسراتها وأحزانها وقوتها وضعفها».

وجملة القول: فإن أولئك الأدباء قد خدموا الأدب واللغة، فكانوا الطليعة والرواد، ولهذا فإن لهم حق الذكر والتقدير.

أهمية دعم صناعة الكتاب السعودي والارتقاء بدوره الثقافي والإبداعي

تزايد الاهتمام بالكتاب السعودي المعاصر ومتابعته ورصده، وتجري حوارات جادة حوله.

وللكتاب السعودي دور رائد وفعال في تنشيط الحركة الأدبية، ولقد أسهم إسهاماً فعالاً في الثقافة وتطور المكتبة السعودية، فقد صدرت في السنوات الأخيرة مجموعة من الكتب والدواوين الشعرية، والمؤلفات المتنوعة في ضروب الآداب ومجال العلوم وفنون الشعر والقصة والتاريخ والرحلات والتربية، وغير ذلك من الآثار الأدبية والفنون الفكرية، وتحقيق عدد من كتب التراث. ولكي يستمر هذا العطاء ويزداد قوة ويتضاعف هذا الإنتاج فلا بدّ من دعم الكتاب والاهتمام به.

ويواجه الكتاب السعودي أزمة في تسويقه وانتشاره في الداخل والخارج، ويفتقد الوسائل القادرة على توصيله إلى القارئ العربي في أرجاء الوطن العربي، فهو يحتاج إلى بذل المزيد من التشجيع والمؤازرة، والعمل على تسويقه والتعريف به خارج بلادنا، من خلال معارض الكتب ووسائل الإعلام والأندية الأدبية والجامعات. فقضية تسويقه في الداخل والخارج قضية وطنية وثقافية، وبخاصة أنه يحتل اليوم مكاناً مناسباً في ميدان الثقافة ومجال المعرفة. فالكتاب واحد من أوجه نشاط الأمة، وعنوان على وعيها، ودليل على رقيها الحضاري، وإطار لتاريخها، ورافد من روافد نهضتها.

والكتاب السعودي اليوم يحمل الكثير من الخصائص والمقومات، مما يتيح له القدرة على مواكبة آداب الأمم الأخرى، ويحمل في تضاعيفه الإنتاج.

إن قضايا الكتاب ومشكلاته عديدة ومتعددة من حيث الإنتاج الفكري والإنتاج الطباعي، وقلة منافذ التسويق، وارتفاع التكاليف، والمنافسة المتصاعدة من جانب الوسائل الإلكترونية الجديدة للاتصال بالقارئ. ومع هذا فما زال الكتاب من أبسط الوسائل وأكثرها فاعلية في نقل المعرفة وتيسير الحصول عليها.

والكتاب كما هو معروف يتعلّق بجوانب كثيرة، سواء ما اختصّ منها بالشكل أو ما اختصّ بالمضمون، أو بالطبع أو النشر أو التسويق أو التوزيع.

وفي هذا الصدد لا بدّ من الإشارة إلى دُور النشر والتوزيع وواجبها في هذا المجال، فلا يكون الدافع الأول من تأسيسها هو الربح المادي فحسب، ولكن بجانب ذلك يُراعى الهدف الأسمى، وهو تيسير المعرفة ونشر الثقافة لكل طبقات الشعب ومستوياته؛ فالغذاء الروحي هو أثمن وأبقى من مادة تفنى وتزول. إنها رسالة قبل كل شيء، وواجب وطني ومسئولية كبرى. فالكتاب أجل وأسمى من أية سلعة مادية أخرى، ولقد قيل:

جلّ قدر الكتاب يا صاح عندي فهو أغلى من الجواهر قدرا

والمؤمل بعد ذلك أن تتضافر الجهود، وأن يتعاون الجميع بروح الجد والإخلاص لرفع مستوى الكتاب، وتذليل الصعوبات أمام نشره وتسويقه، وتوزيعه في الداخل والخارج، والمشاركة به في المعارض

الدولية وتوزيعه؛ حتى لا يغيب أدبنا عن المشهد الثقافي العربي والعالمي، وأن يحتل مكانه المرموق.

ويجب ألا يغيب عن البال أن الكتاب وعاء المعرفة، وهو الذاكرة التي تحفظ ما مضى علماً وتاريخاً، وهو الينبوع الثري والمنهل الفياض، ومصدر العلم والنور والمعرفة.

فلنعمل على خلق المجال المناسب لانتشار الكتاب السعودي باعتباره رافداً من روافد المعرفة والثقافة، وذلك بإتاحة الفرصة ووضع التسهيلات لنشره وتسويقه وتحقيق الانطلاقة له، وإيجاد سوق للتوزيع الخارجي، ووضع المزيد من التسهيلات، وافتتاح المزيد من منافذ التوزيع من قبل الموزعين في الخارج على نطاق واسع. ومهما كان ربح الكتاب قليلاً فإن الفائدة سوف تشمل المجتمع.

وبعد.. فالأمل كبير في أن ينطلق الكتاب السعودي انطلاقة تليق به إلى مختلف الآفاق والأبعاد، فهو يجسد تاريخ الحركة الفكرية في بلادنا العزيزة التي تشهد تجربة بناء رائدة، تستمد مقوماتها من أمجادها الخيرة.

تطوير وتحسين المناطق التاريخية والقرى التراثية

إن مشروع تنمية القرى التراثية الذي أطلقته الهيئة العليا للسياحة مشروع رائد، وسيكون موضع اهتمام ونجاح، فبلادنا تحفل بمواقع أثرية ومناطق تاريخية أكثر مما تمتلكه الكثير من الدول، فهناك ما يقرب من خمسة آلاف موقع أثري في المملكة العربية السعودية، فبلادنا تحتوي على حضارات متنوعة وتاريخ حافل في خيبر وتيماء وتبوك ونجران واليمامة والفاو ومدائن صالح.

وما من مؤرخ أو أديب أو شاعر إلا وتغنى بالجزيرة العربية، وشعراء الأندلس تذكروا نجداً في قصائدهم ومفاتنها وأوديتها ورمالها وجبالها ووهادها، فلدينا مئات المواقع الأثرية في المدينة والفاو والجوف والدوادمي ووادي فاطمة والمنطقة الشرقية والقصيم، وهناك المواد الأثرية الموجودة في المتاحف، فلدينا كنوز تاريخية ومكتسبات حضارية.

إن علينا أن نهتم بحضاراتنا وآثارنا ومناطقنا التاريخية والسياحية، وتقديمها بالصورة التي تستحقها، وفي ذلك نقلة كبرى للسياحة الداخلية، مما يعزز التوجه نحو استقطاب السياح والزائرين من داخل المملكة وخارجها في ظل وجود هذه المواقع الأثرية والتاريخية وما تحفل به من المقتنيات والآثار، إضافة إلى عمقها التاريخي، مما يجعلها جاذبة ومغرية

لهواة السياحة الثقافية، مع الاهتمام بتنمية الصناعات اليدوية والحرفية التي اندثر اليوم عدد كبير منها، وقد شاهدنا في المدن السياحية في الخارج كيف تستهوي السياح تلك الحرف والصناعات اليدوية والاهتمام بها والإقبال على شرائها.

كل ذلك يدل على أصالة هذا الوطن وقدرة إنسانه على العطاء والإبداع، وفي ذلك تعزيز لمصادر الدخل، وتشغيل أعداد كبيرة من الشباب، وتوفير الفرص الوظيفية في هذه الميادين.

إن علينا أن نسعى لمشاريع عمل سياحية ذات مردود اقتصادي جيد، وتنمية القرى والمواقع الأثرية، وأن نحرص على دعم السياحة الداخلية التي توفر فرصاً وظيفية للمواطن في كثير من دول العالم وزيادة الناتج المحلي، وتنويع مصادر الدخل.

الهجرة صفحات تاريخية مشرقة

تطل علينا ذكرى الهجرة في كل عام بالحدث الذي أحدث تحولات عظيمة في التاريخ الإنساني، ولقد استقبل المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها إطلالة العام الجديد من القرن الهجري الخامس عشر وكلهم أمل مشرق وتفاؤل كبير ببزوغ شمس هذا العام، آملين أن يحقق الله فيه الأمنيات للمسلمين جميعاً حكومات وشعوباً، ويتحقق الصفاء والوئام والسلام والأخوة والتعاون.

وما أعظم ما تحمله الهجرة النبوية من تاريخ عظيم وعبرة وذكرى، فكم حفلت الهجرة بالذكريات المجيدة والأعمال الخالدة ذات الأبعاد والمدلولات، وما زالت باقية في النفوس تلك الذكرى ذات الامتداد التاريخي العظيم.

حقاً إن هذه المناسبة العظيمة من أقوى الدواعي لاستذكار دروسها وعظمتها، فكم من أمم وشعوب رحبت بالدعوة الإسلامية ودخلت فيها، فاتسعت رقعة الدعوة إلى مدى بعيد في مختلف الأرجاء. فلنستلهم أحداث الهجرة النبوية ونأخذ منها العبرة في حياتنا؛ لأن الهجرة حولت يثرب الجاهلية إلى مدينة تحكم بتعاليم الإسلام بعد ما أقام بها الرسول ﷺ الكيان الإسلامي.

إن علينا أن نستفيد من خبرات الماضي وتجارب الحاضر، وعلى تلك الأسس القويمة من مثل وقيم وأخلاق يقوم كل جهد وعمل في مجال التربية والإصلاح والتوجيه والبناء والتطور، والعمل -أي عمل- لا

يمكن أن يثمر من دون دوافع الإيمان والإخلاص والتضحية والإيثار.

وكم في السيرة النبوية من دروس وعظات تحتاج منا إلى التأمل العميق، فهي مصدر إشعاع عملي وتربوي، يجدر بنا أن نحسن عرضها لأبناء الجيل الإسلامي الحاضر، وأن يكون اهتمامنا بذلك شديداً لتأكيد أصالة الإسلام وقوته في مختلف مجالات الحياة والعلم.

وخلاصة القول: إن ذكريات الهجرة ما زالت تملأ القلوب على الرغم من مرور أربعة عشر قرناً، وتتوهج بها النفوس المؤمنة وتستبشر بها؛ لأنها تعطي معاني جديدة تثري الحياة، وترسي قيم الخير والعدل والسلام، وتواجه التطرف والغلو، وتعزز الولاء الوطني.

ونحن نعيش بداية العام الهجري الجديد نتمنى أن يجعله الله عاماً حافلاً بالأمن والخير والسلام، وأن نعيشه بكل جد وإخلاص وعزم ومثابرة في مجالات حياتنا العلمية والعملية كافة، وأن تتحقق خطط التنمية التي تعيشها بلادنا اليوم، وتتحقق الإنجازات في مختلف المجالات بإذن الله، وأن نحدد أسلوب ومنهاج عملنا، ونصيغ رؤية متكاملة للمستقبل تتناسب مع جسامة التحديات.

ونسأل الله أن يقي بلادنا الشرور والآفات، ويحفظها من كل سوء ومكروه.

وكل عام والجميع بخير وصحة وأمن وازدهار.

والله المستعان.

أهمية إثراء الدراسات التاريخية عن الملك عبد العزيز

ما زالت السيرة التاريخية للملك عبد العزيز -طيب الله ثراه- مثار دهشة ومحل إعجاب لعدد كبير من المؤرخين والباحثين والدارسين، فهي ميدان خصب للدراسات في مجالات شتى، فالأعمال والإنجازات كانت عملاً عظيماً تكوّن منه تاريخه وسيرته الزاهرة.

لقد كتب الكثيرون عن تاريخ جلالته وجوانب شخصيته وإنجازاته وانتصاراته، ومع ذلك لا يزال هناك جوانب عديدة من شخصيته وتاريخه لم تبرز بعد بالقدر الكافي.

فقد كان رحمه الله قائداً عسكرياً فذاً، ومصلحاً وداعية، وسياسياً محنكاً حقاً، فما زال تاريخه يحفل بالعبرة والتجربة الثرية، ولا تزال صور البطولة تظهر في أبرز الصور وأبهرها أسراً للنفس.

وفي مجال القيادة والبطولات له طابع وروح حية إيجابية، قوامها الخلق والإيمان بالله.

إن النبتة التي بذرها الملك عبد العزيز غدت في كل مجال نبتاً مخصباً، بل غدت حقولاً واسعة، وأعتقد أن دور مراكز البحث والجامعات مهم في دراسة تاريخ بلادنا وموحدها وجامع شملها، والعمل على دراسة ذلك التاريخ واستخلاص العبر والمنافع والأيام والوقائع والعبر والفوائد منه.

إن حياة الملك عبد العزيز مليئة بصور شتى ودروس وعبر جمة، وإن أهم قاعدة قام عليها هذا الجهد العظيم هي توحيد هذه البلاد المترامية الأطراف، الذي أصبح فيما بعد يعتبر فريداً من نوعه وتكوينه وواقعه، حتى أصبح مثلاً عالياً في نعمة الأمن والرخاء ورغد العيش، والتمسك بالعقيدة الإسلامية الصافية النقية التي لا مرية فيها ولا شائبة.

إن تاريخ الملك عبد العزيز هو تاريخ أمة تحرص على تطبيق الشريعة الإسلامية في حياتها وسلوكها ومنهجها، فهو من ذوي النفوس الكبيرة والطموحات التي لا تقف عند حد، وهو كما قال المتنبي:

وإذا كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام

فجدير بشباب اليوم أن يقرأ ذلك التاريخ الضخم المتنوع الحافل بالوثائق والتاريخ، وما يتوافر على الأسماع. وكل ذلك يشكل عملاً متكاملاً وأساساً حقيقياً لكتابة تاريخية لشتى الأدوار الهامة في حياة هذا الكيان العظيم ومؤسسه، وصانع المجد وباني هذا الوطن الكبير.

أهمية إبراز الروابط التاريخية والتراثية المشتركة بين دول مجلس التعاون

الحديث عن التراث وإحيائه هو وفاء للماضي ودعم للمستقبل، ويزخر تاريخ وتراث دول الخليج العربي بنفائس التراث العريق والتاريخ المجيد، ودول الخليج يضمها تراث واحد وبنية جغرافية واحدة، وقد حرصت مراكزها التاريخية على دعم حركة البحث العلمي وأصالته، وسلامة منهجه العلمي، وبذل كل ما في وسعها لخدمة الباحثين على مختلف المستويات العلمية والأكاديمية، وتوفير المصادر والمراجع والوثائق والخرائط لهم، وكل ما من شأنه أن يعين على إجراء البحوث في كافة الميادين التي تدخل في نطاق الأغراض التي تخدمها.

وتمارس تلك المراكز التاريخية من النشاطات ما يحقق أهدافها، وتحقق الغرض الذي أنشئت من أجله، وإن من أهم أنشطتها: الاهتمام بالوثائق؛ إذ إن الوثائق تكوّن جانباً مهماً من تراث الأمم، مما يستحق الحفاظ عليه في سجل حضارتها ومصدر معلوماتها؛ إذ هي الأساس الأول لتدوين تاريخها وسير رجالها.

ولما كان التاريخ ذاكرة البشرية فقد حفظت الوثائق تلك الذاكرة الحية، وكانت الصلة بين الماضي والحاضر.

وإن أهمية التاريخ في حياة الأمم تنبع من كونه المخزون الصادق لمنجزاتها والسجل الحافل لمعطياتها، ولذلك فمن الواجب أن تهتم

بالمخطوطات والتراث لما تمثله من إنتاج فكري وحضاري وتاريخي لحضارة الأمة، وهو يدل على تقدمها ومعطياتها الفكرية. وليس معنى الاهتمام بذلك عودة إلى الوراء، وبُعداً عن مواكبة التطور، فأي أمة من الأمم لا بد أن ترتبط بماضيها وتراثها الحضاري، وإلا كانت أمة مجهولة.

وعلى المؤرخين أن يقدموا ما لديهم من بحوث تاريخية ومكتشفات أثرية تساعد على النهوض بحركة البحث العلمي التاريخي لبلدان الخليج العربي، وإبراز الروابط التاريخية والتراثية المشتركة.

ولا شك أن مجال التراث والتوثيق مجال من الاهتمام والموضوعية، حيث برز الاهتمام به رسمياً، واهتم به المفكرون والباحثون في هذه المنطقة لدعم أسس التخطيط التنموي في مختلف المجالات؛ لأنها تحمل الخصائص العربية الإسلامية، والاهتمام بذلك يعطي الأمة حصانة في مواجهة الغزو الفكري ضدها، وجدير بنا أن نحفظه من الفناء، ونغار عليه من الإرزاء.

ولقد ركزت الحركات الشعوبية على تشويه التراث الإسلامي، ووضع الكتب في تشويه آثار الأمة العربية والإسلامية قديماً وحديثاً، وبنت على مروياتها أحكاماً جائرة ضد الإسلام والمسلمين، والتي استهدفت العقائد والقيم الروحية، ومحاربة الشريعة الإسلامية وتراثها الخالد.

ولا نريد أن نستطرد في الحديث بأكثر من ذلك، مكتفين بقول الشاعر العربي:

وأجمع أقوال الرجال أسدها معان كبار في حروف قلائل

وفي العصر الحديث أصبحت الوثائق ترتبط ارتباطاً حيوياً بجميع مناشط الدولة وحقولها المتنوعة، فهي ناحية حيوية مهمة، وتحتل مكانة رفيعة، ولقد قيل: "لا تاريخ بدون وثائق"؛ إذ هي تجسد التاريخ الفعلي للأمم وحضارتها.

وانطلاقاً من هذا المفهوم وفي إطار هذه الغاية يتبين دور الوثائق، وأهمية التوثيق للبيانات والمعلومات الأساسية.

والوثائق -وكما هو معروف- أنواع، فهناك: الوثائق الرسمية، والخاصة، والأدبية، والإدارية، والعامة، والإرشيفية، والسياسية، والتنظيمية، والعسكرية، لدعم أسس التخطيط والبناء، وللدراسات العلمية والتقنية.

ولقد رأيت في السنوات الأخيرة قيام بعض المؤسسات في منطقة الخليج العربي بإصدار بيانات موثقة منظمة يستفيد منها الباحثون والمخططون، وتبقى سنداً للمؤرخين والدارسين؛ لما تقدمه لهم وتمدهم به من المعلومات المفيدة، ولعل الأجهزة التعليمية والصحية وغيرها تهتم بهذا الجانب، فذلك مفيد في إثراء حياتنا العلمية والفكرية، وسوف تكون تلك الكتب الموثقة معيناً لا ينضب للباحثين والدارسين والمؤرخين والمهتمين بهذا الجانب.

ومن البديهي القول: إن الأمم تحافظ على وثائقها بكل عناية واهتمام، وتعتبر تلك الوثائق كنوزاً ثمينة؛ وذلك لأن الوثيقة هي الشاهد الأكبر على التاريخ، وهي الدليل القوي على الشخصية الحضارية لأي شعب من الشعوب، والحفاظ على الوثائق حفاظ على التاريخ. فإذا كانت هذه أهميتها فجدير بنا أن نهتم بها ونحرص عليها، وأن نضعها في متناول الباحثين والمؤرخين.

ولقد تفوق أسلافنا في الاهتمام بتوثيق النصوص والروايات، بدأ هذا رواة الحديث النبوي، فحددوا ضوابطه. . . في طلب البيانات التي تثبت صحة النص أو الخبر المروي، وكذا اهتم بذلك علماء اللغة والتاريخ والأدب، فرددوا أشعارهم وأخبارهم بأسانيدها.

إن مهمة الموثق والباحث ليست بالأمر اليسير، ولكي ينهض بهذا العبء التاريخي فلا بد من إعداد كوادر قادرة على الإحاطة بعلم الوثائق وطرائقه، وأشكال الخطوط وأنواعها، وطريقة استخدام الفهارس للرجوع إلى المصادر والمراجع، وتنظيم وتحليل الوثائق وفقاً لأحدث الأساليب والنظم المطبقة عالمياً.

إننا نتطلع إلى الاهتمام بهذا الموضوع، وتوثيق البيانات والمعلومات الأخرى في إطار تحقيق المعلومات، وإتاحة تلك للمستفيدين وفق اهتماماتهم وطلباتهم من مراجع وكتب ودوريات ووثائق وبيانات ... إلخ، وبذلك نكون حفظنا الكثير من تراثنا، وجعلناه في صورة موثقة منظمة ومفهرسة وفق أسلوب التوثيق العلمي المتعارف عليه، وإعداد قواعد للبيانات البيروغرافية والأدلة والكشافات وتيسيرها، وإتاحة ذلك للمستفيدين وفق اهتماماتهم وطلباتهم. وهكذا تصبح أداة نافعة فعالة لدعم عمليات التخطيط والبحث والدراسات التي تقتضيها ظروف العصر ومصلحة العمل.

إن الوعي الوثائقي أمر حيوي لقطاعات المجتمع، حيث تقاس درجة حضارة الأمم ووعيها بأهمية حرصها واهتمامها بالوثائق. ومن يتابع الحركة الوثائقية يسر كثيراً، وخاصة في هذه الفترة التي بدأ الاهتمام بهذا الجانب يبرز ويواكب النشاطات الأخرى التي تشهدها البلاد في مختلف المجالات والميادين، وتطورت فيها الأساليب والنظم الإدارية بشكل

كبير، وجرى استخدام التقنيات الحديثة؛ تحقيقاً لأهداف خطط التنمية الطموحة ومواكبة للتقدم الكبير للمعلومات الذي أصبح من خصائص هذا العصر، وأصبحت المراكز الوثائقية في أغلب دول العالم تقدم خدماتها بشكل متميز للباحثين والمخططين والمؤرخين ودور الثقافة والعلم والإعلام والتربية والإرادة، وبذلك تكوّن مفهوم الوثائق والوعي بأهميتها، وما تقدمه من دور فعال في خدمة تلك القطاعات.

ومن هنا يتبين أهمية إعداد الكوادر البشرية المتخصصة في مجال الوثائق والتوثيق؛ للقيام بدورها ورسالتها، وذلك عن طريق التدريب وافتتاح أقسام أو معاهد متخصصة في علم الوثائق، وتشجيع العاملين في هذا المجال، والتركيز على دور هذا العلم والاهتمام به، والتدريب المهني المستمر للعاملين في حقل الوثائق، وكذلك المخطوطات، فقد أصبحت الوثائق وحفظها وإدارتها وتصنيفها ودراستها واستخدامها علماً قائماً بذاته كمصدر من مصادر المعلومات.

متغيرات التاريخ مدرسة الحياة

من خلال قراءة التاريخ يتعرف الإنسان على أشياء كثيرة؛ إذ التاريخ مدرسة ذات معارف متعددة، وكم نحن في حاجة إلى قراءة التاريخ واستيعابه وفهمه، وما أحوج الشباب إلى أن يقرأ تاريخ بلاده وأمته ووطنه الذي ينتمي إليه، وكذا تاريخ العالم وما يحويه من دروس وعبر وتأملات، والتاريخ الإسلامي وما يزخر به من عظمة وأمجاد.

فمن خلال قراءة التاريخ نتعرف على أشياء كثيرة وحقائق عديدة، وتجارب مختلفة يكسبها المرء وما فيها من عبر وعظات وأيام، وليس للشباب أن يحكموا على حالة العصر الذي يعيشون فيه ما لم يكونوا مطلعين وملمين بحوادث العصور الماضية والأيام السالفة، فحوادث التاريخ ليست منقطعة الصلة بين عصر وعصر. ومتى عرف الشباب وقرأ تاريخ بلاده وأمته حق المعرفة وعى ماضيها وما مرت به أمته من مراحل قوة وضعف ومد وجزر.

إن التاريخ مدرسة واسعة ووسيلة مثلى للارتقاء بالمفاهيم والأفكار، فهو ينمي المعرفة، ويشعل في الإنسان رغبة التطلع والمعرفة، ويجعل له خبرة ومعرفة وابتكاراً.

وإنه لجدير بالشباب أن يحرصوا على قراءة التاريخ، وأن يتعرفوا على بلادهم، وألا يهملوا هذا الجانب الثقافي، ففي التاريخ مادة خصبة تعينهم على أن يكونوا أكثر وعياً وإدراكاً لأحوال بلادهم وكيف كانت، مما يدفعهم إلى المزيد من التضحية والعطاء والعمل، ومن المعروف أن

حب الوطن يدفع صاحبه إلى المزيد من التعرف على أحواله وتاريخه وماضيه وحاضره، والتطورات الفكرية والثقافية، وصياغة حياته بقيم متجددة.

ففي التاريخ صور متعددة من القوة والضعف والبطولة والتضحية والعزيمة والصبر والبناء والعطاء والعبقرية، يتمثل ذلك في سير الرجال الرواد الذين خدموا وأدوا لأوطانهم وأمتهم عظيم التضحيات والخدمات في مختلف الميادين وشتى المجالات، وأضافوا لبنات من الخير والعطاء الحضاري والإنساني وجلائل الأعمال والمآثر لأوطانهم وأمتهم.

إشراقات الجنادرية

يحيي مهرجان الجنادرية كل عام عرساً يجمع فيه بين تراث الماضي التليد وعبق المجد وأصالة التاريخ وبين الحاضر الجديد، فأصبح تأصيلاً ثقافياً، وفيه يلتقي نخب من رجال العلم والأدب عربياً وإسلامياً وعالمياً، فتتلاقح فيه الأفكار وتتجدد فيه المفاهيم لتكوين رؤية عربية أصيلة عن تراث الأمة وفكرها المبدع.

وفي فترة هذا العرس ينشط الحراك الثقافي والعلمي، مما يزيد هذا المهرجان رونقاً وجمالاً، ونهضة أدبية وعلمية لها أثرها الطيب. وأنشدت هذه القصيدة في إحدى مناسبات المهرجان وأنشطته الثقافية:

عرس الثقافة والتاريخ والأدب ... غنى به الشعر للأمجاد والنجب
جنادرية هذا الحشد من عربٍ ... فرحبى فيهم شوقاً إلى العرب
فخادم الحرمين الله يحفظه ... رعاه حتى غدا شوقاً لذي إرب
في كل عام لنا عرس يذكرنا ... حضارة العرب في الأزمان من حقب
شادوا حضارة عزجاد وابلها ... يسقى العطاش بفيض المزن للسحب
فيه الأصالة للماضي وحاضرنا ... والمجد يورق في التاريخ والكتب
به رقت كلمات الحب أغنية ... ووقعها كالندى للقلب من وصب
شدا بها الصوت حتى ماس سامعه ... من نغمة الحرف مثل الباب في طرب
وليس من خفة للعقل خامره ... راح يطيش به السُمّار من صخب
وإنما في معاني الشعر هام بها ... فلامست في الهوى قلباً لمنجذب

وضمهم مسرح للشعر ينقلهم ... من أعصر غبرت في مشهد عجب
فجال فيهم مع الأزمان يطلعهم ... ما أنتجته يد الأجداد من سبب
وظل دهراً رخاء لا يعكره ... إلا الأعادي بعين الحاسد النهب
وقرية للتراث اليوم شاهدة ... تبدي لنا ماضي الأجداد عن كثب
وكيف عاشوا زماناً كله دأب ... فزينوا عصرهم بالجد والدأب
كانت عزيمتهم لا تنثني أبداً ... وتلك آثارهم عز لمنتسب
وأعملوا فكرهم والعقل منفتح ... يُدني المحال إذا راموه بالطلب
صاغوا الحضارة من أنوار شرعهم ... فكان فيها إضاءات لمغترب
وكانت النور يجلو ظلم أفئدة ... هي الجلاء بلا شك ولا ريب
جنادرية هذا العرس فقت به ... أسواق يعرب في الماضي ولم تغب
إن كان سوق عكاظ نال شهرته ... وذي المجاز فأضحت مجمع العرب
واليوم عرسك لا خاف ويقصده ... أكابر الناس في جد من الطلب
وزيّنته أيادي الفن في ألق ... حتى بدا حلة براقة القشب
حوى الفنون وآدابها لأمتنا ... وزانه حرَفُ الصناع والنخب
درجت فيه وفخر المجد يملؤني ... وصورة الجد ما كلت من التعب
إني لأشكر من قاموا بفكرته ... فذاك إبداع عقل فاق في الرتب
به جمعتم خصالاً من ثقافتنا ... علم وفن سما في مشهد عجب

أهمية العناية بتاريخ مدننا وتراثها الثقافي

توجه دول العالم عناية خاصة لإبراز تاريخها وأماكنها الجغرافية التي تركت بصمات ناصعة على جبين التاريخ.

وتعتبر الدراسات المتعلّقة بالمدن أحد أهم فروع علم الجغرافيا في عصرنا الحديث، والأهمية متزايدة لمثل هذه الدراسات.

وكم نحن في حاجة إلى معرفة المزيد من مصادر تاريخنا المحلي وتراثنا، فعلينا أن نولي تاريخ مدننا العناية الفائقة، فنقوم بجمعه وحفظه، ودراسته ونشره ضمن مشروعات علمية تاريخية تسد فراغاً واسعاً في المكتبة التاريخية وحفظ مصادر تاريخنا، وتوثيق تاريخ بلادنا ومدننا وقرانا التي كانت ممتلئة بالحياة ولها تاريخ معروف في تاريخنا القديم، ونخرج عنها مؤلفات تحفظ تاريخها وأعلامها وأماكنها التاريخية.

لقد هدمنا الكثير من المدن وتبعثر كل شيء فيها، واستبدل كل ما فيها من الماضي، ومُسح منها ذلك التاريخ، دون أن نوثّق تلك المعالم والطرق والبيوت والبساتين التي عدت عليها عوادي الزمن، مما أدى إلى حدوث تغيرات سريعة في بنية ومظهر مدننا عمرانياً، إن الكثير اليوم من مدننا وقرانا ينبغي أن تحرص على قراءة تاريخها ومن بناها ومعرفة آثارها، فقد هدمنا كل ما فيها من تاريخ، فنحن للأسف لا نكتب تاريخ مدننا ولا نسجل أسماء من بناها.

أعرف الكثير من البلدان والمعالم التاريخية التي كانت تعيش في أذهاننا وتردد في أفواهنا، نتذكّر تلك المساكن والملابس والمآكل والمعالم والمساجد وغيرها، ولقد عدت عليها عوادي الزمن دون تسجيل وتوثيق، لقد بقيت تلك الآثار ذكريات في أذهان الكبار والمسنين الذين عاصروها رغم افتقارها إلى الدقة وعدم الشمول.

لقد نشأت أجيال طالعة لا تعرف عن مدننا وقرانا وحياتنا السابقة شيئاً، لقد رافقت العديد من الشباب في زيارات لبعض مدننا، فوجدتهم لا يعرفون عنها شيئاً، ولا عن تلك المعالم والآثار القديمة. وفي ضوء هذا الواقع فإن مهمة الباحث تكون مضاعفة.

إن تاريخنا جزء مهم من هويتنا، وآثارنا تجسيد ملموس لها، والشعر المشتمل على الأماكن خدم المؤلفين، فصنعوا المعاجم وحددوا الأماكن بناءً على استرشادهم بالشعر، فمعجم أبي عبيد البكري من أدق المعاجم في تحديد الأماكن، ومعجم ياقوت استقصى الكثير من الأماكن والأودية والجبال، ولقد قيل:

وإذا لم تدري ما قوم مضوا فاسأل الآثار واستنبِ الديارا

لقد حفظ الشعر الكثير من تاريخنا، فالشعر سجل حي للمؤرخ، فهو مصدر للمعرفة ووعاء للثقافة، ولقد قيل: "شعر العرب ديوانهم، وحافظ آثارهم وتاريخهم". ولقد حفظ الشعر الكثير من أسماء المدن وتراثها وحضارتها وأعلامها.

وكم تهتم الأمم بالمحافظة على آثارها وتاريخها والعناية بتراثها، وصيانة ذلك من التمزق والشتات والضياع، وحراسته من العبث والاندثار.

ولا شك أن المتاحف اليوم في بعض بلادنا حفظت شيئاً من تاريخنا، فالمتحف مظهر حي يجسم أطوار التاريخ، ويمثل تاريخ المدن وحياة الأسلاف، ومعرفة طبيعة تلك العصور الغابرة وساعدت الباحثين والمؤرخين ومن يهتم بدراسة التراث.

إن الكثير من مدننا وقرانا تذكرنا بأشياء كثيرة من ماضيها التاريخي المجيد وحاضرها المزدهر، كل ذلك يجعلنا نتطلع إلى أهمية كتابة تاريخ مدننا وتسجيل من بناها في مداخلها وما بقي من تراثها وخصائصها الطبيعية. وهذا خير إجابة للتساؤلات الكثيرة التي نسمعها من شبابنا وأبنائنا عند زيارتهم لها، واستعادة شيء من بقايا آثارنا وتراثنا الذي هو شاهد على التاريخ والماضي العريق الذي بقي منه ما هو مدون في الكتب، حيث تبدلت كل صوره، وهدمنا كل ما فيها من آثار وتاريخ.

إن الأمل كبير في الاهتمام بتاريخ مدننا وتراثها الثقافي، وتسليط الضوء على ذلك، وتقديم المزيد من المعلومات التاريخية عنها، فالمكتبة التاريخية والجغرافية ما زالت في حاجة إلى المزيد منها، ولا سيما في هذه المرحلة التي تشهد فيها بلادنا نمواً مطرداً في مختلف الجوانب.

القدس قلب المسلمين النابض
بين الفتح والاحتلال

نظمت الأمانة العامة للشباب الإسلامي ندوة ناقشت دور المملكة في نصرة القدس، شارك فيها نخبة من العلماء والأدباء السعوديين، وذلك ضمن فعاليات ملتقيات القدس الذي احتضنته قاعة الأمير سلمان بمدارس الرياض.

كانت القدس وما تزال في وجدان الأمة العربية والإسلامية، وما من شك في أن القدس عربية منذ أقدم الأزمان، وكانت الهجرات العربية تتوالى عليها من الجزيرة العربية على مر العصور، ولقد طرد اليهود منها على يد البابليين.

ولقد فتحت القدس على يدي عمر بن الخطاب ﷺ، وكذا على يد صلاح الدين الأيوبي الذي استرد القدس من أيدي الصليبيين.

ولقد ذكر المؤرخون أن الفتح العربي الإسلامي كان مضرب المثل في حسن التعامل والسماحة والرحمة، وقد اشتهر المسلمون بذلك في مختلف فتوحاتهم التي جعلت غوستاف لوبون يقول كلمته الشهيرة: «ما عرف العالم فاتحاً أرحم من العرب».

إن القدس تعيش اليوم في محنة قاسية واحتلال بغيض ومأساة طال عليها الزمن وعدوان متجدد. ولقد حظيت بكثير من اهتمامات العلماء والأدباء والمؤرخين والشعراء وزعماء العالم العربي والإسلامي، وبأكثر

مما حظيت به أي مدينة أخرى. وكلهم ما زالوا متمسكين بعروبتها وإسلامها والإخلاص لهما.

إن القدس حاضرة في وجدان كل عربي ومسلم، وقضيتها لا تنفصل عن أي قضية عربية أخرى، فالقدس هي قلب المسلمين النابض وعاصمة فلسطين ومهد المسيح عليه السلام ومسرى النبي ﷺ، وهي أولى القبلتين، وهي التي دخلها الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأرسى فيها قواعد الإسلام، ثم غزاها الصليبيون، وظلوا فيها تسعين عاماً، حتى حررها فيما بعد صلاح الدين الأيوبي. وستظل القدس موضع اهتمام العرب والمسلمين، ونحن متفائلين بالمستقبل والأمل بتحقيق النصر بإذن الله تعالى مع ما تتعرض له اليوم من مخططات صهيونية تستهدف تهويد المدينة وطمس معالمها التاريخية.

الوثائق التاريخية مصدر مهم من مصادر تاريخنا الوطني

لقد أولت المملكة العربية السعودية التعليم عناية فائقة، وما وصلت إليه الآن يعتبر ذا قيمة كبيرة. وإن الاهتمام بالجامعات ومراكز البحوث وخدمة الباحثين لدليل على التطور والرقي، فتلك هي الركائز والدعامات الأولى للتطور والتنمية.

إن الوثائق تكوّن جانباً مهماً من تراث الأمم، تستحق الحفاظ عليها في سجل حضارتها ومصدر معلوماتها، هي الأساس الأول لتدوين تاريخها وسير رجالها. ولما كان التاريخ ذاكرة البشرية فقد حفظت الوثائق تلك الذاكرة حية، وكانت الصلة بين الماضي والحاضر.

ولقد كانت الوثائق يستعان بها في مجالات البحوث في القرن السابع عشر في الكثير من البلدان الأوروبية، وفي هذا العصر أصبحت الوثائق تستخدم في البحوث الأكاديمية والتاريخية والثقافية، حيث أصبحت حجر الزاوية بالنسبة لدراسة التاريخ والبحث العلمي. ولقد زاد عدد الباحثين الذين يستخدمون الوثائق في مصادر بحوثهم، ولقد ركزت منظمة اليونسكو في مؤتمراتها على أهمية استخدامها كمصدر مكمل لخدمة البحث. وهناك اهتمام متزايد بالوثائق وقيمتها باعتبارها مصدراً من مصادر التعليم، ويظهر ذلك بصورة جلية من المؤتمرات العلمية والبحوث والمحاضرات التي تؤكد فيها على الاستخدام المتزايد للوثائق من جانب الباحثين في شتى ضروب المعرفة.

ولقد رُكّز على أهمية استخدام الوثائق في تدريس التاريخ في المدارس باعتبار ذلك أحد طرق التدريس، ويشيرون إلى ذلك بعبارة "المدخل الوثائقي لموضوع ما"، ويقولون: إن هذه الطريقة أثبتت فعاليتها تماماً في تدريس مواد التاريخ والجغرافيا.

وهكذا يجب أن نهتم بالمخطوطات والوثائق والتراث؛ لما تمثله من إنتاج فكري وحضاري وتاريخي، يبرز حضارة الأمة، ويدل على تقدمها ومعطياتها الفكرية، وليس معنى الاهتمام بذلك عودة إلى الوراء وبعداً عن مواكبة التطور، فأي أمة من الأمم لا بد أن ترتبط بماضيها وتراثها الحضاري، وإلا كانت أمة مجهولة.

مصادر المعلومات عن التراث وأهمية العناية بها

إن مصطلح التراث في تاريخنا الفكري الحديث بحاجة ماسة إلى جهد علمي بحثي دؤوب، وتوظيفه توظيفاً منهجياً وفق تصور إسلامي بعيداً عن المناهج الغربية.

ويشهد عالمنا المعاصر تطورات متسارعة الخطوات في مختلف مجالات الحياة يتحفنا بها العلم والعلماء، وهي تتويج لمجهودات فذة كبيرة في مختلف العلوم والآداب والفنون.

وتعد مصادر المعلومات اليوم دعامة أساسية من دعائم النهضة في المجتمع المعاصر، ودعم البحث العلمي، وتطوير المناهج، والتكيف مع عصر المعلومات.

وانطلاقاً من ذلك فقد أصبحت الحاجة إلى مصادر ترشد إلى مختلف مجالات المعرفة البشرية مما يحتاجه الباحث والعالم والأديب والأستاذ والطالب، فوجود المصادر سوف يسهم إلى حد كبير في توفير المعلومات التي ينشدها الباحثون، ويبتغيها الدارسون بسهولة ويسر، وأن تنشرها المكتبات العامة، وجعلها مكتبات مطورة، بحيث يتوفر فيها جميع مصادر المعرفة الإنسانية، وكذا البحث الأثري المتمثل في المسح الأثري الذي أدى إلى اكتشاف آلاف المواقع الأثرية في طول البلاد وعرضها، وتسجيل المواقع ووضع دراسات بشأنها.

إن صعوبة توفر ما يريده الباحث في مكتباتنا يجعل الحاجة قائمة

إلى أهمية وجود ذلك، وإن كان العمل ليس سهلاً في هذا المجال، فعملية إيجاد المصادر ليست من السهولة بمكان. وأحسب أن الحاسب الآلي بالإمكانات الموجودة فيه سيجعل الحصول على هذه المعلومات من قبل الباحث أمراً ميسوراً، وسيكفيه مؤونة البحث الطويل عن المعلومة، ومسألة التكرار.

إن التراث العربي الإسلامي لغني جداً بالمعلومات، ولكنه يحتاج إلى جهد علمي لترتيبه بأسلوب يسهل على الباحث والدارس الحصول على المعلومات المطلوبة بسهولة ويسر.

إن وجود المصادر سيريح القارئ، ويخدم الباحث، ويوفر الوقت للدارس، ويساعده على الوصول إلى ما يريد، ولكن المهم هو إيجاد الفئات المتخصصة في علم المصادر. ومن لهم إلمام وخبرة ومعرفة في هذا الميدان فهم قلة ضئيلة في العالم العربي؛ إذ إن الخبير في المصادر يجب أن يكون مثقفاً ثقافة واسعة، وعلى اتصال دائم ومتابعة مستمرة لما يستجد في هذا الميدان، إلى جانب مساعدة القارئ والباحث فيما قد يطلبانه منه، والإجابة عن الاستفسارات والأسئلة المتصلة بمختلف المعارف.

ومن هذا المفهوم تتبين أهمية المصادر المخصصة للبحث والمعرفة، كالموسوعات والمراجع والمعاجم وما يسمى بأمهات الكتب وغيرها من الأطالس والمنشورات الدورية.

وفي بعض البلدان المتقدمة أسست مكتبات خاصة بالمصادر، هدفها تجميع المصادر وتوفير المواد العلمية، ووضعت لها الشروط واللوائح والأماكن الخاصة ونظم الإعارة.

وبلادنا اليوم تزخر بعدد غير قليل من المكتبات، سواء منها ما كان تابعاً لجامعاتنا الفتية أو لوزارة التعليم أو الحرمين المكي والمدني أو الأفراد، ومهما كان حجمها وقلة عدد الكتب بها فإنه ينبغي إيجاد وتوفير كتب المصادر، وتنسيقها وترتيبها بطريقة ميسرة، ووضعها في مكان مستقل، ومساعدة القارئ والباحث، وإرشاده إلى ما يريد، والإجابة عن استفساراته وأسئلته؛ ليسير في بحثه على الوجه الصحيح.

وهكذا فإن توفير المعلومات ووجود المصادر العلمية بأشكالها المتنوعة في كل المعارف سوف يساعد القراء ويخدم المعرفة، ويحقق الفائدة المرجوة.

حقق الله الآمال.

جامع قرطبة أروع أثر إسلامي في أسبانيا

كان حرصي شديداً في الزيارة التي قمت بها لأسبانيا أن أزور مدينة غرناطة، حيث يقع قصر الحمراء، ولا شك أن ما شاهدته في هذا القصر التاريخي العظيم من زخارف وخطوط وحدائق غناء وكتابات وغيرها تفوق الصورة التي تصورتها في مخيلتي من خلال ما اطلعت عليه وقرأته عن ذلك. حقاً إنه لصرح عربي إسلامي يشهد بحضارة وتقدم المسلمين، وما قاموا به من دور عظيم في التاريخ الإنساني والحضارة الإنسانية، فقد أرسوا دعائم الفكر والمعرفة في العقول والنفوس، ولقد سئل أسلافنا خلال فتوحاتهم فقيل لهم: ما الذي جاء بكم؟ وكان جوابهم: (الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام). كما جاء ذلك في كتاب "البداية والنهاية" لابن كثير، الجزء السابع، صفحة: ٣٩. فالحضارة الإسلامية أثرت العلوم الإنسانية على اختلاف أنواعها.

وبعد.. فإن الزائر لبلاد الأندلس يخيل إليه أنه في أرضه وبلاده؛ إذ أن آثار العرب والمسلمين باقية شامخة سامقة، لها ملامحها وبصماتها الخاصة، تجسد وتشهد بما وصلت إليه الحضارة الإسلامية في تلك الربوع من رقي وتقدم على الرغم مما اعتراها من إرهاصات وأعقبها من عواصف.

ولنعد إلى قرطبة فقد افتتحها المسلمون عام ٩١هـ، وبقيت تنمو وتزدهر اتساعاً وعمراناً. ولكم أسهب المؤرخون في الحديث عنها،

وأفاض الباحثون في تعداد مآثرها ومفاخرها، وعلمائها وشعرائها وأدبائها، حيث ازدهرت بأزهى الأيام.

ولقد قيل:

بأربع فاقت الأمصار قرطبة وهن قنطرة الوادي وجامعها
هاتان ثنتان والزهراء ثالثة والعلم أكبر شيء وهو رابعها

فلقد أنجبت أفذاذ العلماء وفحول الشعراء وفطاحل الأدباء، وكانت قاعدة الحضارة الإسلامية الزاهرة ومركز العلوم والمعرفة. ولكم رددت قول الشاعر:

يا حسن قرطبة في ثوب بهجتها لا غرو إن أسرت قبل السلاطينا
رأيتها والقباب البيض تحجبها مثل الجواهر خافقاً بالحب مشحونا

وفي هذه المدينة يشاهد المرء حشوداً غفيرة من السواح من مختلف الجنسيات، غصت بها ساحات المدينة، ولكم تذكرت ما كانت تحفل به هذه المدينة من دور العلم والقضاء والندوات الأدبية ومجالس الشعراء وأعلام البيان وأساطير المعرفة، وما خلفه أولئك من تراث غزير وعلم نافع مفيد.

ولعل من أهم آثارها الباقية اليوم: "جامع قرطبة الشهير"، وذهبنا لزيارته وسط ممرات ضيقة، ووصلنا الجامع الذي عاصر المجد والأيام الزاهرة الذهبية والخلفاء والعلماء، ومع ما لحقه من إهمال ودمار وخراب فما زال متألقاً بالروعة والهيبة والجلال والجمال رغم تحويله إلى كنائس. فما زالت روعة التصميم ودقة البناء والزخرفة بادية وواضحة، وتاريخ هذا الجامع يعود إلى عام ١٧٠هـ حينما قام بإنشائه عبد الرحمن الداخل الأموي، ولقد كان هذا الجامع من أروع الجوامع

في الأندلس، ولقد توفي صقر قريش قبل أن يكمله، فأتمه ابنه هشام، ثم قام الخلفاء من بعدهم بتوسعته وإدخال مزيد من البناء عليه، ولقد وصفه المؤرخ الأستاذ محمد عنان قائلاً: «... مسجد قرطبة... يبلغ طوله مائة وثمانين متراً وعرضه مائة وخمسة وثلاثين متراً، وهو أندلسي الطراز والمظهر بمعالمه وأوضاعه ونوافيره، وللمسجد من قبل تسعة عشر باباً فخمة، وقد زين بزخارف عربية جميلة، ويحار البصر في تأمل عقوده وأعمدته العديدة المتقاطعة التي لا تدرك العين نهايتها، تبلغ عقوده في الطول تسعة وعشرين، ويبلغ ارتفاع سقفه نحو اثني عشر متراً، ولأول وهلة يشعر المتأمل أنه في قلب مسجد إسلامي، ولكنه متى دقق البصر قليلاً أدرك في الحال أن المسجد قد استحال إلى كنيسة، بل إلى كنائس، فقد علت أسقفه على الطراز الكنيسي، وأزيلت القباب القديمة، ما عدا القبة الرئيسية الوسطى، وحلت محل قبابه نقوش نصرانية...».

لا أريد أن أستمر في نقل الصورة المؤلمة، فقد أحسست بشيء من الكآبة والأسى والألم حينما كنت أطوف بين أرجائه وأتأمل تاريخه المجيد وماضيه الزاهر وحاضره الموجع المؤلم، ولكم تذكرت قول الشاعر:

لك الله لا توقظ الذكريات ... وخل الأسى في الخبايا دفينا

وكذا قول أبي البقاء الرندي حين بكى هذه المواطن ورثى هذه الديار وبكى هذه الربوع بمرثيته الشهيرة:

لكل شيء إذا ما تم نقصان ... فلا يُغر بطيب العيش إنسان
وأين قرطبة دار العلوم فكم ... من عالم قد سما فيها له شأن
وأين حمص ما تحويه من نزه ... فنهرها العذب فياض وملآن
قواعد كن أركان العلوم فما ... عسى البقاء إذا لم تبق أركان

وهي قصيدة مؤثرة على أيام مضت، لكنه دهر مضى ليس يرجع. وهكذا ودعنا قرطبة التي قالوا عنها: قلب الأندلس، ووطن أولي العلم، ودرة القرائح، وقلب الإقليم، وينبوع متفجر العلوم.

حقاً إن من يزور الأندلس يتذكر الأمجاد التي سطرها المسلمون وهو يتجول في رحابه، وسيحف به التاريخ وتتجسد أمامه الصورة والآثار الخالدة وذكريات الأيام المجيدة.

إن تلك الآثار سواء في غرناطة وقرطبة وأشبيلية وغيرها لا تزال شاهدة بفنها وهندستها وعظمة الفكر الذي أبدعها، فهي تجسد الحضارة العربية الإسلامية، فكل شبر من تلك الأرض قد وطأته أقدام أولئك الأسلاف من المسلمين الأماجد، وكل شيء فيها يستوقف المرء ليحكي قصة وشاهداً، أعجب ما فيها أنها أمر واقعي. وقد قيل:

وهذه الدار لا تبقي على أحد ولا يدوم على حال لها شان

ورحم الله أسلافنا الذين فتحوا هذه المنطقة الخضراء من أوروبا، ورحم الله طريف وطارق وموسى بن نصير ورجالهم، وما امتازوا به من عزيمة وصبر ومغامرة وطموح. ولقد كنت أتأمل مقولة موسى بن نصير في وصفه للأندلس: (شامية في طيبها وهوائها، يمنية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في جباياتها، صينية في معادن جواهرها، عدنية في منافع سواحلها).

إن الحديث عن الأندلس حديث مستطاب ذو شجون، يستهوي الفؤاد ويأخذ بمجامع الألباب.

العيد وصل وود ووئام

كلما حلّ العيد جدّد حلوله كثيراً من الذكريات الجميلة التي عمرت بها أيام الصبا والشباب، تلك الأيام التي كان للعيد فيها طعم ومذاق غير ما نطعمه اليوم، فالفرق شاسع بين عيد الأمس وفرحة عيد اليوم.

ولكم أبدع الشعراء في ذكر العيد، ولعل أبا الطيب المتنبي أحرق أوراق المتفائلين بالمناسبات الطيّبة بقوله:

عيد بأية حال عدت يا عيد بما مضى أم لأمر فيك تجديد

وأصبحت قصيدته يرددها الكثيرون في كل مناسبة وبخاصة المتشائمون.

إن العيد وقت تجديد وفرحة واستذكار، وفي بلادنا له نكهة عذبة ومذاق خاص، وبشر وابتهاج في التهاني والزيارات، والأكلات العذبة والرحلات.

فالعيد كلمة حلوة الجرس، يخف نطقها على اللسان، ويحسن وقعها في الأذن، فهي كلمة جميلة تنشرح لها النفوس، وتهش لها القلوب؛ لأنها تحمل معاني جميلة، منها: السعادة والمسرّة، والهناء والفرحة.

وكلمة العيد وردت في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ﴾ [المائدة: ١١٤].

وسُمي العيد عيداً لأنه يعود كل سنة، فيُفرح به، قال يزيد بن الحكم:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا إذا أقول صحا يعتاده عيدا

وقال تأبط شراً:

يا عيد ما لك من شوق وإيراق ومر طيف على الأهواء طراق

ويقول الحجي:

يا عيد وافيت والأشجان مرخية سدولها ونعيم الروح مفقود

ويقول الزميل الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين من قصيدة له طويلة:

ماذا عن الأمس حدث أيها العيد حدث فصمتك يخشاه المعاميد

يا عيد كم من أحاديث مزخرفة طويتها وهي في سمعي زغاريد

يا عيد قد أرهقتني الذكريات فهل لديك ما ينفض الإرهاق يا عيد

وما أكثر ما قيل في العيد وما حفلت به مرآة الشعر قديماً وحديثاً.

حقاً إن العيد فرحة، بل وأجمل فرحة، وهو مناسبة اجتماعية للمودة والمحبة، والتراحم والتعاطف، وتأكيد مبدأ التكافل الإسلامي.

إن العيد مظهر وعنوان لتماسك الأمة ووحدتها وقوتها.

وللعيد في الإسلام معان ودلالات تتجاوز المظاهر الشكلية، فهو تجسيد حي وتعبير صادق عن حالة الأمة وآمالها وطموحاتها وتطلعاتها، فلنستخلص منه العبر والأهداف والعظات والفوائد ، وما حفل به من تاريخ وأمجاد، واستعادة تلك الذكريات التاريخية، وما فيها من مواطن العزة والمنعة والقوة.

إن العيد تجديد للحياة، وامتحان للنفس، واختبار للأمة، وما حققته من إنجازات، وليظل الأمل متجدداً.

إن للعيد معانيه وجمالياته، ودلالاته الإنسانية والمعنوية والحسية، مع العناية بمساعدة ذوي الحاجات وصلة الأرحام، وبر الوالدين والتواصل، والتواضع واحترام الآخر والحرص على حقوقه، وحسن العلاقات مع الأمة والبعد عن الكبر، وانتزاع سخائم النفس وعوامل الشر والجفوة.

وأسأل الله أن يعيده على بلادنا وأمتنا بالخير والازدهار، والقوة والرخاء، والرفعة والسؤدد، والمجد والتعاون، والتضامن والمسرات.

كما يسرّني أن أهدي هذه الأبيات بهذه المناسبة السعيدة، وأن تعود هذه الذكرى المجيدة حافلة بالخير والبركات، ومفعمة بالازدهار ومتجددة بالسعادة:

العيد أقبل في سنا وضاء ... في خير وجه للعلا ورواء
عيد السلام وعيد دين الله في ... شتى البقاع وسائر الأرجاء
لك في القلوب مهابة وجلالة ... لك في الجوانح درتي وعنائي
بك كرم الله العظيم جموعنا ... وشدت بذكرك ألسن الشعراء
يا عيد عم الخير كل بلادنا ... والله يعلي الدين في العلياء

وكل عيد والجميع بخير.

أهازيج العيد لوحة من الذاكرة

لقد ارتبطت المجتمعات الإسلامية بالعيد عبر جسر من الانشراح الروحي، وارتبط قدومه والاستعداد له وعبق أيامه ولياليه بالإيمان والابتهاج، ولطالما ردد الصغار والكبار على مدى التاريخ الإسلامي أهازيج فرحة بقدومه في صور احتفالية مبهجة، خاصة من قبل الأطفال الذين كانوا دائماً المشهد الأروع سواء في الشهر الكريم أو أيام العيد، وكانوا يشكّلون لوحة اجتماعية في مظهرها وجوهرها ومعانيها الصادقة، وكان الأطفال يلبسون ثيابهم الجديدة قبل حلوله بيوم أو بيومين، ويطوفون بالبيوت ويقرعونها بعصيهم، فإذا فتح لهم صاحب المنزل وأعطاهم الحلوى شكروه بعبارات جميلة يرددونها، مثل: "عطوني عيدي عاد عليكم"، وإذا لم يعطوا كانت هناك عبارات أخرى قاسية.

ويبتهج الأطفال بليلة العيد وأيامه، وينشدون الأناشيد في الشوارع، والبهجة للأطفال والكبار.

ولقد كانت الأهازيج الشعبية في الماضي ضمن عادات جميلة مع تبادل التبريكات وعبارات شعبية طريفة تزيدهم نشاطاً وتطرد الكسل.

وهناك أهازيج العمل "العرضة"، وهي نصوص جميلة طريفة ورقيقة، وكانت تنشد خلال حرث الأرض، وهناك أناشيد كثيرة طريفة تنشد في بعض المناسبات والحرف والصناعات، حيث كان يوجد في كل مدينة وقرية في بلادنا -حداد ونجار وخراز وجزار وحائك ... إلخ،

ولكل منهم أعمال يمارسونها ويقومون بها لخدمة الوطن والمواطن، وهي مصدر رزقهم ودخلهم، حيث كان في تلك الأيام اكتفاء ذاتي.

وكانت حياة الناس بسيطة بدون تعقيد، فلا أمراض نفسية ولا ضغط ولا سكر ولا كسترول، وغير ذلك مما نراه اليوم، ولعل السبب هو النشاط والحركة والعمل، وبساطة الحياة وقلة الأكل، فليس هناك سوى التمر واللبن والسمن والقمح.

وكانت الحياة سهلة، ويتبادل الناس النكت والطرائف، والمزاح والمقالب، ورواية الأشعار والقصص، وخاصة الشجاعة والبطولة والمروءة والشهامة.

وكم نحن في حاجة إلى إبراز تاريخ بلادنا في سلسلة من الكتب العلمية، تسجل التراث الفكري والفني لماضي بلادنا وحاضرها، واستقاء المعلومات من مصادرها، خاصة ونحن ننتقل من مرحلة تاريخية إلى مرحلة أخرى تختلف عن الأولى اختلافاً جذرياً؛ وذلك لحفظ تراث مدننا وأخبارها ومأثوراتها الشعبية، وذلك لحفظ ماضي بلادنا وإبراز واقعها الحضاري، وتسجيل وتدوين ما طرأ عليه من معطيات العصر الحديث.

رحلة الحج في عيون الرحالة وكتابات المؤرخين

لقد حظيت رحلة الحج بعناية خاصة من لدن العلماء والرحالة والمؤرخين عبر مراحل التاريخ الإسلامي، ولقد تجلى ذلك في كثرة ما دار حولها من المؤلفات منذ وقت مبكر إلى وقتنا هذا.

ولا مراء في أن موضوع رحلة الحج في كتابات وعيون الرحالة والمؤرخين شاسع وواسع ومتعدد الجوانب، حيث تمثل رحلة الحج حجر الزاوية، وكانت الرحلة طويلة والسفر شاقاً، والطريق غير مألوف، وكان أهل الحجاج يودعونهم وهم غير واثقين من عودتهم.

وقد زخرت كتب الرحالة بكتابة رحلاتهم بلغة أدبية عظيمة التأثير، وكان للحج أثره في التأثير عليهم، وعبروا عن مشاعرهم الجياشة أثناء زيارتهم مكة المكرمة والمدينة المنورة والأماكن المتعلقة بالحج التي ينزل بها الحجاج، وغير ذلك مما يدور حول الحج، ووصف السفن والرواحل والرحلة على متنها إلى الحج، ولا تزال تلك الرحلات خير خدمة للتاريخ والجغرافيا، واستأثرت تلك الرحلات باهتمام كثير من طبقات مثقفي العالم قديماً وحديثاً.

ولقد كان الحج عنصراً مؤثراً واضح التأثير، وكان للسماع من أئمة وعلماء الحرمين أثره البعيد في اتساع دائرة العلم والأدب.

ولقد وصفوا المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة والطرق الموصلة إليهما، وكذا ما يتعلق بالمشاعر المقدسة المتعلقة

بالحج، وما في المدينتين المقدستين من آثار كريمة، وكان العلماء والأدباء والمؤرخين والرحالة من مختلف أقطار العالم الإسلامي يقصدونهما؛ ليؤدوا ركناً من أركان الإسلام، وليضيفوا إلى ذلك أموراً، من أهمها:

- التزود بزاد العلم والمعرفة.
- والالتقاء بعلماء الحرمين.

فكان كثير من الرحالة والعلماء وخاصة من المغرب والأندلس يفدون إلى مكة المكرمة لا للحج وحده، ولكن لينشروا العلم ويستزيدوا منه، ويكوّنوا صلة بين الشرق والغرب بالثقافة والعلم.

ولقد برز علماء المغرب على غيرهم في تدوين الرحلات، ومن يطالع كتب الأندلسيين كـ"نفح الطيب" للمقري و"فهرست الأشبيلي" وغيرهما يجد أن كثيراً من العلماء الذين رحلوا إلى مكة والمدينة كانوا رسل علم، وحملة ثقافة، ودعاة معرفة، حتى أُثر عن بعضهم كتب دونت ما كان يطرح فيها من مسائل العلم وقضايا الأدب والنقد واللغة والفقه والعقيدة.

وعلى الرغم من أن الدور العلمي لرحلات الحج يمكن أن يكون موضوعاً لكثير من البحوث؛ نظراً لغزارته وتنوع مضامينه فقد حفلت كتب الرحالة بالعرض والمناقشة التاريخية التي تؤرخ لهذه البلاد ولعلمائها، ووصف سكانها وأنشطتهم، إلى جانب ما فيها من معلومات وتحليلات ذات أهمية بالغة لتاريخ الأماكن المقدسة وجغرافيتها، وسكانها ومناحي نشاطاتهم، وعن الحج ومناسكه وآثاره وطرقه وحملاته من أنحاء العالم.

إن أدب الرحلات مدين للحج بالكثير جداً؛ فإن الكثير من الرحالة إنما بدأوا رحلاتهم بقصد الحج، كما هو معروف عن رحلة اليعقوبي والطبري والمسعودي وابن بطوطة وابن جبير، وغيرهم من الرحالة المشهورين، كما أن كتب الرحالة تعد من أهم المصادر التاريخية، حيث أبدعوا في تدوين رحلاتهم، وتسجيل انطباعاتهم، واتصفوا بدقة الملاحظة، والوصف والتقصي، وتسجيل مشاهداتهم بأمانة وصدق.

رحم الله أسلافنا من الرحالة الذين كانوا ينشرون العلم والدين والمعارف والأدب والفضائل خلال رحلاتهم، وما زالت آثارهم خالدة في تاريخ الحضارة الإسلامية، وكم نحن في حاجة في هذا الزمان إلى إعادة قراءة كنوز تراثنا الفكري والتاريخي، والتأمل والنظر فيه والإفادة منه.

صفحات مشرقة من تاريخ علمائنا الذين رحلوا في طلب العلم

لقد أنجبت هذه البلاد منذ القدم علماء وفقهاء وأدباء وشعراء، لهم مآثرهم ومواقفهم المحمودة وأعمالهم المشهودة، وفيهم من حفل التاريخ بمآثرهم، وفيهم العلماء الذين تتابعوا على مدى الأعوام، وحفلت القرون بأعدادهم ومؤلفاتهم، ومكانتهم العلمية الجليلة في شتى العلوم، ولا غرو فلهذه البلاد ماضٍ علمي عريق، فهي منارة العلم والمعرفة، ومهد الفصاحة وموطن البلاغة، ومهوى أفئدة العرب والمسلمين.

ولقد ألفت عنهم الأسفار، وكتبت عنهم الأخبار بما هو شاهد على ما لهذه المنطقة من مكانة.

وقد عُرفت شبه الجزيرة العربية من قديم الزمان بصعوبة اجتيازها، وكان الرواد الأوائل من أبناء هذه البلاد يقطعون صحراء شبه الجزيرة العربية ذهاباً وإياباً إلى العديد من بقاع الأرض طلباً للعلم، وقد كان الواحد منهم يبدأ بتلقي العلم أولاً في بلده مسقط رأسه، ثم إذا أراد المزيد انتقل إلى بلدة مجاورة اشتهرت بعلمائها، وإذا لم تتحقق رغبته وفهمه للعلم لم يزل ينتقل إلى بلدة أخرى تموج بالعلماء، وهكذا، حتى يحقق طموحه ورغبته، ثم يعود إلى موطنه ومسقط رأسه، يحمل إليها رسالة العلم بالتدريس والإفتاء والوعظ والإرشاد.

وكان البعض من هؤلاء يستمر في البلدان التي أخذ عن علمائها،

ويتصدى فيها للتدريس والإفتاء لفترة تطول أو تقصر، ثم يعود بعدها إلى موطنه في نجد.

والعجيب أنهم كانوا لا يملون من كثرة الترحال والتنقل داخل بلدان نجد وخارجها، سعياً في طلب العلم، يبحثون عن العلماء؛ ليأخذوا عنهم في مختلف العلوم والفنون، ثم إذا ما رغب أحدهم في المزيد جمع همته وشد رحاله إلى بلد اشتهر بوفرة علمائه. كل ذلك مع صعوبة الحياة المعيشية وقتها، وقلة ذات اليد، والمعاناة في الانتقال من مكان لآخر، وفي الحصول على الكتب والمراجع وأدوات الكتابة وغيرها.

ومع قسوة الحياة والمعاناة التي واجهت هؤلاء فقد ارتقى العديد منهم مرتقى عالياً، وصاروا من مشاهير العلماء، ليس في نجد وحدها، وإنما في البلدان التي سعوا إليها طلباً للعلم، كالشام ومصر، وغيرهما، وكانوا همزة الوصل بين نجد وغيرها من البلدان، وشعاع المعرفة والصلة العلمية والثقافية المتدفق من قلب شبه الجزيرة العربية إلى أجزاء العالم العربي والإسلامي.

ومعروف أن قسوة الحياة المعيشية ترغم الناس على توظيف كل أفكارهم وجهدهم بحثاً عن الرزق، أما أن يكتفوا باليسير منه ثم يسعون في طلب العلم فتلك شيمة أصحاب الهمم العالية.

وأحد هؤلاء العلماء تلقى العلم في بلده القريبة من بريدة بالقصيم، ثم رغب في المزيد، فانتقل إلى الرياض وأخذ عن علمائها، ثم علت همته طلباً في المزيد، فسافر إلى الشام، وجد واجتهد، حتى أُجيز في كثير من العلوم، وأصبح مؤهلاً للتدريس والإفتاء، فقرر العودة إلى بلده لينشر فيها شعاع العلم، فكان كل همه أن جمع مجموعة كبيرة من الكتب

والمراجع، وجعلها في صناديق حمّلها بعيراً اشتراه وسار به ضمن قافلة كانت قادمة من الشام إلى نجد، فعلم أهله بقرب وصوله إليهم بعد غياب طال أمده، فكانوا في انتظاره على شوق، ولما وصل استقبلوه بسعادة غامرة، ثم وقفت راحلته المثقلة بما حملت، وحطت رحالها أمام بيته، وكان أبوه في استقباله، فظن أهله أن ما حملته الراحلة هدايا ومؤن ونفقة، فقد كانوا في غير ميسرة، لكنهم فوجئوا به يخرج من الصناديق كتباً وورقاً، فالتفت إليه والده قائلاً: كنت أظن أنك تعاطيت التجارة خلال إقامتك في الشام، وأن هذه مليئة بالمؤن والكسوة والنفقة، فإذا بها قراطيس لا تغني من جوع، فقال الابن -وهو يبتسم في وجه والده-: يا أبي إن في هذه القراطيس خيري الدنيا والآخرة! وكان بالفعل كما قال، فما هي إلا فترة يسيرة إلا وجلس الابن للتدريس، فأقبل الطلاب إليه من كل ناحية، وذاع اسمه، وتولى القضاء في بريدة والوعظ والإرشاد، وخرج أهله من ضائقتهم المعيشية بنور العلم وهدايته.

إنه الشيخ سليمان بن علي بن مقبل، المولود حوالي عام (١٢٢٠هـ) في قرية "المنسي" إحدى القرى القريبة من بريدة.

وهو واحد من عشرات غيره، بل مئات، لاقوا المتاعب والصعاب، وجدوا واجتهدوا، وتنقلوا من بلد لآخر سعياً في طلب العلم، متغلبين على كافة العوائق، حتى أصبحوا من مشاهير العلماء، وكانت الشام تحظى بالنصيب الأوفر من تلك الرحلات العلمية من نجد.

ويصعب أن نقوم بحصر أسماء هؤلاء العلماء الذين جابوا البلاد طولاً وعرضاً طلباً للعلم، وكان في مقدمتهم شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب الذي تنقل في مرحلة طلبه للعلم بين العيينة والحجاز والبصرة والزبير والأحساء، كما هو معروف لكل دارس لتاريخه الحافل.

كما كان منهم العلماء الآتية أسماؤهم:

١ - الشيخ إبراهيم بن أحمد بن يوسف الوهيبي التميمي النجدي، المولود في بلدة أشيقر عام ١١٤٦هـ، حيث نشأ فيها، وقرأ على علمائها، حتى حصّل جانباً وافراً من العلم، ثم رحل لأداء فريضة الحج ثلاث مرات، وفي المرة الأخيرة سافر من مكة المكرمة إلى دمشق عام ١١٨١هـ بصحبة الركب الشامي الذي كان يؤدي فريضة الحج في نفس العام، فأقام في دمشق لطلب العلم حتى علا شأنه، وأجيز للتدريس، فجلس يدرّس الطلبة في الجامع الأموي، وأصبح مرجعاً في الفقه الحنبلي وأصوله، واحتل مكانة مرموقة بين علماء دمشق، وظل فيها هكذا إلى أن توفي فيها عام ١٢٠٥هـ. ويعتبر من ذوي المحاولات الأولى في كتابة تاريخ نجد.

٢ - الشيخ أحمد بن محمد بن مشرف الوهيبي، فقد ولد في بلدة أشيقر، وقرأ على علمائها، ثم لما جَدَّ في طلب العلم رحل إلى دمشق، وأخذ عن علمائها، ولازم الشيخ موسى الحجاوي - مصنف كتاب "الإقناع" - ولما أجيز من بعض علماء دمشق وأصبح مؤهلاً للتدريس والإفتاء عاد إلى موطنه في نجد، وجلس يدرس طلاب العلم، حتى اشتهر شأنه وانتفع به خلق كثير، ولم يزل كذلك إلى أن توفي عام ١٠١٢هـ في بلدة أشيقر.

٣ - الشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة بن زيد التميمي، ولد في العيينة في النصف الأخير من القرن التاسع الهجري، ونشأ فيها، وقرأ على علمائها، ثم رغب في المزيد من طلب العلم، فجمع همته ورحل إلى دمشق، وسكن في مدرسة أبي عمر المنسوبة إلى الشيخ محمد بن أحمد بن قدامة، شقيق موفق الدين ابن قدامة، حيث

كانت حافلة بالعلماء في ذاك الوقت، ولازم فيها أكابر العلماء، وأخذ عنهم، وتزامل هو والشيخ موسى الحجاوي في طلب العلم والدراسة، حتى حصل على قسط وافر من العلوم الدينية واللغوية، ثم عاد إلى نجد، وسكن بلدة الجبيلة، وتصدى للإفتاء والتدريس، وذاعت سمعته العلمية، وتوافد إليه العديد من طلاب العلم، وصار عين علماء نجد في زمانه، وظل هكذا إلى أن توفي في شهر رمضان عام ٩٤٨هـ.

٤ - الشيخ حسن بن علي بن عبد الله بن بسام، فقد ولد في بلدة أشيقر، ونشأ فيها، وتلقى العلم عن علمائها، وقرأ على الشيخ معين الدين محمد الإيجي، صاحب التفسير المسمى "جامع البيان"، وذلك أثناء مروره على بلدة أشيقر في طريقه لأداء فريضة الحج عام ٩٠٣هـ. ثم لما جدَّ في طلب العلم سافر إلى الشام، وأخذ عن علمائها، وكان من بينهم الشيخ موسى الحجاوي، ثم لما أصبح مؤهلاً للتدريس والإفتاء عاد إلى بلده أشيقر، وجلس فيها للتدريس والفتوى، وظل هكذا إلى أن توفي عام ٩٤٥هـ.

٥ - الشيخ زامل بن سلطان الخطيب آل يزيدي، من بني حنيفة، ولد في بلدة مقرن في مطلع القرن العاشر الهجري، ونشأ فيها، وقرأ على علمائها وعلماء البلدان المجاورة، ثم رغب في طلب المزيد فرحل إلى دمشق، فأخذ عن علمائها، ثم انتقل إلى مصر، فأخذ عن علماء الجامع الأزهر، ولازم الشيخ الفتوحي قاضي الحنابلة في زمنه، ثم عاد إلى موطنه في نجد، وتولى القضاء في الرياض، وجلس للتدريس والإفتاء، وظل يزاول عمله هذا إلى أن توفي في النصف الأخير من القرن العاشر الهجري.

٦ - الشيخ عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم السناني السبيعي، ولد في عنيزة، ونشأ فيها، وتلقى العلم عن علمائها، ولما رغب في طلب المزيد انتقل إلى الشام، وأخذ العلم عن علمائها، ولازم الشيخ جمال الدين القاسمي، ثم انتقل إلى العراق، فأخذ عن الشيخ نعمان الألوسي، والشيخ شكري الألوسي الذي أثنى عليه ثناء عظيماً؛ نظراً لما لمسه فيه من جد واجتهاد، وذكاء وسرعة إدراك. وقد ظل هناك يتلقى العلم، و كان في نفس الوقت يمارس أعمال التجارة كوسيلة يتعيش منها، حتى وافاه أجله المحتوم بها عام ١٣٢٧هـ.

٧ - الشيخ عبد الله بن أحمد الرواف الوهيبي التميمي، ولد في بلدة بريدة بالقصيم عام ١٢٩٢هـ، ونشأ فيها، وبدأ يطلب العلم على يد علمائها، ثم على يد غيرهم من علماء البلدان المجاورة، وحين رغب في المزيد جمع همته وسافر إلى دمشق، فأخذ عن علماء الحنابلة، وجد واجتهد في تحصيل العلم، حتى أجيز في بعض العلوم، وانتهز فرصة وجوده بدمشق فأخذ ينسخ كثيراً من الكتب، وبخاصة كتب الحنابلة التي كانت تزخر بها المكتبة الظاهرية، وأصبح لديه أكبر مكتبة خاصة في زمنه.

ثم عاد إلى القصيم، لكنه ما لبث أن رحل إلى المدينة المنورة، وأخذ عن علمائها، ثم انتقل إلى عسير، ثم حضرموت حيث تولى فيها القضاء عام ١٣٢٩هـ حتى عام ١٣٤٦هـ، ثم انتقل إلى مسقط فأقام فيها عامين، ثم انتقل عام ١٣٤٩هـ إلى بلدة جعلان بعمان بناء على طلب أمرائها من آل حمود، وكانوا حنابلة المذهب، فظل بها إلى عام ١٣٥٩هـ، حيث وافته منيته وهو في عمله بالقضاء في بلدة جعلان.

٨ - الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف الشمري، من آل ويبار من بطن عبده من قبيلة شمر. جده عبد الله الشمري هو الذي أنشأ بلدة المجمعة عام ٨٢٠هـ، وسكنها هو وذريته من بعده، ثم انتقل والد عبدالله إلى المدينة المنورة، وأقام فيها طلباً للعلم، وولد أبناؤه فيها.

ولما أدرك ابنه عبد الله وشب عن الطوق شرع في طلب العلم، فأخذ عن والده، وعن غيره من علماء المدينة المنورة، ثم أراد المزيد فرحل إلى دمشق، وأخذ من علمائها، وكان من أشهر من أخذ عنه: الشيخ أبي المواهب، شيخ الحنابلة فيها، ثم على الشيخ فوزان بن نصر الله النجدي، ثم عاد إلى المدينة المنورة ليكمل طلبه للعلم، فواصل جلوسه عند أساتذته، وجدّ واجتهد، حتى أصبحت له مكانة علمية مرموقة بين العلماء، فجلس للتدريس والإفتاء، واشتهر أمره وعلا شأنه، حتى عد من أكابر علماء المدينة المنورة.

وعندما حل الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالمدينة المنورة وقت طلبه للعلم جلس إليه وأخذ عنه، وأشاد بعلمه وفضله، توفي بالمدينة المنورة عام ١١٤٠هـ.

٩ - الشيخ عبد الوهاب بن محمد بن حميدان بن تركي، الخالدي نسباً العنيزي مولداً ومنشأً، ولد في بيت علم، فقد كان جده لأبيه وأمه من العلماء المبرزين في عصره، فنشأ على الاستقامة والهمة في طلب العلم، فأخذ عن علماء بلده عنيزة، ودفعته همته إلى المزيد، فانتقل إلى الزبير وبغداد، وأخذ عن علمائهما، حتى أُجيز في كثيرٍ من العلوم، وقد ترجم له صاحب "السحب الوابلة" ضمن ترجمة جده حميدان، ثم رجع إلى بلده عنيزة، فجلس فيها للتدريس والإفتاء والوعظ والإرشاد، وظل هكذا إلى أن توفي فيها.

١٠ - الشيخ محمد بن عبد العزيز بن مانع، ولد في عنيزة عام ١٣٠٠هـ، ونشأ فيها في بيت علم وصلاح، ولما شب عكف على طلب العلم، فجلس إلى علماء عنيزة، وأخذ أيضاً عن علماء بريدة، ثم رغب في طلب المزيد فسافر إلى بغداد، وأخذ العلم عن علمائها، وبخاصة علوم العربية والفرائض والحساب، ثم انتقل إلى مصر فأخذ عن علماء الجامع الأزهر، وخاصة فقهاء الحنابلة، ثم انتقل إلى دمشق فأخذ عن علماء الجامع الأموي، ثم انتقل إلى بغداد، ثم البصرة حيث أقام فيها وأخذ عن علمائها، ثم عاد إلى موطنه بعد أن صار من أكابر العلماء.

وقد تولى عدة مناصب ومهام علمية عديدة في المملكة وفي بعض دول الخليج العربي، وعندما أنشئت أول مديرية للمعارف عام ١٣٦٥هـ أسندت إليه رئاستها، إلى أن أصبحت وزارة، فأسندت إلى خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز ﷺ، حيث كان أول وزير لها، فأطلق المسيرة التعليمية في البلاد، وامتدت المدارس والمعاهد والجامعات. وتوفي عام ١٣٨٥هـ.

١١ - الشيخ عثمان بن أحمد بن قائد النجدي، ولد في بلدة العيينة أوائل القرن الحادي عشر الهجري، وأخذ عن علمائها الذين كانت تحفل بهم ذاك الوقت، كما أخذ عن غيرهم من علماء البلدان المجاورة، ثم رغب في طلب المزيد من العلم فرحل إلى دمشق وأخذ عن علمائها، وجدّ واجتهد، حتى حصّل جانباً وافراً من العلوم الشرعية واللغوية، ومهر في الفقه والأصول والنحو حتى ارتقى إلى مرتبة الفتوى والتدريس، فتصدر لهما.

وحدث أن حصل بينه وبين مفتي الحنابلة في دمشق خلاف حول

مسألة فقهية، طال فيها النقاش والخلاف بينهما بشأنها، واشتد أمره، فكان من أثر ذلك أن ترك ابن قائد دمشق ورحل إلى القاهرة، وواصل تلقي العلم في بقية العلوم الأخرى وكذلك الفقه الحنبلي، حتى احتل مكانة علمية مرموقة، واشتهر أمره، وأُطلق عليه لقب "المحقق"، وأثنى عليه العلماء ثناءً عاطراً، وانتهت إليه صدارة الإفتاء على المذهب الحنبلي في مصر، كما انتفع بعلمه العديد من طلاب العلم في مصر من القادمين إليها من نجد والشام وغيرهما.

وكان له جهد واضح في تصنيف الكتب، فقد أورد الشيخ عبد الله بن بسام في كتاب "علماء نجد خلال ستة قرون" أسماء مصنفاته. وقد ظل مقيماً بمصر إلى أن توفي بها مساء الاثنين ١٤/ ٥/ ١٠٩٧هـ.

١٢ - الشيخ فوزان بن نصر الله بن محمد بن عيسى بن صقر بن مشعاب، من المشاعيب من آل جراح، ولد في بلدة الجادة بالقرب من عنيزة، ثم انتقل وهو صغير مع أهله إلى حوطة سدير، فنشأ فيها، وأخذ العلم عن علمائها، كما جلس إلى علماء أشيقر، وإلى غيرهم من علماء نجد، وذلك أواخر القرن الحادي عشر الهجري، وأجازه الشيخ أحمد القصير، ثم رغب في المزيد من طلب العلم فرحل إلى الشام وأخذ عن علمائه، حتى صار مؤهلاً للإفتاء والتدريس والوعظ والإرشاد، فعاد إلى موطنه في حوطة سدير، وجلس فيها للتدريس، وتوافد إليه الطلاب ينهلون من علمه، وظل هكذا إلى أن توفي عام ١١٤٩هـ.

هذه نماذج قليلة من أعداد كبيرة يصعب حصرها من طلاب العلم وراغبي المعرفة وناشري عبق الطيب ورحيق العرفان فيما بين نجد وغيرها من البلدان، وبخاصة بلاد الشام التي ارتبطت مع نجد بعلاقات علمية

منذ زمن بعيد، وما زالت جذور تلك العلاقات ممتدة إلى عهد قريب حين انتشرت المدارس والمعاهد العلمية والكليات والجامعات، وازدهرت مدن نجد وقراها وسائر بلدان ومناطق المملكة بحركة علمية زاهية زاهرة لم تشهدها من قبل، وهذا بفضل الله ثم بفضل حكومتنا الرشيدة التي نقلت أبناء هذه البلاد إلى مرحلة متقدمة من التطور الحضاري، وأصبحت دور العلم من أبرز المعالم في المدن، وازدادت مرحلة التطوير والتكامل في مسيرة العمل والمعرفة.

وقد حقق الله لهذه البلاد ما تصبو إليه من عز ومجد وسؤدد، فقد كانت ذات حضارة مشرقة وتاريخ مجيد وتراث حافل بالعطاء والأمجاد.

الجزيرة العربية ومكوناتها الثقافية في عيون الرحالة

الجزيرة العربية مهبط الأديان ومهد الحضارات وأنماط المعارف الثقافية، وكانت مصدر الإمداد الحضاري والروحي للإنسان، وهي منبع للثقافة والتراث الإسلامي، لذا فقد جذبت الجزيرة العربية الكثير من الرحّالة الأوروبيين الذين كتبوا عنها مسجلين انطباعاتهم ووصفهم، كما أسهمت بحوثهم وأعمالهم في نقل صورة عنها من خلال المشاهدة للأماكن والمعالم والآثار والمكتبات التي زاروها، كما قام بعضهم بتدريس ما حملوا إلى أجيال جديدة من المستشرقين ما يحفل به التراث العربي الإسلامي من ثمار المعرفة والآداب والفنون، وما كتبه أسلافنا من شعر وفكر وحكمة وفلسفة، منه ما نشر ومنه ما زال مخطوطاً في شتى مكتبات العالم.

وفي السنوات الأخيرة بدأ الاهتمام من قِبل أقسام التاريخ والآثار بالتنقيب عن الآثار، تمثل في الدراسات والكشوفات والتنقيبات الأثرية وآثارها.

وتُعَد كتابات الرحّالة عن الجزيرة العربية نقطة جذب وموضع اهتمام كثير من الشعوب والباحثين؛ لما تميّزت به من خصوصية وأهمية من كونها تقع في إحدى مناطق الحضارات القديمة، وملتقى الطرق التجارية، ونقطة اتصال مهمة مع الحضارات الأخرى، فهي همزة الوصل التي تربط كل القارات لتكون قطب الأرض ورحاها، ولذلك فقد حظيت بسجل تاريخي حافل بالأحداث.

ومن أبرز العوامل التي جذبت الرحّالة إلى الجزيرة العربية:

- وجود المدينتين المقدّستين مكة المكرمة والمدينة المنورة.
- والتنافس الأوروبي على الخليج العربي.
- وقيام الدولة السعودية وامتدادها.
- ثم قيام الملك عبد العزيز بتأسيس المملكة العربية السعودية.

فهذه العوامل وغيرها من التطوّرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية كانت مصدر جذب للرحّالة، إلى جانب ما تحفل به من معالم تاريخية ومناطق أثرية مهمة، حظيت بدراسات موسعة من بعض الباحثين ولفيف من المستشرقين، حيث تحدثوا عن مصادر التاريخ في أرض التاريخ، وحضارة قوم عاد وثمود والأنباط وذي القرنين، والرسالة المحمدية والحضارة الإسلامية التي أشرقت بنورها على أوروبا، حيث كان ظهور الإسلام حدثاً تاريخياً لا يشابهه حدث في تاريخ البشرية، فقد استطاع أبناء هذه الجزيرة من أتباع هذا الدين أن يغيّروا وجه الأرض تغييراً كلياً في فترة من الزمان، ولا تزال البشرية كلها تعيش في آثار تلك التغيّرات إلى يومنا هذا.

ومن هنا فما زال العلماء والباحثون يستطلعون أحوال هذه الجزيرة، ويتعرَّفون على حقائقها الجغرافية والاجتماعية والاقتصادية والحياة الفكرية، ومظاهرها في اللغة والشعر، ويتعرَّفون على آثارها، وأنها موطن حضارات موغلة في القدم، أبرزها: الممالك العربية في جنوب الجزيرة وشمالها وشرقها وغربها، ومن أشهرها: سبأ، ومعين، وحمير، ولحيان، وكندة، وعندما بزغ فجر الإسلام ازدهرت مكة والمدينة، فحمل أبناء الجزيرة تعاليم الإسلام إلى شعوب الأرض.

الرحلات رافد ثقافي وتاريخي

لقد عشق الإنسان السفر وقام بالرحلة من مكان إلى مكان منذ أقدم العصور.

ويتساءل كثير من الباحثين عن أدب الرحلات، ودوره في الأدب العربي.

لقد كانت الرحلات عنصراً أدبياً قوياً في حياة المجتمع الإسلامي في عصوره الزاهرة، ولقد ترك الرحالة ثروة من العلم لا تقدر بثمن، ولو استعرضنا عمالقة أدب الرحلات وروادها لوجدنا أنهم تركوا للأمة من خلال رحلاتهم ثروة علمية وتاريخية وجغرافية وأدبية حافلة بكل ما لذ وطاب من أشعار قيّمة وأخبار وأعلام وآثار وجبال وأودية وتراجم وفكر وثقافة وعلم وأدب.

وتزخر كتب الرحالة بصور عديدة ومختلفة من أمور تاريخية واجتماعية وتدوين تاريخي، ولقد أمد الكثير من الرحالة الثقافة العربية بثروة فكرية وتاريخية وجغرافية، وجمعوا قدراً كبيراً من المعلومات. وتظل أخبار الرحالة ورحلاتهم خير شاهد على أن الرحلات من أوسع أبواب المعرفة والثقافة الإنسانية لكشف المجهول، والوصول إلى الغاية ومعرفة الحقيقة، والاستمتاع بالتاريخ والآثار والطبيعة.

ولقد شغف الكثير بأدب الرحلات؛ لأنه ماتع وشهي، وقد فطر الله الإنسان على البحث المستمر عن الحقيقة وحب المعرفة والاستطلاع، والتعرف على هذه الدنيا ومظاهر الحياة فيها، وما تزخر به من جبال ووهاد وبحار وإنسان ونبات وآثار وحيوان... إلخ، فسلك فجاج الأرض ومفاوز الصحراء وركب متن البحر، وتعرض لوحشة الأجواء

والمحيطات، وما تنطوي عليه من المخاطر والمتاعب، وما يواجه من لفحات الهجير وشدة البرد والثلج والزمهرير، وتردد الكثيرون على الأسفار وعشقوا الرحلات، ولم يبالوا بالأهوال والأخطار، بل عشقوا حب المغامرة؛ إذ هي وسيلة إلى المعرفة والبحث، وارتياد المجهول.

ولقد عُني أسلافنا بالرحلات واهتموا بشأنها، فسافروا من بلد إلى بلد لحضور مجالس العلم والأدب، أو توثيق الأخبار والأحاديث، ووصفوا الطرق والمعالم والناس، وجابوا الأقطار والأمصار، وتنقلوا بين المنازل والمسالك والديار، ووصفوا الطرق وأحوال الأمم، فتركوا آثاراً خالدة في التاريخ والأدب والجغرافيا الوصفية، فوصفوا ما شاهدوه، ودونوا ما رأوه بكل دقة وحصافة. فأصبحت آثارهم معالم يهتدي بها، حيث دونوا ثقافات الأمم وحضارتها، وعلومها وأدبها، وسجلوا ملاحظاتهم وتحليلاتهم، فأسهموا بذلك في خدمة العلم والفكر وتنوير الأذهان، والترويح بكل ما ينعش النفس ويبهج القلب.

وهكذا سيظل أدب الرحلات رافداً من روافد المعرفة والثقافة والأدب والتاريخ؛ حيث يحلِّق الرحَّالة في أجواء مختلفة وخواطر متفرقة، لا تقف عند الانسجام والمتعة فحسب، وإنما تهدف أيضاً إلى الأسوة والقدوة، والعظة والعبرة، وإلى ما يترك أثراً خالداً يعود بالفائدة والأسوة الحسنة.

وفي كتب الرحلات فوائد مضاعفة؛ لأنك تلتقي بالناس، وتتعرف على الثقافات والبلدان من خلالها.

والرحلات كما يقال: شيء ثابت لا يأكله الدهر، وهي باب من أبواب المعرفة وطلب العلم، ودراسة أحوال الشعوب وثقافتها وعاداتها، وكما قيل:

سفر الفتى لمناطق وديار ... وتحول في سائر الأمصار

علم ومعرفة وفهم واسع ... وتجارب ورواية الأخبار

الرحلات من أوسع أبواب المعرفة والثقافة الإنسانية

أدب الرحلات في التاريخ الإنساني من أمتع الآداب وأكثرها للنفس قرباً، إنه أشبه برواية مثيرة، ولقد استأثر أدب الرحلات باهتمام كبير من مفكري ومثقفي العالم قديماً وحديثاً، وعُني به أعلام بارزون عبر مراحل التاريخ، ويحرص كثير من الناس على الاهتمام بأدب الرحلات، ولقد قيل:

في الذكريات وفي الترحال أشجان فيها من العلم والعرفان ألوان

وما زالت رحلة ابن بطوطة مصدراً كبيراً من مصادر علمي التاريخ والجغرافيا في القرون الوسطى، حيث إنه أول من جاب الأقطار، وكتب عن حياتها الاجتماعية والسياسية، وأحوال الأمم وأسرارها، وعاداتها وتقاليدها، وكشف عن الكثير من مخبآتها. ولقد كتب الكثير من المستشرقين والباحثين حوله، حيث أحلّوه المرتبة والمكانة اللائقة به، فهو رحالة واسع المعارف والمدارك، رغب في اقتحام المخاطر والأهوال، ولقد وصف نفسه في رحلة إلى بلاد الهند ومشاهدة بعض العادات الغريبة قائلاً: «كدت أسقط عن فرسي لولا أن أصحابي أدركوني بالماء فغسلوا وجهي وانصرفت، حتى السحرة ذهبت لمشاهدتهم». وعن ذلك يقول: «أصابني الخفقان ومرضت حتى أمر لي بشربة أذهبت ذلك عني».

وهناك غيره كثيرون، كالهمداني والأصمعي والبكري وياقوت وابن جبير وابن فضلان، وغيرهم.

حقيقة إن أدب الرحلات حافل بوصف أحوال الأمم وطبائع الشعوب، وتصوير العادات والأعياد والتقاليد. وكم من أناس تعرضوا للضياع وألقوا بأنفسهم إلى التهلكة، خاصة من استهوتهم الرحلات في المحيطات والصحاري وتسلق الجبال وحب الاكتشافات. وفي عصرنا الحاضر تطورت وسائل المواصلات، وأصبح السفر متعة ووسيلة مريحة؛ لأنه وفر على الرحالة والمسافر الكثير من المتاعب والجهد والمال، فأصبح المرء يجد فائدة في الرحلات، ومتعة في التجوال والاطلاع على ما لدى الأمم والشعوب من حسنات ومزايا ومعارف ومعالم وآثار في أيام معدودة بل ساعات محدودة.

ويذكر المسعودي في رحلاته أشياء كثيرة، ويروي في أسفاره الغرائب والعجائب، وما حف به من المخاطر والعقبات والصعاب، وقد وصف أحد البحار قائلاً: «لقد ركبت عدة من البحار كبحر الصين والروم والخزر والقلزم واليمن، وأصابني فيها من الأهوال ما لا أحصيه كثرة، فلم أشهد أهول من بحر الزنج، وفيه السمك المعروف بأفال، وطول السمكة أربعمائة ذراع إلى خمسمائة ذراع بالذراع العمرية، وهي ذراع ذلك البحر، وربما يظهر رأسه وينفخ الصعداء بالماء، فيذهب الماء في الجو أكثر من ممر السهم، والمراكب تفزع منه في الليل والنهار، وتضرب له الطبول؛ لينفر عند ذلك».

ويتحدث عن حركتي المد والجزر بوصف دقيق لطيف حيث يقول: «يضع عقبه في أقصى بحر الصين فيفوز منه البحر، فيكون المد، ثم يرفع عقبه من البحر فيرجع الماء إلى مركزه ويطلب قعره، فيكون الجزر».

والمسعودي كمؤرخ ورحالة يجيد الوصف والسرد التاريخي.

إن ابن بطوطة (٧٠٣ - ٧٧٩هـ) يعتبر بحق أشهر الرحالين ومن كبار

رحالة العرب، وله شهرة في عالم الرحلات والأسفار وحب التجوال، فقد دامت رحلته ثمانية وعشرين عاماً، جاب في أثنائها شتى البلدان والأمصار والممالك، حيث انطلق من طنجة إلى أفريقيا ثم مصر وفلسطين وسورية والحجاز حيث أدى فريضة الحج، ثم تابع رحلته إلى العراق وفارس والهند والصين وبخارى وخوارزم وأفغانستان وسيلان والملايو وسومطرة وأسبانيا وجبل طارق، وغير ذلك مما جاء في كتابه المسمى "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار".

وكذلك الرحالة ابن جبير العالم والفقيه، وأكبر آثاره الأدبية رحلته المسماة "تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار". وقد أثر في كثير من الكتاب الذين جاءوا بعده، فنقلوا أجزاء كبيرة من رحلته.

ورحم الله أسلافنا من الرحالة الذين كانوا ينشرون العلم والدين والمعارف والآداب والفضائل خلال رحلاتهم، وما زالت آثارهم باقية خالدة في تاريخ الحضارة الإسلامية.

ولله در القائل:

سَفَرُ الفتى لمناطق وديار ... وتجّول في سائر الأمصار

علمٌ ومعرفةٌ وفهمٌ واسع ... وتجاربٌ وروايةُ الأخبار

أدب الرحلات فن متميز

أدب الرحلات اهتم به كثير من المثقفين قديماً وحديثاً؛ لما فيه من متعة وفائدة ومعرفة.

وهو من أوسع أبواب المعرفة والثقافة الإنسانية لكشف المجهول، والوصول إلى الغاية ومعرفة الحقيقة، والاطلاع على الآثار، والاستمتاع بمشاهد التاريخ ومعالم الحضارات ومظاهر الحياة، وما تزخر به من جبال ووهاد وبحار وأنهار وإنسان ونبات.

وإن أعجزته الرحلة تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال، كما هو الحال في رحلات ألف ليلة وليلة، وحي بن يقظان لابن طفيل، والتوابع والزوابع لابن شهيد، ورحلة دانتي الإيطالي، والشاعر التركي غالب في رحلته إلى مدينة القلوب، وكذلك الأساطير الأولى.

وللمصريين والفينيقيين رحلات بحرية كبيرة خاضوا فيها عباب المحيط الأطلسي، وكذلك الإغريق في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأسود، ووصفوا البلدان التي زاروها والأقاليم التي شاهدوها، وتركوا الكثير من المعارف الجغرافية، ثم جاء دور العرب، ففتحوا البلدان ووصفوا مدن العالم وبلدانه وسكانه، وظلوا رواداً في أدب الرحلات.

وعن أدب السفر قال أحد الرحالة: (من الأحسن اختيار الرفيق، فقد قالت الحكماء: الرفيق قبل الطريق). كما أن الشارع الحكيم منح المسافر بعض التخفيفات في السفر، سماها رخصة، والرخصة جعلت

لرفع المشقة عن المسافر. وأوصت أعرابية ابنها حينما أراد السفر فقالت: يا بني! إنك ترحل عن الأصدقاء وتجاور الغرباء، ولعلك لا تلقى غير الأعداء، فخالط الناس بجميل البشر، واتق الله في العلانية والسر.

لقد كانت الرحلات فيما مضى عملاً شاقاً وأسلوباً مضنياً، حيث كان الرحالة يتعرضون لحالات كثيرة، كتقلب المناخ وتبدل الأجواء، وطول الطريق ووحشة المحيطات.

ويروى عن أحد الحكماء قوله: "المسافر يجب أن تكون له عينا صقر؛ ليرى كل شيء وأن يكون له ظهر جمل؛ ليتحمل أي شيء، وأن تكون له ساقا عنزة لا تتعبان من المشي، وأن تكون له حقيبتان، إحداهما مال والأخرى صبر".

ورحم الله أسلافنا الذين سلكوا فجاج الأرض وجابوا الأمصار، وركبوا متن البحر وصارعوا هياجه وتحملوا اضطرابه وواجهوا أعاصيره، وتكبدوا العنت والإرهاق في جوب القفار والسير في الفيافي والمفاوز، والتعرض للفح الهجير وبرد الزمهرير.

وادي حنيفة أحد أشهر أودية الجزيرة العربية

تحظى الجزيرة العربية بوجه عام والمملكة العربية السعودية بوجه خاص بتاريخ حافل بالأحداث والمفاخر، وترتبط ارتباطاً وثيقاً بأماكن جغرافية كثيرة، تركت بصمات ناصعة على جبين التاريخ، وجديرة بأن تُعرّف بها الأجيال.

ومن ذلك: وادي حنيفة، وهو من الأماكن الجغرافية التي لها شأن نابه وذكر خالد في الشعر والتاريخ، فهو يمثل شريان الحياة لمنطقة الرياض والمدن والقرى والمزارع القائمة على ضفافه، ويتمتع بخصائص جغرافية وبيئة زراعية وتاريخية، وهناك أودية كثيرة في اليمامة، مثل: وادي المياه باليمامة الذي قال فيه الشاعر:

ردوا الجمال وقالوا إن موعدكم وادي المياه وأحساء به برد

يذكر أن وادي حنيفة يمتد إلى ١٢٠كم، وتصب فيه روافد طبيعية من الأودية تزيد على ٤٠ وادياً، وهناك أودية كثيرة لها روافد، وبها أعلام ومسميات، وهناك وادي المياه، ووادي البير، وغيرها من الأودية المشهورة التي كانت تتدفق بمياه الأمطار.

وهناك اهتمام بوادي حنيفة، وقد أُجريت دراسة شاملة لتطوير الوادي كمصرف طبيعي للمياه، والاستفادة من المورد المائي، وتوفير مناخ ترويحي.

إن المياه هي الرافد والمطور لحياة هذا الوادي التاريخي العريق

الذي كانت تصب فيه أودية وشعاب طويلة، و هو ينحدر من شبه هضبة منداحة وهي قلب العارض.

إن المحافظة على هذا الوادي الكبير كمجرى طبيعي للأمطار يجعل الأنظار تتجه إلى سرعة الاهتمام بتهيئته كمنطقة ترويحية؛ لما فيه من خصائص جغرافية وتراثية في مساحاته الممتدة، ولقد سبق لأمانة مدينة الرياض أن قامت بتنظيف الوادي في الجزء الممتد من عرقة حتى الضلع الجنوبي الدائري، وإن النخيل والمزارع والبساتين على ضفافه تزيد في جماله وتأهيله كمركز سياحي، حيث يزخر بالكثير من المقومات الترويحية والتراثية.

لقد كان هذا الوادي معلماً تاريخياً بشعابه ومغانيه، وكان له شأن وذكر وحضارة وعمران، وكان يسمى العرض، كما قال الشاعر:

ولما هبطنا العرض قال سراتنا علام إذا لم نحفظ العرض نزرع

وقال آخر:

ولست أرى عيشاً يطيب مع النوى ولكنه بالعرض كان يطيب

ولقد ذكر الشعراء وادي حنيفة، كالفرزدق، وجرير، والأعشى، وغيرهم.

وبهذه المناسبة ينبغي إبراز الأماكن الجغرافية والتعريف بها وفق منهج علمي مبوب دقيق، وتحديد مواقع أسماء الأماكن الجغرافية في بلادنا وجهاتها وأبعادها، ورسم الخرائط التي تساعد على ذلك، وإعداد معاجم جغرافية لأسماء الأماكن، وتوفير قاعدة معلومات جغرافية واسعة تشمل أسماء الأماكن الجغرافية في أنحاء بلادنا الواسعة، مع أهمية الخرائط كوسيلة لضبط أسماء الأماكن القديمة.

سوق عكاظ منبع القصيدة العربية الرائدة

يفتتح مهرجان سوق عكاظ الرابع يوم ١٩ شوال بمحافظة الطائف، والذي كان سوقاً وملتقى للشعراء ومنبعاً للقصيدة العربية الرائدة، حيث أخرج أسماء وقصائد شعرية كثيرة في تاريخ الأدب العربي، وكان مكاناً تاريخياً وحضارياً مشهوداً في الجزيرة العربية، حيث كانوا يتناشدون فيه الأشعار ويلقون الخطب، وكانوا يتحاكمون إلى قضاة نصبوا أنفسهم لنقد الشعر وبيان غثه من سمينه وتفضيل شاعر على آخر، فكانوا يفضلون من سهلت عبارته وكان لها النصيب الأوفر من الفصاحة وحسن البيان، ويتخيرون من لغات العرب ما حلا في الذوق وخف على السمع.

فكانت هذه الأسواق أندية علمية ومجتمعات لغوية وأدبية، اهتدى بها العرب إلى تهذيب لغتهم لفظاً وأسلوباً، وجعل الشعر والخطابة لغة واحدة من جميع القبائل باذلين في ذلك الجهد المستطاع في عكاظ وذي المجاز ومجنة. يقول حسان:

سأنشر إن حييت لهم كلاماً ينشر في المجنة مع عكاظ

وكانت تقوم سوق عكاظ في شهر ذي القعدة لمدة عشرين يوماً، ولعكاظ فضل على اللغة العربية في العصر الجاهلي؛ إذ لولاها لأصبحت لغات العرب لغات لا يتفاهم أصحابها؛ حتى أن لغات القبائل العربية كان بينها تفاوت في اللهجة والأسلوب واللفظ قلما عظم شأنه سوق عكاظ، وجاءه الشعراء والخطباء، وكان همهم انتقاء الألفاظ الفصيحة المشهورة عند أكثر القبائل العربية لا سيما قريش، ويروى عن قتادة

قوله: (كانت قريش تختار أفضل لغات العرب، حتى صار أفضل لغاتها لغتها، فنزل بها القرآن الكريم).

وبذلك كان الشعراء والخطباء يبثون وحدة اللغة في أشعارهم وخطبهم فيما بين القبائل العربية، متبعين في ذلك لغة قريش غالباً.

لقد كان الشعراء والأدباء في شمال الجزيرة وشرقها وجنوبها يتمنى كل شاعر أن يحضر لسوق عكاظ، وشهود مواسمه ووقائعه.

وكان النابغة الذبياني تضرب له قبة في سوق عكاظ، ويأتيه الشعراء، فتعرض عليه أشعارهم، فأنشده الأعشى، ثم أنشده حسان، ثم الشعراء، ثم جاءت الخنساء فأنشدته، فقال لها النابغة: والله لولا أن الأعشى أنشدني آنفاً لقلت: إنك أشعر الجن والإنس، فقال حسان: والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك، فقبض النابغة على يده ثم قال: يا أخي! إنك لا تحسن أن تقول مثل قولي:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

ولهذا كان النقاش والجدل حول مضمون النص المسموع أو المقروء بروح عالية وإدراك للمضامين والأبعاد.

إن هذا المهرجان التراثي والتاريخي والسياحي يحمل دلالات على أهمية السياحة الثقافية الأدبية، من حيث تفعيل الجوانب الثقافية بمشاركات متعددة حتى يعود لهذا السوق وهجه وصيته ومكانته، وهو أمر غير مستبعد.

وقفة مع رائد علم الآثار

أتحفني الأستاذ الدكتور عبد الرحمن الأنصاري بمجموعة من مؤلفاته التي تجسد وتصور مقدار اهتمامه وعنايته بتاريخ وآثار بلادنا وأهم المواقع والمعالم الأثرية والتاريخية، وما تزخر به من كنوز تراثية نفيسة مع خرائط ورسوم، ولقد قيل:

وإذا لـم تـدر مـا قـوم مـضـوا فاسأل الآثار واستنب الديارا

لقد برز الدكتور عبد الرحمن في عالم الآثار والبحوث الأثرية، ويأتي اليوم على قائمة الرواد في مضمار التاريخ وبحوث الآثار -ولقد أصبحت اليوم بفضل الله ثم جهوده وزملائه مادة في الدراسات الجامعية، كما قام بتدريب عدد من الشباب السعودي، استطاعوا أن يساهموا في النهضة بهذا الجانب الحيوي على أسس علمية وقواعد منهجية تتفق مع طبيعة الآثار في بلادنا-، ويأتي في مقدمة أعماله مشروع مدينة "الفاو"، وما كشفه فيها من آثار أبرزت ما كانت عليه من حضارة، وقد اعترف بنتائج ذلك لدى منظمات الآثار في العالم.

إن تبحره في علم الآثار الذي حمل رايته منذ ثلاثين عاماً ونيفاً كان فيه موفقاً حقاً. إن الآثار ليست مجرد أطلال ودمن يحلو للشعراء البكاء عليها، بل هي رموز تحكي قصة حضارات لأمم وما كانت عليه، ففي ذلك عبر وعظة، كما قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ١٢٨].

ولقد قرأنا عن الكثير من المستشرقين الذين يبذلون الجهد في الحر اللافح، ويدونون ملاحظاتهم في ظروف مناخية قاسية في بلادنا وغيرها، واليوم يتبوأ هذا العلم علماء من بلادنا مدركين جسامة الدور الملقى على عاتقهم.

إن علم الآثار من أهم روافد علم الاجتماع، ومصدر للمؤرخ والجغرافي، فتحية للدكتور الأنصاري على إنجازه الغزير بما قدمه من مقالات علمية وكتب في التاريخ والآثار والحضارة، امتازت بالوضوح والعمق.

وكم نحن في حاجة إلى تكوين قاعدة قوية من الآثاريين المتمكنين؛ ليتابعوا المسيرة العلمية، فبلادنا زاخرة بالآثار في عدة أماكن في المملكة، وبالكتابات والنقوش في هذه البلاد التي جعلها الله مركز الإسلام، وبها متبوأ إبراهيم ومنشأ إسماعيل ومولد محمد ﷺ، وبها آثار قديمة وآثار إسلامية.

جوانب ثقافية وحضارية
في حياة الملك عبد العزيز

ما أكثر الجوانب الثقافية والتعليمية المضيئة في حياة الملك عبد العزيز طيب الله ثراه، ويأتي الاهتمام بالكتاب والعناية بالمعرفة ونشر التوعية والثقافة في مقدمة اهتماماته، ولقد تجلى ذلك واضحاً في اهتمامه بالتعليم باعتباره أساساً في نشر الدعوة الإسلامية التي قامت على أساسها الدولة السعودية منذ نشأتها، ولقد تجسد هذا الاهتمام في طباعة ونشر الكتب القيمة على نفقته الخاصة، وفي معظم خطاباته وأحاديثه كان يحرص على تأكيد هذه الحقيقة.

لقد كان الكتاب يحظى بالمقام الأول من اهتمامه، وكان على قدر كبير من المعرفة، إلى جانب حنكته السياسية وعبقريته المستنيرة، حيث بنى دولة العلم والإيمان المرتبطة بروح الإسلام الحقة، وأحيا معالم الدين والحفاظ على تعاليمه، ونشر التعليم، ووطّن البادية وبعث بالعلماء والمرشدين إلى مختلف المدن والقرى.

وكان رحمه الله يرى أن نشر الثقافة والعلم والمعرفة من الركائز الأساسية لمحاربة الجهل والفقر والمرض، فأنشأ العديد من المعاهد والمدارس، كدار التوحيد والمعاهد العلمية وكلية الشريعة في كل من الرياض ومكة المكرمة، ودعم إصدار الصحف والمجلات والمطابع، وكان للعلماء مكانتهم الخاصة في الأخذ بنصائحهم المستندة على كتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

ومن الصحف التي صدرت في عهده رحمه الله:

جريدة أم القرى، وهي الجريدة الرسمية للدولة، وصدر العدد الأول عام ١٣٣٤هـ - ١٩٢٤م.

كما أصدر الشيخ عبد القدوس الأنصاري أول مجلة متخصصة في الثقافة والآداب في عهد الملك عبد العزيز، وكان ذلك في عام ١٣٥٥هـ، حين أصدر مجلة المنهل، وما زال صدورها مستمراً.

- وجريدة المدينة المنورة سنة ١٣٥٥هـ.
- ومجلة النداء الإسلامي سنة ١٣٥٦هـ.
- وكذلك مجلة الحج سنة ١٣٦٦هـ.
- ومجلة قافلة الزيت في الظهران سنة ١٣٧٣هـ.

كما استعان بالكفاءات العربية من ذوي الثقافة والمعرفة، وكان يحسن اصطفاء الرجال ويجيد فن اختيارهم، وهذا من ملامح عبقريته.

وتنوعت مصادر الأدب والفكر والثقافة والاهتمام بإحياء وطبع كتب التراث والأدب والفكر الإسلامي وتحقيق المخطوطات، وتخصيص مكافآت شهرية للعلماء والأدباء والشعراء، وإنشاء المكتبات العامة، ولقد وصف (فيلبي) الملك عبد العزيز بأنه حاكم مثقف، ولقد قابل عدداً كبيراً من المفكرين والرحالة والمستشرقين، فكان إعجابهم به كبيراً، ووصفوه بأنه صاحب عبقرية وذكاء متميز.

ولقد بهرت سيرته وإنجازاته وتاريخه مواهب الشعراء، وتباهى الأدباء والشعراء والمؤرخون بتلك السيرة العطرة والمثالية المتألقة، والاهتمام والعناية بالعلم والمعرفة والأدب والتعليم والصحافة والمكتبات، وطبع كتب التراث، وجمع المخطوطات وتحقيقها ونشرها، مما كان له أثره وفاعليته في نشاط الحركة الثقافية في البلاد.

إن من يقرأ سيرة الملك عبد العزيز رحمه الله سيدرك أنه بطل عظيم وعبقري فذ، غرس أعظم وحدة في تاريخ هذا الوطن، وإن سيرته لتاريخ ناصع لا ينضب معينه، فقد كان عهده عهد إنشاء وبناء وتأسيس.

ومنذ استرد الملك عبد العزيز مُلْك آل سعود أقام دولته على أسس راسخة، ونشر الأمن والطمأنينة في أنحاء المملكة، كما أصبح العدل شريعة تطبق في كل شبر من أرضها، ولم ينس فضل العلم، بل كان حريصاً على أن يتزود به كل فرد من أبناء شعبه.

وإذا كان رحمه الله قد أرسى دعائم دولته الجديدة على العلم والإيمان فإن مكتبته لخير شاهد على مدى اهتمامه بالعلم، وتعكس لنا حبه ومنزلته بالنسبة له، فجهوده المباركة في نشر العلم والمعرفة واضحة ملموسة، وإن مكتبته الحافلة تدل على اهتمامه بالعلم، وحرصه على نشر المعرفة بما لها من أثر إيجابي، ولقد حرص رحمه الله على نشر وطباعة أمهات الكتب الإسلامية، ونشرها مجاناً في جميع أنحاء المملكة، وتوزيعها في العالم الإسلامي على حسابه الخاص.

إن الجانب الثقافي في حياة الملك عبد العزيز لعظيم جداً، فقد حرص على تنقية العقيدة الإسلامية من الخرافات والبدع، كما اتخذ خطوات عديدة نحو نشر العلم وطباعة الكتب الإسلامية النافعة، وكان يكتب التوجيهات والنصائح الدينية التي تحث على العقيدة السلفية الصحيحة.

ولقد طبعت في الفترة الأولى من حكمه عدة كتب لابن تيمية وابن القيم وأحمد بن حنبل ومحمد بن عبد الوهاب، وغيرهم من علماء الإسلام، كما استضاف العديد من علماء الإسلام الذين يدينون بالعقيدة السلفية الصافية، كما شجع الأدب والتراث، وكان يحفظ الكثير من الأشعار ويتمثل بها، وكان مجلسه الخاص والعام لا يبدأ إلا بعد درس في القرآن والحديث والسيرة النبوية.

وأصدر العديد من الأنظمة المتعلقة بتنظيم العمل في مجال المطابع والمطبوعات، حيث صدر أول نظام للمطابع عام ١٣٤٧هـ، وغير ذلك من الأسس الفكرية والبذور الثقافية والمقومات العلمية التي كانت النواة للمستوى الثقافي والعلمي الذي نعيش فيه، حيث وضع لبنات هذا الكيان، ولذا فقد أقام دولته على أسس راسخة من العلم والإيمان.

ولقد كان من أهم أسباب نجاح جلالته رحمه الله هو تمسكه بكتاب الله وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، فاتخذ من كتاب الله دستوراً يعمل بموجبه، وطبق أحكام الشريعة الإسلامية السمحة، فنشر الأمن والطمأنينة في أنحاء المملكة، وأصبح العدل شريعة تطبق في كل شبر من أراضيها.

وإضافة إلى عنايته بالإعلام المقروء من جرائد ومجلات فقد اهتم بالإعلام المسموع، إذ أصدر مرسوماً ملكياً بإنشاء الإذاعة السعودية في يوم الأحد التاسع من ذي الحجة ١٣٦٨هـ، فانطلق صوت المملكة في مناسبة دينية كريمة، وهو يوم الوقوف بعرفة.

ولم ينس فضل العلم والأدب، بل كان حريصاً على أن يتزود بذلك كل فرد من أبناء شعبه، فأنشأ كثيراً من المدارس الحديثة بمراحلها المختلفة في معظم بلدان المملكة، وأرسل بعثات إلى الخارج، واستقدم في عهده المعلمين من الدول العربية الشقيقة، ثم أخذ في طبع الكثير من الكتب العلمية والثقافية، ووجه عناية خاصة إلى كتب العلوم الإسلامية المخطوطة، فأمر بطبع طائفة منها مجاناً وتوزيعها، كما طبعت على نفقته كتب كثيرة في الهند ومصر لم يذكر عليها اسمه، إلا ما جاء على بعض مطبوعاته في الهند من أنها طبعت على نفقة من قصده الثواب من رب الأرباب، كما أمر بشراء مجموعات من كتب التفسير والحديث والتاريخ والأدب القديمة والحديثة؛ لتوزيعها مجاناً.

ولقد كان من شدة اهتمام جلالته بالعلم والأدب أنه كان له مجلس يومي يبدأ بعد صلاة العشاء وينتهي بانقضاء سهرة الملك، يفتتح هذا المجلس بالدرس الذي تتلى فيه أنواع مختلفة من الكتب في التفسير والتاريخ والأدب.

وكانت العادة أن يبدأ بتفسير القرآن، ويثني بالتاريخ، ويتناول الحاضرون من أهل المعرفة وسواهم من الجالسين ما يثار من تساؤلات ومناقشات بتعليقاتهم، وقد أشار الزركلي إلى أنه سمع في مجلس الملك عبد العزيز ثلاثة كتب من التراث، وهي: تفسير القرطبي، وكتاب البداية والنهاية لابن كثير، وكتاب الآداب الشرعية لابن مفلح، ومن المعروف أن مجالسه كانت مفتوحة وتضم رجالاً متنوعي الثقافات.

ولقد كان هذا المجلس يزدان بالمقرئين والعلماء من أمثال الشيخ حمد بن فارس والشيخ عبد الله بن أحمد العجيري، حيث كان يتلو عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وكان راوية يحفظ مسند الإمام أحمد عن ظهر قلب وأخبار العرب وأقوال الشعراء والحكماء والأدباء، ولقد أحيا الملك عبد العزيز ﷺ تقليداً قديماً وهو حلقة الدرس التي تقام بحضور الملك، وهي عادة تاريخية قديمة منذ أيام الخلفاء الأمويين.

وكان لجلالته عناية باختيار القراء، ولا بد أن يكونوا من حفاظ القرآن الكريم والعارفين باللغة العربية ومن ذوي الأصوات الحسنة والاطلاع الجيد، وكان يستقبل العلماء ويجتمع بهم كل خميس من كل أسبوع في جلسة عامة مفتوحة، وكانت له توجيهات فكرية إسلامية، وفي مواسم الحج كان يلتقي كبار علماء وزعماء العالمين العربي والإسلامي، وكان سخياً في الإنفاق على إحياء كتب التراث الإسلامي، حيث طبع الكثير من المخطوطات الإسلامية.

نشر ثقافة الحوار في المجتمع وترسيخ قيمه لتعزيز اللحمة الوطنية

للمركز الوطني للحوار دور رائد في طرح القضايا التي تهم وتثري ثقافة المجتمع، وتقرب الأطياف الفكرية من بعضها البعض.

وإن المشاركة الإيجابية في مسيرة الحياة وتكريس الجهود للعمل المثمر الهادف وتقوية الأواصر ناحية حيوية، فالمواطن الصادق هو من سمت أخلاقه وعلت همته، وخلصت نيته وصدقت عزيمته، وراقب الله في أعماله، وقدم العطاء لوطنه وأمته، وتفانى في الدعوة إلى المثل العليا والأخوة والإحسان والتراحم والتكافل وإسداء المعروف وإغاثة الملهوف، وكل معنى سام كريم، وحافظ على ذلك، وعمرت جنبات نفسه بأخلاق وسجايا كريمة، ودفع هذا الوطن إلى ما نتمناه له من عزة ورفعة وازدهار.

وإن التواصل والحوار أمر محمود وأسلوب أمثل، فهذه البلاد مورد الثقافة ومنبع العلم والمعرفة؛ لما للمملكة من ريادة في كثير من الأمور الدينية والثقافية والعلمية والاقتصادية، كما أن المستقبل العلمي والثقافي يبشر بالخير في مختلف المجالات. فمزيداً من العمل والعطاء والاجتهاد والإبداع، وتحقيق الأهداف السامية النبيلة.

إن الوطن قطعة غالية منا، تكتحل عيوننا بأضواء شمسه وإشراقه ومعطياته، فينبغي أن يكون انتماؤنا له عملياً في قلوبنا وأرواحنا

ومشاعرنا، نخلص له ونبرّ به، وندرأ عنه الشرور. والتفاعل مع مستلزماته ونهوضه وتطوره تفاعلاً إيجابياً، وتعريف المواطن من خلال المؤسسات التربوية والإعلامية بالمحافظة على مكتسباته ورعايتها من خلال حسه الوطني.

ولا شك أن التربية الوطنية المثلى لها دور فاعل في توجيه الشباب نحو الانتماء للوطن، والتفاعل الواعي مع التطورات الحضارية في ميادين العلوم وضروب الثقافة وفنون الآداب، وتوجيهها بما يعود على المجتمع بالخير والتقدم، ومواكبة تطورات العصور والتعامل مع المستجدات في الساحة الثقافية والفكرية في المجتمع.

إن المشاركة الإيجابية واستشعار المسئولية تجاه الوطن يجب أن تكون نبراساً في حاضرنا ومستقبلنا.

وبالجملة فإن لثقافتنا الوطنية لوناً خاصاً وطابعاً مميزاً، فهي منفتحة على الآخر دون انزلاق، مع تنمية الحس الوطني بما يخدم المصلحة الوطنية العامة في أهدافها، فهي وسيلة لتأكيد المواطنة وتكريسها، وتنمية الإخلاص للوطن وللعقيدة الإسلامية، وتهيئة المواطن ليكون عضواً نافعاً في بناء وطنه ومجتمعه، وواحة مشرقة لوطنه.

هذا وبالله التوفيق.

حب الوطن من أهم الواجبات

إن حب الوطن والعمل على تحقيق أمنه هو من أهم الواجبات، وهذه البلاد هي مهبط الوحي ومنطلق الإشعاع وركيزة المفاخر والمآثر، وتتشرف بخدمة الحرمين الشريفين اللّذين تهوي إليهما قلوب المسلمين من كل مكان، وهي في حاجة إلى إخلاص وحب أبنائها ودفاعهم عنها، وبحاجة منا جميعاً إلى المحافظة على الوطن من الأخطار الداخلية والخارجية، وتعميق مشاعر الانتماء والتمسك بالوحدة الوطنية. وذلك واجب علينا وجوباً صحيحاً لا محيد عنه، وليس لنا بد من مواجهة واقعنا بما علينا من واجبات ويلزمنا من حقوق، وإلا كنا سلبيين.

ولذا ينبغي المحافظة على هذا الوطن ووحدته الوطنية المبنية على العقيدة الإسلامية، وعلى الثوابت الشرعية التي تستمد منها الدولة نظامها ويستمد منها المجتمع هويته، والتضحية وتقديم المصلحة العامة، والعمل على التمسك بتلك الثوابت، والوسطية المعتدلة التي ترفض الغلو والتعصب بقدر ما ترفض الانحلال والإباحية، وتأصيل المنهج الوسط، وحماية مجتمعنا من المفاهيم المغلوطة.

ويروى لأحد القادة قوله: "إنما تعرف أخلاق الرجال ويظهر شرف نفوسهم بمقدار حبهم لوطنهم وإخلاصهم في خدمته".

وكل معلم من معالم هذه الأرض يجسد التاريخ والمجد والشموخ، والعطاء الإنساني المتجدد.

هذا الوطن الذي تكتحل عيوننا بأضواء شمسه ونهاره وإشراقه ومعطياته هو قطعة منا، في قلوبنا وأرواحنا ومشاعرنا، ومن الواجب الإخلاص له والبر به، والتفاعل مع مستلزمات الوطن تفاعلاً إيجابياً بحيث يتناسى المواطن المخلص أنانيته ومصلحته الشخصية، بل يسعى جاداً إلى كل ما فيه خير الوطن وعزته وقوته ورفعته بشتى أنواع العطاء وأساليب البناء، ونفع بلاده وبني جلدته، وتعميق الحب والولاء له.

إن علينا أن نرسخ في مناهجنا وإعلامنا حب الوطن والولاء له، وترسيخ الوحدة الوطنية بحيث يتدفق الحب للأرض والوطن وثراه في شرايين القلوب ويسري في النفوس، بحيث ينشأ عن ذلك الحب الاعتزاز والفخر والمواطنة الصادقة المتميزة، والتي تجعل أبناء هذا الوطن كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى.

ومن أجل الوطن فإن مدارسنا يجب أن تكون خط الدفاع الأول في حب الوطن، ومجابهة الإرهاب، ورفض كل ما هو دخيل على فهمنا الصحيح للدين، والواجب غرس حب الوطن في النفوس وتقوية جذوة حبه لدى النشء والشباب.

أهمية إيجاد موسوعة تاريخية عن الجزيرة العربية

كثيراً ما كتب الكتاب عن تاريخ الجزيرة العربية من عرب ومستشرقين وأوروبيين، تجلى ذلك في كتاباتهم عن الرحلات التي قاموا بها إلى الحجاز ونجد وشبه الجزيرة العربية، كما أن هناك الكثير من المخطوطات والوثائق العربية والعثمانية والإنجليزية والأسبانية في مختلف العصور القديمة والوسطى والحديثة، كما أن مكتبات المغرب العربي تحفل بالمزيد من الكتب والمصادر لإخواننا المغاربة ورحلاتهم إلى الجزيرة العربية.

ومع هذا الزخم الهائل من مصادر المعرفة عن تاريخ الجزيرة إلا أنه ما زال مبعثراً ومشتتاً في دنيا المكتبات العامة والخاصة ولدى بعض المؤسسات العلمية، وإن اهتمام جامعاتنا بعقد ندوات عن تاريخ الجزيرة العربية لأمر يستدعي الشكر والتقدير؛ لأننا في الواقع في حاجة إلى موسوعة تاريخية تكون وافية ومستوعبة لمصادر تاريخ الجزيرة. ولقد سبق أن دعونا لهذه الفكرة منذ سنتين؛ لأهميتها، وللدور الذي سوف تلعبه.

وكثيراً ما التقيت ببعض الأخوة الذين يحضّرون رسائل الماجستير والدكتوراه، وكانوا يسألون باستمرار عن المصادر التي يمكن أن تفيدهم في معرفة تاريخ الجزيرة العربية.

والجزيرة العربية تحفل بتراث عظيم وتاريخ ناصع بالمفاخر والأمجاد، فمفاخر التاريخ قد كانت بها، وقد مرت بها أحداث عظيمة وفترات تاريخية مضيئة منذ فجر الدعوة الإسلامية وما صحبها من تغير في حياتها وأحوالها الاجتماعية والاقتصادية والدينية.

ولقد كان للجغرافيين العرب فضل في التعريف بالجزيرة العربية لا يقل عن دور الشعراء، وإن هناك الكثير من الوثائق والسجلات والسير والتراجم والنقوش والمخطوطات التي تعرّف بالجزيرة العربية .

كل ذلك يستدعي إنشاء مركز دائم للبحوث والدراسات التاريخية، إلى جانب البدء في تأليف موسوعة تاريخية تغني المكتبة العربية، وتسد حاجة الباحثين والمهتمين بتاريخ الجزيرة العربية.

الصدق في التعامل من ميزات النجاح في الحياة

أكدت التربية على أهمية إعداد الإنسان الصالح القادر على القيام برسالته في هذه الحياة، والعمل في سبيل البناء والخير والإصلاح والتعمير والإيجابية، وكل ما يعود بالخير والفائدة على الفرد والمجتمع، ولكي يحقق المرء في حياته النجاح فلا بد أن يتحلى بفضائل الصبر والثقة والإيمان، وبما يحمله من هم وأن يكون له همة وقوة وطموح تمكنه من تذليل ما يعترض طريق حياته وطموحه من عقبات، ولهذا نقرأ ونشاهد صوراً كثيرة لشخصيات متعددة ممن تحقق لهم النجاح، وما تسلحوا به من عزيمة وصبر وجلد وطموح، ونرى آخرين واجهوا الإخفاق والمآسي، وفي ذلك سر الحياة، وقدرة الخالق العظيم.

فالناس يتفاوتون في فكرهم وطموحهم، وهممهم ورؤيتهم، وقدرتهم على العمل وجلدهم وصبرهم، فهناك أناس تمتلئ نفوسهم بالجد والطموح، يستسهلون كل صعب، وهناك أناس نراهم خاملين غير جادين ولا مكترثين بأي شيء.

ولا شك أن الثقة بالنفس مع الإيمان والخلق والصدق وشرف التعامل لها أثر كبير في نجاح المرء، بعكس من يسلك السبل والطرق الملتوية والسيئة في تعامله.

فالصدق في التعامل من ميزات النجاح، ومن الأهداف الأخلاقية البعد عن كل ما يتنافى مع ذلك، وما أصدق قول الشاعر حين قال:

الجد في الجد والحرمان في الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الأمل
واصبر على كل ما يأتي الزمان به صبر الحسام بكف الدارع البطل

وهكذا ينبغي تربية الإنسان على الفضائل، وتعاهد قدراته واستعداداته المختلفة، وتوجيهها وفق ما يناسبه في تكوين الوعي الإيجابي الذي يواجه به المرء مصاعب الحياة، ويكون قادراً على تقدير التبعة وتحمل المسئوليات.

والله ولي التوفيق.

السيرة الذاتية

تمثل السيرة الذاتية جنساً من الكتابة الأدبية التوثيقية، ولا تزال تمثل منجزاً أدبياً لدى مختلف الثقافات، فكل شخص في هذه الحياة لا بد له من ذكريات في أي ناحية من نواحيها العلمية والاجتماعية أو الفكرية أو السياسية، هي حصيلة تجربة في الحياة التي لا تخلو من تجارب وعطاءات وعبر، وخاصة من بلغوا مرحلة الشيخوخة وتوقفوا عن العطاء، وكان لهم دور مؤثر ومتميز. ومن الخير ألا نبخس الناس أشياءهم، والجزاء من الله.

إذاً المذكرات أو السير الذاتية سجل للأحداث؛ لأنها تتحدث عن تاريخ عصر من العصور، وتصور حقبة من الزمن، مما يجعل في قراءتها متعة وفائدة؛ لما تدل عليه من ملامح الحياة، وما تحمله من أفكار وكشف لحقائق النفس، بحيث يتجلى فيها صدق التعبير.

وتكون السير الذاتية فناً من أجمل فنون الأدب، وأكثرها قبولاً ورواجاً، وأصبحت فناً يزداد الاهتمام به في العصر الحاضر إذ يقبل عليه القراء إقبالاً شديداً. وهذا النوع من الفن لا يحتل مكانته وخاصة لدينا وفي العالم العربي قاطبة، بينما نرى أدب السيرة الذاتية يتميز ويزدهر في الغرب، وتحفل به دور النشر والصحافة والإعلام في البلدان الغربية، ولقد حالت المعوقات النفسية دون ازدهار أدب السيرة الذاتية في الشرق بما ينطوي عليه من اعترافات صريحة.

أما ميخائيل نعيمة فيقرر في سيرته الذاتية "سبعون" أن حكاية ساعة

واحدة من ساعات العمر أمر صعب، فكيف يمكن حكاية سبعين سنة؟!

إن مجال السيرة الذاتية نوع من أنواع الأدب، وتتميز بأن كاتبها يكشف عن خبايا نفسه، ويعرض حياته وتربيته، وأساليب تعامله، وما اعترى حياته من تجارب وخبرات وذكريات وممارسات، وما واجهه من متاعب وما صادفه من مواقف طريفة ومثيرة، وكذا توضيح الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي لازمت مسيرة عمله بحيث يكون عرضه لتلك السيرة بالوضوح والصراحة التي تعينه أن يخرج من ذاته ويقف من نفسه موقفاً موضوعياً ولا يخشى مواجهة تلك الأشياء التي مرت في حياته مهما كانت صغيرة أو كبيرة. فهي تعبر عن موقف كاتبها واتجاهه، وما يدور في مجتمعه من أمور وقضايا.

وتتباين السير الذاتية من فرد إلى آخر، وبما تنطوي عليه من أفكار وتجارب وذكريات، وأخلاق ومثل وعادات، وغير ذلك مما يبرزها بشكل جلي.

حديث عن الحضارة الإسلامية في جامعة أمريكية

خلال زيارة للولايات المتحدة الأمريكية قمت بجولة في أقسام جامعة إلينوي ومراكز البحث العلمي فيها، حيث تضم الجامعة عدداً كبيراً من الطلاب يبلغ خمسة وخمسين ألف طالب وطالبة، وأُنشئت هذه الجامعة عام ١٨٦٧م.

وبعد ذلك قمت بزيارة لمكتبة الجامعة التي تتكون من ثمانية طوابق، وتحتوي أكثر من عشرة ملايين كتاب، وفي الطابق الخامس منها يوجد القسم الآسيوي، وبه ركن خاص بالكتب العربية، وقدموا لي بطاقة تهيئ لي فرصة التردد على المكتبة، فكانت فرصة لإهداء هذا القسم مجموعة من المؤلفات والكتب السعودية، حيث إن القسم خال منها.

وجرى الحديث مع المشرفين على المكتبة -وهم على جانب من دماثة الخلق، وحب العلم والمعرفة والثقافة، والاستماع لكل من يُعرّف ببلاده وثقافته-، حيث كان الحديث عن المكتبات والجامعات في المملكة العربية السعودية، وما وصلت إليه من رُقي وتقدم ودور ريادي. والمرء لا يمل من الحديث عن بلاده والتعريف بها، بل إنها رسالة سامية أن ينتهز الفرص ويغتنم المناسبات، ويمد جسور التواصل والتعارف، ويحرص على ألا يؤثر عنه إلا ما يؤكد ثقة من يتحدث إليهم به واحترامهم لما يقوله. ولقد سررت أيما مسرة بوجود ركن خاص بالكتب العربية.

ثم جرى الحديث عن الفهرسة والبيلوغرافيا "ثبت المراجع" في المكتبة والمخطوطات التي وصلت إلى الجامعة من مختلف أنحاء العالم. وسألني أحدهم عن ابن النديم محمد بن إسحاق صاحب كتاب "الفهرست"، فقلت: إن كتابه أهم مصنف للمطبوعات، وكان وراقاً نادراً وعلماً فذاً، له شهرة بين علماء عصره في القرن العاشر، وكان نموذجاً لتجار الكتب في ذلك الوقت، فهو رائد في علم الفهارس على المستوى العالمي، وكان شاهداً على حضارة أسلافنا في ذلك العصر.

وجرى الحديث عن ابن خلدون حيث قال أحدهم: إنه أثار اهتمام المستشرقين والباحثين الغربيين، فقلت: لا ريب أن ابن خلدون رائد كبير، وقد برز العلم في التاريخ على يده في القرن الرابع عشر، فهو متفوق في مجاله، وعلم التاريخ أفسحت له الحضارة الإسلامية مكاناً كبيراً، وهذا ما يؤكد عليه الكثير من المفكرين الغربيين، وأن الحضارة الإسلامية هي أكثر الحضارات اهتماماً بالتاريخ، ومقدمة ابن خلدون تجسد تجديداً ووثبة نوعية في علم التاريخ، حيث نراه يجسد الأسباب العميقة للأحداث. وقال محدثي: إن العرب لم يكتشفوا ابن خلدون إلا في القرن العشرين، فقلت: لقد عُرف قدره في عصره، وكان يستمد مادته التاريخية من معايشته لعصره وقراءاته الواسعة في التراث العربي الإسلامي، وهو واضع علم الاجتماع، وله آراء سديدة في نشوء الدول والحضارات وتدهورها، ولقد استشهد الرئيس الأمريكي ريجان بآرائه حين أراد تخفيض ضرائب الدخل عام ١٩٨١م لإنعاش الاقتصاد الأمريكي.

كما جرى الحوار حول الحضارات، فقلت لهم : في العصور الوسطى تعلمت أمم كثيرة من المسلمين في مجالات الطب والرياضة

والعلوم، بل إن أعمال فلاسفة الإغريق القدماء التي اندثرت في عصور الظلام الأوروبية حرص العلماء المسلمون على حفظها وترجمتها إلى اللغة العربية، وظل الإسلام نبراساً وهادياً للحضارات الإنسانية.

ولقد كان حديثاً ممتعاً وشائقاً في رحاب إحدى قلاع العلم ولا سيما بالنسبة لتاريخنا وتراثنا مع هؤلاء، وقلت وأنا أغادر هذه المكتبة:

حديث عن الماضي أثار كوامني وحرك أشجاني وهز كياني

الدراسات البيلوجرافية
مهمة للبحث الفكري والعلمي والمعرفي

إن أهمية التطور الحضاري والتقدم العلمي مرتبطة أساساً بأهمية إعداد المعلومات وتنظيمها واسترجاعها؛ إذ أصبحت عملية توثيق المعلومات لها أثرها في كافة الحقول والجوانب وشتى مجالات المعرفة.

وتعد مصادر المعلومات اليوم دعامة أساسية من دعائم النهضة في المجتمع المعاصر ودعم البحث العلمي وتطوير المناهج، والتكيف مع عصر المعلومات. والثقافة في كل أمة هي المقياس لرقيها والمعيار لتقدمها والدعامة الأولى لبناء كيانها ومجدها، فما ارتفعت أمة من الأمم إلا وللعلم والثقافة في ذلك النصيب الأوفى والركيزة المثلى والهدف الأسمى.

ويشهد عالم اليوم تطوراً في مختلف مجالات الحياة، يتحفنا بها العلم والعلماء، وهي تتويج لمجهودات فذة كبيرة في مختلف العلوم والآداب والفنون، تجسيداً لرسالة رفيعة جليلة.

وانطلاقاً من ذلك فقد أصبحت الحاجة ماسة إلى مصادر ترشد إلى مختلف مجالات المعرفة البشرية مما يحتاجه الباحث والعالم والأديب والطالب والأستاذ، فوجود المصادر سوف يسهم إلى حد كبير في توفير المعلومات التي ينشدها الباحثون ويبتغيها الدارسون بسهولة ويسر وهدوء.

إن صعوبة توفر ما يريده الباحث في مكتباتنا تجعلنا ندعو إلى أهمية

وجود ذلك وإن كان العمل ليس سهلاً في مثل ذلك، فعملية إيجاد المصادر ليست من السهولة بمكان.

إن التراث العربي والإسلامي لغني جداً، ولكنه موزع ومشتت، ويحتاج إلى جهد علمي واسع، وترتيبه بأسلوب يسهل على الباحث والدارس الحصول على المعلومات المطلوبة في سهولة ويسر.

إن وجود المصادر سيريح القارئ ويخدم الباحث، ويوفر الوقت للدارس ويساعده على الوصول إلى ما يريد، كما أن الدراسات الببليوجرافية مهمة للبحث العلمي والمعرفة؛ إذ أنها تتيح وتسهل للباحث مصادر المعلومات في موضوع معين، فهي بمثابة منابع معلوماتية تغذي البحث العلمي، وهي المولد الحقيقي له باستمرار. ولكن المهم هو إيجاد الفئات المتخصصة في علم المصادر، ومن لهم إلمام وخبرة ومعرفة في هذا الميدان، وهم قلة ضئيلة في العالم العربي، إذ يجب أن يكونوا مثقفين ثقافة واسعة، وعلى اتصال دائم ومتابعة مستمرة لما يستجد في هذا الميدان، إلى جانب مساعدة القارئ والباحث فيما قد يطلبه منهم، وإجابته على الاستفسارات والأسئلة المتصلة بمختلف المعارف.

ومن هذا المفهوم يتبين أهمية المصادر المخصصة للبحث والمعرفة، كالموسوعات والمراجع والمعاجم وما يسمى بأمهات الكتب وغيرها من الأطالس والمنشورات الدورية، وفي بعض البلدان المتقدمة أسست مكتبات خاصة بالمصادر، هدفها تجميع المصادر وتوفير المواد العلمية، ووضعت لها الشروط واللوائح والأماكن الخاصة وعدم الإعادة.

وبلادنا اليوم تزخر بعدد غير قليل من المكتبات، سواء منها ما كان تابعاً لجامعاتنا الفتية أو لوزارة التعليم أو الحرمين المكي والمدني أو الأفراد.

ومهما كان حجمها وقلة عدد الكتب بها فإنه ينبغي إيجاد وتوفير كتب المصادر وتنسيقها وترتيبها بطريقة ميسرة، ووضعها في مكان مستقل، ومساعدة القارئ وإرشاده إلى ما يريد بسرعة، والإجابة على استفساراته وأسئلته؛ ليسير في بحثه على الوجه الصحيح.

وأحسب أن الحاسب الآلي بالإمكانات الموجودة فيه سيجعل الحصول على هذه المعلومات من قبل الباحث أمراً ميسوراً، وسيكفيه مؤونة البحث الطويل عن المعلومة.

وجملة القول: لقد أصبحت المعلومات ومصادر المعرفة مهمة للباحثين في الوقت الراهن، فهي تدعم وتساند؛ إذ المعرفة هي التي يحتاجها كل إنسان، وهي المحطة النهائية -كما يقال- للمعلومات.

ومن هذا المنطلق يبرز الدور الحيوي في حث وتشجيع الجهود لتوفير البنية الأساسية اللازمة لبناء نظام متكامل للمعلومات وقواعدها ومجالات المعرفة المختلفة؛ لتصل إلى الجميع بأقرب السبل وأيسرها، مما يوفر لنا الاتصال والتفاعل مع وسائل المعرفة وثمار الخبرة الإنسانية في شتى الحقول وميادين البحوث المختلفة والمعرفة الإنسانية.

فهرس الموضوعات

تصدير ٥
المقدمة ٧
المدرسة ودورها في رعاية النشء وتنمية الإبداع والتميز ٩
تاريخنا جزء من هويتنا الثقافية وشخصيتنا الحضارية ١٢
المعلم عليه العبء الأول في بناء التربية وإصلاح النشء ١٧
المدرسة والتربية ودورهما في رعاية الموهوبين وبناء الموارد البشرية ١٩
نحو خطط طموحة لتربية الشباب ورعاية مواهبهم لخدمة الوطن ٢١
الجامعة وتنمية البحث العلمي ٢٣
موسوعة تاريخ التعليم عمل تربوي وإنجاز تاريخي مفيد ٢٦
ذكريات وشجون تربوية حول تأسيس المدرسة السعودية الابتدائية بالمجمعة عام ١٣٥٦هـ ٢٩
التربية الوطنية اهتمام بالأجيال وبناء الإنسان ٣١
الجامعات ودورها في خدمة شباب الوطن ٣٤
التربية هي مرآة الحياة بكل رقيِّها وإنسانيتها ٣٦
أهمية تنمية مواهب الإبداع ٣٧
أهمية تنمية الإبداع والتميز ٣٨
جودة التعليم من خلال جودة إدارته ٣٩
الاستثمار في بناء الإنسان هو الطريق الصحيح إلى مزيد من الإنجازات الحضارية ٤١
الثقافة ودورها في الرقي بالمجتمع ٤٣

أهمية تأصيل القيم التربوية في نفوس الناشئة ٤٥
أطفالنا المبدعون وأهمية اكتشاف مواهبهم ٤٦
الجامعات وتفعيل دورها في رعاية المواهب وتشجيع الابتكار ٤٨
الاهتمام بالتعليم والبحث العلمي من أهم المعايير التي يعتمد عليها في الحكم على مدى تقدم الجامعات ٥٠
دار التوحيد ومضي ٧٠ عاماً على تأسيسها ٥٢
المؤسسات التربوية ودورها في ترسيخ الوعي بالحفاظ على المرافق العامة ٥٧
أهمية نشر ثقافة الجودة بين منسوبي التعليم ٥٩
التربية بين المدرسة والمنزل والمجتمع ٦١
أهمية رعاية الشباب ودعم منظومة الابتكار والإبداع ٦٥
البحث العلمي جوهر التنمية وروح التطور لكل المجتمعات ٦٧
حفل لا ينسى في جامعة أم القرى لتكريم رواد العلم ورموز المعرفة ٦٩
اللغة العربية لسان وكيان ٧٢
الفضائيات العربية وعدم اكتراثها بثقافة الإنسان العربي وهويته اللغوية ٧٤
الخط العربي فخر حضارتنا ورمز تراثنا ٧٦
اللغة العربية ضمير الأمة ومرآتها الحضارية ٧٨
بلورة الجهود للحفاظ على اللغة العربية ٧٩
اللغة العربية بين لغات وافدة ولهجات غازية ٨١
الهوية اللغوية وتحديات العولمة ٨٣
أهمية تنمية المهارات اللغوية لدى الشباب ٨٥
المتنبي عبقرية خالدة ٨٧
الأديب بين الإبداع الفكري والتحدي الثقافي ٨٩
في آفاق الأدب والنقد ٩٢

تقويم مناهج اللغة العربية في مراحل التعليم العام يسهم في التميز والإبداع ٩٥
أهمية تفعيل احتفاء هيئة الأمم المتحدة بلغة الضاد عالمياً ٩٨
القراءة وسيلة التثقيف ومفتاح المعرفة ١٠٠
أهمية التعاون في تصحيح مسميات لغة الضاد ١٠٣
الأندية الأدبية قاعدة للتواصل الفكري ١٠٥
رمضان في عيون الشعراء ١٠٨
غياب النقد الأدبي عن الحركة الثقافية الحديثة ١١٢
نحو مزيد من الاهتمام بالدراسات اللغوية ١١٥
العيون في الشعر العربي ١١٨
المكتبات أساس نهضة الأمم ١٢٢
قراءة في كتاب الحياة العلمية في نجد ١٢٤
وخير الهدايا الكتب ١٢٩
الكتاب في مواجهة ثورة المعلومات ١٣٢
أهمية الكتاب وافتتان العلماء به ١٣٤
وقفات مع كتاب "عنوان المجد في تاريخ نجد" أحد مصادرنا التاريخية ١٣٦
الوعي بقيمة الثقافة ١٣٨
التراث البلاغي وعناية المعاصرين ١٤٠
سياحة في فكر الأديب الساخر إبراهيم المازني ١٤٣
أهمية دعم صناعة الكتاب السعودي والارتقاء بدوره الثقافي والإبداعي ١٤٦
تطوير وتحسين المناطق التاريخية والقرى التراثية ١٤٩
الهجرة صفحات تاريخية مشرقة ١٥١
أهمية إثراء الدراسات التاريخية عن الملك عبد العزيز ١٥٣
أهمية إبراز الروابط التاريخية والتراثية المشتركة بين دول مجلس التعاون ١٥٥

متغيرات التاريخ مدرسة الحياة ١٦٠
إشراقات الجنادرية ١٦٢
أهمية العناية بتاريخ مدننا وتراثها الثقافي ١٦٤
القدس قلب المسلمين النابض بين الفتح والاحتلال ١٦٧
الوثائق التاريخية مصدر مهم من مصادر تاريخنا الوطني ١٦٩
مصادر المعلومات عن التراث وأهمية العناية بها ١٧١
جامع قرطبة أروع أثر إسلامي في أسبانيا ١٧٤
العيد وصل وود ووئام ١٧٨
أهازيج العيد لوحة من الذاكرة ١٨١
رحلة الحج في عيون الرحالة وكتابات المؤرخين ١٨٣
صفحات مشرقة من تاريخ علمائنا الذين رحلوا في طلب العلم ١٨٦
الجزيرة العربية ومكوناتها الثقافية في عيون الرحالة ١٩٦
الرحلات رافد ثقافي وتاريخي ١٩٨
الرحلات من أوسع أبواب المعرفة والثقافة الإنسانية ٢٠٠
أدب الرحلات فن متميز ٢٠٣
وادي حنيفة أحد أشهر أودية الجزيرة العربية ٢٠٥
سوق عكاظ منبع القصيدة العربية الرائدة ٢٠٧
وقفة مع رائد علم الآثار ٢٠٩
جوانب ثقافية وحضارية في حياة الملك عبد العزيز ٢١١
نشر ثقافة الحوار في المجتمع وترسيخ قيمه لتعزيز اللحمة الوطنية ٢١٦
حب الوطن من أهم الواجبات ٢١٨
أهمية إيجاد موسوعة تاريخية عن الجزيرة العربية ٢٢٠
الصدق في التعامل من ميزات النجاح في الحياة ٢٢٢
السيرة الذاتية ٢٢٤

حديث عن الحضارة الإسلامية في جامعة أمريكية ٢٢٦
الدراسات البيلوجرافية مهمة للبحث الفكري والعلمي والمعرفي ٢٢٩
فهرس الموضوعات ٢٣٣

كتب صدرت للمؤلف

١- كلمات متناثرة.
٢- رحلات وذكريات.
٣- على مائدة الأدب.
٤- مراحل إعداد المعلم في المملكة.
٥- رمضان عبر التاريخ.
٦- في التربية والثقافة.
٧- صور من الغرب.
٨- من أدب الرحلات.
٩- المفيد في الإنشاء.
١٠- الشذرات في اللغة والأدب والتاريخ والتربية.
١١- توحيد المملكة العربية السعودية وأثره في النهضة العلمية والاجتماعية.
١٢- رحلات إلى الشرق والغرب.
١٣- يوم في ذاكرة التاريخ.
١٤- شعاع في الأفق (ديوان شعر).
١٥- عبق السنين (ديوان شعر).
١٦- رفقاً بالفصحى.
١٧- مسيرة التوحيد والبناء (لمحات تاريخية).
١٨- كتب ومؤلفون.
١٩- في آفاق التربية وأفياء التعليم.
٢٠- آفاق فكرية وشجون تربوية.
٢١- صور من أدب الرحلات إلى الحرمين الشريفين.

المؤلف في سطور

- الأستاذ/ عبد الله بن حمد بن الحقيل رحمه الله.
- ولد في المجمعة عام ١٣٥٧هـ.
- حصل على درجة الليسانس في اللغة العربية وآدابها عام ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م.
- دبلوم في التربية المقارنة والتخطيط التربوي من معهد الأمم المتحدة في بيروت عام ١٣٨٢هـ.
- ابتعث إلى جامعة أوكلاهما بالولايات المتحدة الأمريكية للدراسة بها عام ١٩٧٣م، وحاز على الماجستير، وعلى دبلوم الدراسات العليا في الإدارة التربوية.
- عمل مدرساً وموجهاً تربوياً، ومديراً لمدرسة اليمامة الثانوية في الرياض ١٣٨٣هـ، ومديراً للكتب والمقررات المدرسية، ومديراً للتخطيط التربوي.
- عمل أميناً عاماً للمجلس الأعلى لرعاية الآداب والعلوم والفنون بوزارة المعارف، وأمضى في التعليم أكثر من عشرين عاماً في مناصب قيادية، وأسهم في حركة التعريب في الجزائر، حيث عمل مدرساً في كلية المعلمين بوهران عام ١٣٨٦هـ، وانتدب مديراً لثانوية الدوحة في لبنان عام ١٣٨٩هـ.
- شارك في عدد من المؤتمرات والندوات في الداخل والخارج بالبحوث والمحاضرات.
- عمل أميناً عاماً لدارة الملك عبد العزيز منذ ١٤٠٦هـ، وأمضى فيها سبعة عشر عاماً.
- عضو في عدة هيئات علمية وثقافية وتاريخية، وعضو في اللجنة العليا لموسوعة تاريخ التعليم ورجاله في المملكة.
- توفي في ٢١/ ٢/ ١٤٤٠هـ.

٢٢- رحلة إلى اليابان.

٢٣- اللغة العربية هوية وانتماء.

٢٤- رحلات وذكريات في ربوع بلادي.

٢٥- رحلات الحج في عيون الرحالة وكتابات الأدباء والمؤرخين.

٢٦- رحلات ومشاهدات في الوطن العربي والأندلس.

٢٧- صور من أدب الرحلات رؤية أدبية تاريخية.

٢٨- رحلات ومشاهدات سائح في البلاد الأوروبية.

٢٩- رحلات ومشاهدات في شرق آسيا.

٣٠- من وحي رحلات إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

٣١- المجمعة حاضرة إقليم سدير لمحات تاريخية وثقافية.

- إلى جانب بحوث ومقالات في الصحف والمجلات الفصلية والشهرية، وأحاديث في الإذاعة وبرامج في التلفاز، وإسهامات إعلامية كثيرة.
- لديه عدد من المؤلفات والدراسات الأدبية والتاريخية، ستأخذ إن شاء الله طريقها إلى النشر.